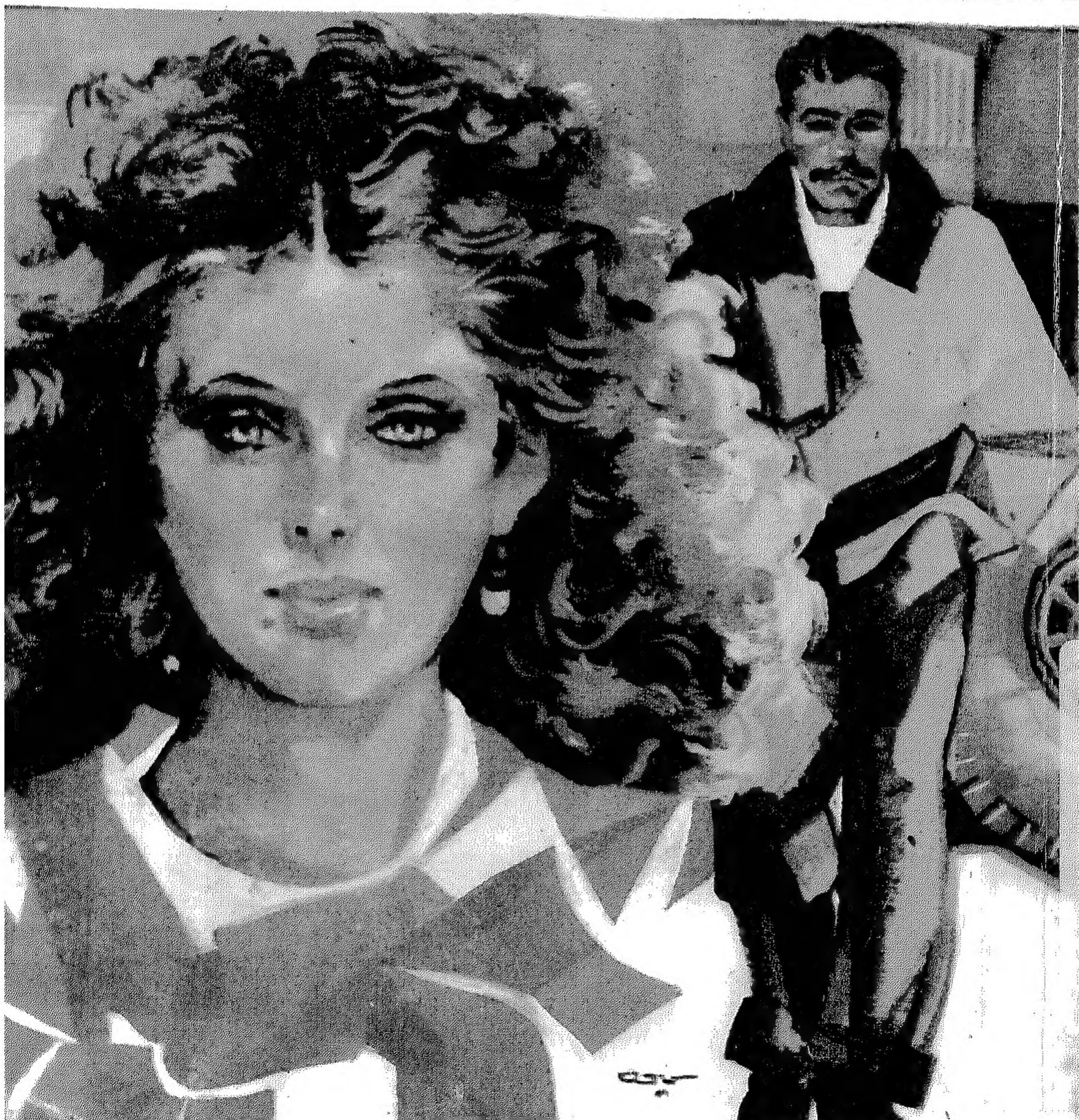


روايات (الهلال

چون شتاينيك

الأقوييس الجامع





أولمبيك إلكترونيك

OLYMPIC



ELECTRIC

ولايزال التجديد مستمرًا

مخالفات • مضخات • مراوح • مواقد كهربائية • مكاشن • شفاطات • بزلت أوميا • سخانات شمسية

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة
شهرية
لنشر
القصاص
العالمي

تصدر عن مؤسسة
دار الهلال

العدد ٤٨٨ أغسطس ١٩٨٩
مصر ١٤١٠ هـ
No 488 Aug. 1989

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير
مصطفى نبيل
سكرتير التحرير
محمود فتاح

● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية
مصر العربية اثنا عشر جنيها ، وفى بلاد اتحادى
البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر
دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء
العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال
فى ج . م . ع . نقدا او بحواله بريديه غير حكومية
وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ،
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار
الموضحة عليه عند الطلب .

اسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٢٠٠ قرش
للقارئ فى مصر :-

سوريا ٥٠ ليرة - لبنان ٧٠٠ ليرة - الاردن ١٠٠٠ فلس -
الكويت ٥٠٠ فلس - العراق ٥٠٠ فلس - السعودية ٦
ريالات - الدوحة ٨ ريالات - البحرين ١٢٠٠ فلس - دبي ٨
دراهم - أبوظبي ٨ دراهم - مسقط ٧٥٠ بييسه - غزة
والضفة ١٢٥ دولار - عدن ٢ دولار .

الكويت : السيد عبد العال بسيونى
زغلول الصفاة - ص . ب رقم
13079٢١٨٣٣ - تليفون -
٤٧٤١١٦٤

شترت
فى
روايات
الهلال

للحصول على نسخ من روايات الهلال
اتصل بالفاكس : 92703 HILAL. U. N.

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون ٢٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

الغلاف بريشة الفنانة :
سميحة حسنين

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمي
الاستاذية

الأندلس الجاهلية

تأليف

چون شتاينبك

ترجمة

عبد الحميد فهمي الجمال



دار الهلال

هذه هي الترجمة الكاملة لرواية
BUS RIDE INTO THE HILLS
تأليف
John Stenbeck

الفصل الأول

على مسافة ٤٢ ميلا أسفل « سان يسيدرو » وعلى طريق رئيسي في كاليفورنيا يتجه من الشمال للجنوب يوجد مفرق طرق ظل يسمى « ريبيل كورنرز » لفترة تقرب من ثمانين عاما . ومن هذا المفرق يتفرع طريق فرعي اقليمي بزاوية قائمة نحو الغرب الى ان يلتقى بعد ٤٩ ميلا مع طريق رئيسي آخر يتجه من الشمال الى الجنوب ويربط بين سان فرانسيسكو ولوس انجيلوس مارا بهوليوود بالطبع . فكل من يرغب في الذهاب من الوادي في الداخل الى الساحل في هذا الجزء من الولاية يضطر لأن يسلك هذا الطريق الذي يبدأ من ريبيل كورنرز ويتمرج مخترقا تلالا وجزءا صغيرا من الصحراء ومارا بأراض زراعية وجبال الى ان يصل اخيرا الى الطريق الرئيسي الساحلي في منتصف مدينة « سان جوان دي لا كروز » تماما .

وقد اطلق على مفترق الطرق هذا اسم ريبيل كورنرز في عام ١٨٦٢ . ويقال ان عائلة تسمى بلانكين قد احتفظت لنفسها بدكان حدادة عند هذا المفترق . وكان افراد تلك العائلة واصهارهم فقراء وجهلاء ومتكبرين وكنتاكيين يميلون للعنف . ولأنهم كانوا لا يمتلكون اثاثا ولا عقارات فقد احضروا معهم من الشرق ما علق بأذهانهم من تعصب وحيل سياسية . ورغم أنهم كانوا لا يمتلكون عبيدا فإنهم كانوا على استعداد لأن يضحوا بحياتهم في سبيل الإبقاء على مبدأ العبودية . وعندما بدأت الحرب ناقش افراد عائلة بلانكين مسألة سفرهم عائدين عبر الغرب الذي لا حدود له للقتال من أجل الاتحاد الفيدرالي ولكنه كان طريقا طويلا وبعيدا للغاية وسبق لهم أن عبروه مرة . وأخذت اسرة بلانكين من الاتحاد مائة وستين فدانا ودكان حدادة والحقوا بلانكين كورنرز بالكيان الفيدرالي . ويقال أيضا أنهم حفروا الخنادق وصنعوا كوات البنادق في دكان الحدادة للدفاع عن هذه المنطقة المنعزلة الشائرة ضد اليانكي سكان الأماكن الشمالية في أمريكا . وكانت غالبية اليانكي من المكسيكيين والالمان والاييرلنديين والصينيين وكانوا لا يميلون الى الهجوم على البلانكين بل وكانوا فخوريين بهم بعض الشيء . ولم يعرف البلانكين رغد العيش لأن العدو كان يحضر الدواجن والبيض والسجق المصنوع من لحوم الخنزير في أوقات الدبائح ولأن كل فرد رأى أنه ينبغي الاعتراف بمثل

هذه الشجاعة بغض النظر عن القضية . وأخذ مكانهم اسم « ريبيل كورنرز » واحتفظ بهذا الاسم الى يومنا هذا .

وبعد ان وضعت الحرب أوزارها أصبح البلاطيين كسالى دأبى العراك والخصام مع بعضهم البعض وامتلات قلوبهم بالبغض والشكاوى شأنهم فى ذلك شأن كل طائفة منهزمة حتى ان الناس كفوا عن احضار خيولهم لعمل حدوات لها وامتنعوا عن احضار محاربيهم لاصلاحها بعد أن تبخر الاعتزاز بهم مع انتهاء الحرب وأخيرا فان ما لم تستطع أن تفعله جيوش الاتحاد بقوة السلاح قام به البنك الاهلى الاول فى سان يسيدرو بنزع ملكية الاراضى المرهونة .

والآن ، وبعد حوالى ثمانين عاما لا أحد يذكر الكثير من البلاطيين فيما عدا انهم كانوا متكبرين بغيضين الى النفس . وفى السنوات التى توالى انتقلت ملكية الارض من شخص لآخر مرات عديدة قبل أن تصبح جزءا من امبراطورية أحد ملوك الجسراند . وأحترق دكان الحدادة وأعيد بناؤه ثم احترق مرة أخرى . وما تبقى منه تم تحويله الى جراج ومضخات بنزين ثم تحول بعدئذ الى دكان ، مطعم ، جراج ومحطة خدمة للسيارات . وعندما اشتراه جوان شيكوى وزوجته وحصلتا على ترخيص بتسيير خط للنقل العام بين ريبيل كورنرز وسان جوان دى لاكروز أصبح يضم كل هذه الامور بالإضافة الى كونه محطة أوتوبيس أيضا . ولقد اختفى البلاطيين من على وجه الارض بسبب الكبرياء وقدر كاف من الاهانات الوضيعة التى هى معيار الجهل والكسل ، ولا أحد يتذكر الشكل الذى كانوا عليه . ولكن ريبيل كورنرز معروف وشهير وشيكوى وزوجته بنالان الكثير من الرضا والحب .

وكان يوجد مطعم صغير خلف مضخات البنزين ، مطعم به كافتريا وكراسى مستديرة مثبتة بدون مسند للظهر وبه ثلاث مناضد من أجل أولئك الذين يرغبون فى تناول طعامهم بطريقة ما . وهذه المناضد الثلاث لم تكن تستخدم غالبا اذ جرت العادة على اعطاء بقشيش للمدام شيكوى عندما تقدم لك ما تطلب عند المنضدة وليس الامر كذلك اذا قدمت لك ما تطلب عند الكاونتر . وعلى الرف الاول خلف الكاونتر كانت توجد الاقراص والقواقع الحلزونية ولقمة القاضى الحلوة المذاق ، وعلى الرف الثانى كانت توجد معلبات الحساء والبرتقال والموز ، وعلى الرف الثالث صناديق تحوى خبزا رقيقا من القمح ورقائق رفيعة من الارز وحببات العنب وحبوب أخرى مطحونة . وكانت توجد شواية فى أحد الاطراف خلف الكاونتر وبجانبها حوض

للغسيل وبجانب ذلك صنابير البيرة والصودا ، ووحدات الآيس كريم بجانب أولئك ، وعلى نفس الكاونتر وبين صناديق ورق السفرة وفتحات صندوق العملة والملح والفلفل والصلصة كانت الفطائر والشطائر معروضة تحت أغطية كبيرة من البلاستيك . وكانت جدران المطعم مزدانة بالتقاويم وملصقات الحائط التي تعرض مصورا لفتيات لا مثيل لهن في الحياة اليومية من حيث الصدور الناهدة والارداف غير المعتلة - شقراوات وبسراوات وذوات الشعر الاحمر ولكن دائما مع هذا النمو في الصدر حتى ان اى زائر من اجناس اخرى قد يتصور - بسبب اهتمامات الفنان والنظارة - ان بؤرة التناسل موضوعة في الثديين .

وكانت « اليس شيكوى » وهى زوجة جوان شيكوى تعمل بين الفتيات المتألمات . وكانت عريضة الارداف متهدلة الثديين وكانت تسير ملقبة بشقلها الى الخلف على عقبيها . وهى لم تكن غيورة على الاطلاق من فتيات التقويم وفتيات اعلانات الكوكاكولا لانها لم تشاهد ابدا اية فتاة مثلهن وكانت تعتقد ان اى شخص آخر لم يشاهد مثلهن ، وكانت تولى البيض وشرائح لحم الخنزير وتسخن حساء المعلبات وتسحب البيرة وتغرف الآيس كريم ولدى حلول المساء كانت تشعر بالألم فى قدميها مما كان يجعلها حادة المزاج مع الميل الى الشراسة . ومع انقضاء النهار تضع خصلة الشعر المنبسطة من شعرها لدرجة انها تتعلق مبللة ومسببة بجانب وجهها . وهى فى بادىء الامر قد تمشطها بيدها على جانب وأخيرا قد تزيحها بعيدا عن عينيها .

والى جانب المطعم كان يوجد جراج متحول عن دكان الحدادة الاخير . وكان سقفه وعروقه الخشبية ما زالت سوداء بسبب الهباب الناتج عن مصهر الحدادة القديم ، وهنا كان جوان شيكوى يقوم بدور المشرف على العمل فى الفترات التى لا يقود فيها الاوتوبيس بين ريبيل كورنرز وسان جوان دى لاکروز . وكان جوان شيكوى رجلا لطيفا يمتاز بالثبات ويجمع بين الدماء المكسيكية والايرلندية ويبلغ من العمر حوالى خمسين عاما ، له عينان سوداوان صافيتان ورأس غزير الشعر ووجه مكفهر ووسيم . وكانت مدام شيكوى تحبه حبا جنونيا وتخشاه أيضا بعض الشيء لانه كان رجلا ولا يوجد الكثير من الرجال وهذا الامر قد اكتشفه اليس شيكوى : لا يوجد الكثير منهم فى العالم وهذا ما يكتشفه كل فرد ان عاجلا أو آجلا .

وفى الجراج كان جوان شيكوى يقوم بنفخ اطارات السيارات التى

يتسرب منها الهواء وتصريف الهواء الذي تسرب الى مواسير البنزين وتنظيف الكربوريتور من الاتربة التي علقت وتنجرت به وتركيب رداخات جديدة في طلمبات البنزين التالفة علاوة على القيام بالامور الاخرى البسيطة التي يعرفها جمهور الميكانيكا . كل هذه الامور كان يقوم بها اثناء النهار باستثناء الفترة من العاشرة والنصف حتى الرابعة فتلك هي الفترة التي كان يقود فيها الاوتوبيس مقل المسافرين الذين نزلوا في ريبيل كورنرز من الاوتوبيسات « الجريهاوند » الضخمة الى سان جوان دى لاكروز والعودة بالركاب من سان جوان دى لاكروز الى ريبيل كورنرز حيث يستأنفون سفرهم بالاوتوبيس الجريهاوند المتجه شمالا في تمام الساعة الرابعة والدقيقة السادسة والخمسين او بالاوتوبيس الجريهاوند المتجه جنوبا في تمام الساعة الخامسة وسبع عشرة دقيقة .

وفي الفترة التي كان يقود فيها المستر شيكوى الاوتوبيس كان يقوم بواجباته في الجراج عدد متتابع من الصبية او الشبان غير الناضجين الذين هم مجرد صبية تحت التمرين . ولم يكن احد منهم يستمر في العمل لفترة طويلة . ولم يكن الزبائن المتهورون الذين يعانون من اتساخ الكربوريتور يعرفون مقدما مدى الدمار الذي يلحقه هؤلاء الصبية بالكربوريتور . وبينما كان جوان شيكوى نفسه ميكانيكا رائعا كان صبياناه عادة من المراهقين المغرورين الذين يمضون وقتهم ما بين وضع ماركات معدنية في صندوق الفونوغراف الموجود في قاعة الطعام والشجار الخفيف مع اليس شيكوى . وبالنسبة لهؤلاء الشبان كانت الفرصة تلوح دائما لجذبهم غربا نحو لوس انجيلوس وبالطبع نحو هوليوود حيث يتجمع في النهاية جميع المراهقين في العالم .

وخلف الجراج كان يوجد بناءان صغيران ملحقان بالمبنى الرئيسى لهما عريشتان مكتوب على احدهما كلمة « رجال » وعلى الاخرى كلمة « سيدات » ويؤدي الى كل منهما ممر صغير احدهما حول الجانب الايمن للجراج والآخر حول الجانب الايسر منه .

وكانت اشجار البلوط البيضاء العظيمة التي تنمو حول الجراج والمطعم هي التي تحدد مكان ريبيل كورنرز وتجعله واضحا للعيان على بعد اميال بين الحقول المنزرعة . فقد كانت طويلة وباسقة بجذوعها وأطرافها السوداء خضراء مشرقة في الصيف وسوداء متلبدة في الشتاء . وكانت اشجار البلوط هذه بمثابة علامات على الطريق في الوادى الطويل المنبسط . ولا احد يعرف ما اذا كان البلاطين هم الذين غرسوها او ما اذا كانوا قد استقروا بالقرب منها فقط .

ويبدو أن الاحتمال الأخير هو المنطقي بشكل أكبر ، أولا لأن البلائكين لم يعرف عنهم أنهم يزورون أى شيء لا يأكلونه ، وثانيا لأن العمر الزمني يزيد على ثمانين عاما على ما يبدو . وقد يكون عمرها الزمني ٢٠٠ عام وقد تكون جذورها قد نمت في أحد ينابيع المياه الجوفية مما جعلها تنمو بسرعة في هذه المنطقة شبه الصحراوية .

وكانت هذه الأشجار العظيمة تلقى بظلالها على المحطة في فصل الصيف حتي أن المسافرين غالبا ما كانوا يتوقفون بسياراتهم تحتها ويتناولون غذاءهم ويبردون موتورات سياراتهم التي تزايدت سخونتها . وكانت المحطة ذاتها بهيئة لطيفة أيضا ومطلية بطلاء لامع باللونين الأخضر والاحمر ، صف عميق من نباتات الخبيزة الأفرنجية حول المطعم من جميع الاتجاهات خبيرة أفرنجية حمراء اللون وأوراق خضراء قائمة كثيفة كالسياج . وكان الحصى الأبيض أمام وحول مضخات البنزين ينثر ويسوى يوميا . وفي المطعم وفي الجراج كان يسود النظام والترتيب . مثال ذلك أن معلبات الحساء وصناديق الحبوب بل والكريب فروت كانت مرتبة على الرفوف في المطعم على شكل أهرامات صغيرة ، أربعة على مستوى القاعدة ثم ثلاثة ثم اثنين وواحدة متوازنة على القمة . وكان نفس هذا النظام ينطبق على علب الزيت في الجراج كما كانت سيور المروحة معلقة طبقا لأحجامها على منسamer . وكان المكان يلقي عناية واهتماما الي حد بعيد . فنوافذ المطعم كانت مزودة بشبكة من السلك لمنع دخول الذباب كما كان الباب المزود بشبكة من السلك يفلق تلقائيا عقب كل دخول أو خروج . لأن اليس شيكوى كانت تكره الذباب ، فقد كان الذباب هو العبء الأخير الملقى على كاهل اليس شيكوى في عالم لم يكن من السهل عليها أن تحمله أو تفهمه . إذ كانت تكره الذباب كراهية شديدة وكان موت ذبابة بضاربة الذباب أو إختناقها ببطء في المادة اللزجة بورق الذباب يعطيها لذة مشيرة .

ومثلما كان لجوان عادة أعداد متسابعة من الصبية الصغار لمساعدته في الجراج كانت اليس أيضا تستأجر عددا متساعبا من الفتيات لمساعدتها في قاعة الطعام . وهؤلاء الفتيات كن غبيسات ومفرقات في الخيال وحالمات وغير جذابات والجميلات منهن كن يغادرن المكان مع الزبائن في خلال أيام قليلة - وكن ينجزن القليل في مجال العمل على ما يبدو . وكن ينشرن القاذورات حولهن بملابسهن المبللة . وكن مفرمات بمجلات السينما ويتنهدن مع الفونوغراف الكهربائي - وأحدث فتاة كانت لها عينان محتقنان باللون الأحمر ورأس كثيب

حزين وكانت تكتب خطابات عاطفية مطولة لكларك جيبيل . وكانت
اليس شيكوى تتهم كل فتاة منهن بأنها تسمح بدخول الذباب .
وقد شعرت نورما وهي أحدث فتاة - بوقع لسان اليس شيكوى
مرات عديدة بسبب الذباب . .

وكان روتين الحياة في الكورنرز في الصباح لا يتغير . فمع أول
شعاع لضوء النهار أو حتى قبل دخول ضوء النهار في الشتاء الى
المطعم كانت اليس تسخن كئكة القهوة « تمثال عظيم من الفضة يشبه
الاله قد يعرض في احدى فترات التاريخ المقبلة كمعبود لأجناس
الأمودكينز التي اختفت من على وجه الارض - وهي أجناس سابقة
على أجناس عصر الذرة - لسبب ما غير معروف » . وكان المطعم
يتميز بالدفء والبهجة عندما تتوقف المجموعة الاولى من سائقي
اللوريات وهم متعبون لتناول طعام الافطار . وبعدئذ كان يجيء
الباعة الذين بدأوا مشوارهم في الظلام متجهين الى مدن الجنوب لكي
يكون لديهم نهار كامل من العمل . وكان الباعة يعرفون دائما أماكن
وقوف عربات النقل ويتوقفون عندها لانه من المعتقد بوجه عام أن
سائقي سيارات النقل يعرفون جيدا أفضل الأماكن التي تقدم القهوة
والطعام في الاستراحات على الطريق . ومع بزوغ الشمس كانت
تتوافد الافواج الاولى من السياح بعرباتهم الخاصة لتناول الافطار
والتزود بالمعلومات عن الطريق .

ولم يكن السياح الوافدون من الشمال يثرون كثيرا شغف نورما
واهتمامها . ولكن أولئك القادمون من الجنوب أو أولئك القادمون
عبر الطريق المختصر من سان جوان دي لاكروز والذين ربما شاهدوا
هوليوود كانوا يثرون اعجابها . ولقد قابلت نورما شخصا في خلال
اربعة شهور خمسة عشر شخصا ممن شاهدوا هوليوود ، خمسة
منهم كانوا في استوديو للتصوير السينمائي واثنان منهم شاهدوا
كلارك جيبيل مشاهدة العيان وجهها لوجه . وبوحي من هذين
الشخصين الآخرين اللذين وصلا في وقت متقارب للغاية كتبت نورما
خطابا من اثنتي عشرة صفحة بدأته بـ « عزيزي المستر جيبيل » وأنهته
بقولها « المخلصة المولدة في حبك : صديقة » . وهي غالبا ما كانت
ترتجف لدي اعتقادها أن المستر جيبيل قد يكتشف انها هي التي
كتبت الخطاب .

لقد كانت نورما فتاة مخلصة . وليجري الآخرون السخفاء وراء
النجوم الصاعدين حديثا نحو الشهرة من أمثال فرانك سيناترا وفان
جونن وسوني تافت . وحتى أثناء الحرب عندما لم تكن هناك أفلام

لكلارك جيبل ظلت نورما مخلصه له محتفظة بعلمها دافئا مع صورة
بالالوان للمستتر جيبل وهو مرتد حلة طيران مع حزامين بهمساً
خمسون طلقة ذخيرة على كتفيه .

وكثيرا ما كانت تسخر من أنصار سوني تافت . فقد كانت تحب
الرجال الاكبر سنا من ذوى الوجوه الممتعة . وهى فى بعض الاحيان
عندما كانت تمسح الكاونتر جيئة وذهابا بالخرقة المبللة كانت عيناها
المتسعان بالاحلام تتركزان على الباب المزود بشاشة من الاسلاك
وتقلص عيناها الشاحبتان ثم تغلقهما للحظات قصيرة وعندئذ
يمكنك ان تدرك انه فى تلك الحديقة السرية فى رأسها قد دخل جيبل
المطعم لتوه وشهق عندما رآها ووقف هنالك عند الباب وقد انفرجت
شفته قليلا وفى عينيه اعتراف بأن هذه المرأة هى امراته . ومن
حوله يدخل الذباب ويخرج فى حرية دون اعتراض او عقاب .
ولم يكن خيالها يسرح الى ما وراء ذلك . اذ كانت نورما خجولة
للفاية . وهى الى جانب ذلك لم تكن تعرف الطريقة التى تتم بها
مثل هذه الامور . فالممارسة الحقيقية للحب فى حياتها كانت مجرد
سلسلة من مباريات المصارعة الهدف منها ان تظل مرتدية ملابسها فى
المقعد الخلفى بالسيارة . ودائما ما كانت تكسب الجولة الى حد بعيد
بمجرد التركيز العادى البسيط . وكانت تشعر ان المستر جيبل لن
يفعل مثل هذه الامور ولن يحب مثل هذه الامور اذا سمع عنها .
وكانت نورما ترتدى ثياب الفسيل التى لها سمات محلات
الناشونال دولار ولو انها كانت تمتلك بالطبع ثوبا من الساتان من
اجل الحفلات . ولكنك لو دقت النظر عن كثب لوجدت باستمرار
مسحة من الجمال حتى فى ثياب الفسيل ، اما الدبوس الفضى
المكسيكى الخاص بها وهو يمثل حجر التقويم فى حضارة الازاتقة فقد
ترك لها طبقا لوصية خالتها بعد ان عملت نورما كمرضة لها لمدة
سبعة شهور ولقد كانت ترغب فعلا فى ان تأخذ القميص المصنوع من
السيلسكين والخاتم المرصع بالفيروز واللالىء الغريبة الشكل ولكن
هذه الاشياء آلت الى فرع آخر من الاسرة . وحصلت نورما ايضا
على مسبحة بها حبات كهربان صغيرة . وهى لم تلبس مطلقا الدبوس
المكسيكى وحبات الكهربان فى آن واحد . وعلاوة على هذه الاشياء
كانت نورما تمتلك قطعتين من المجوهرات تأخذ بالالباب تماما وكانت
تعرف انهما جميلتان للفاية . وفى عمق حقيبة سفرها الصغيرة كانت
تحتفظ بخاتم زواج مكتنز بالذهب وخاتم آخر ضخم من الماس
من الطراز البرازيلى وقد تكلف كلاهما خمسة دولارات ، وكانت

تلبسهما عندما تذهب للفراش فقط . وفي الصباح كانت تخلبهما وتخبثهما في حقيبة سفرها . ولا أحد في العالم يعرف أنها تمتلكهما . وعندما تذهب للفراش للنوم كانت تبرمهما ليستقبرا حول الاصبع الاوسط ليدها اليسرى .

وكانت ترتيبات النوم في الكورنرز بسيطة . فخلف صالة الطعام مباشرة كان يوجد جناح ملحق بالمبنى له مظلة خشبية . وفي نهاية الكاونتر الذى يقدم عليه الطعام كان يوجد باب يؤدى الى غرفة نوم ا. جلوس آل شيكوى وهى غرفة بها سرير مزدوج عليه مفروش أفغانستاني وراديو يرتكز على دعامة في الحائط وكريسيان بهما كمية كبيرة من مواد التنجيد وكنبة كبيرة من النوع الذى يمكن أن يتحول الى سرير - ومجموعة هذه الاشياء تسمى طقم - ولبة للقراءة من المعدن لها برنيطة ذات زجاج أخضر مرمرى . وكان باب غرفة نورما يؤدى الى هذه الغرفة . اذ كان من رأى اليس أنه ينبغي مراقبة الفتيات الصغيرات بعض الشيء وعدم السماح لهن بالتهور والانغماس في الملذات . فكان على نورما أن تمر بغرفة آل شيكوى اذا ما أرادت الذهاب الى الحمام - أو عليها أن تمر من النافذة وهذا ما كانت تفعله عادة . أما غرفة الصبي الميكانيكى فكانت بجوار غرفة آل شيكوى من الجهة الأخرى ولكن كان لها مدخل خارجى . وكان الصبي يستخدم الغرفة الصغيرة المغطاة بالعريشة والمكتوب عليها كلمة « رجال » خلف الجراج .

لقد كانت مجموعة من الابنية الجميلة المرتبطة مع بعضها البعض . كان الريبيل كورنرز أيام البلاتكين مكانا تعيشا قدرا مرييا ولكن شيكوى وزوجته ازدهرا هنا فقد كانت هناك أموال في البنك بالإضافة الى قدر من الامن والسعادة .

وتان من السهل رؤية هذا المكان المنمزل المغطى بالاشجار الضخمة على بعد أميال . لذلك لم يضطر أحد على الاطلاق ان ينظر الى علامات الطريق الارشادية للعثور على ريبيل كورنرز والطريق المؤدى الى سان جوان دى لاكروز . ففي الوادى العظيم كانت حقول القمح منبسطة وممتدة نحو الشرق الى سفوح التلال ثم الى الجبال الشاهقة ، وكانت تنتهى من جهة الغرب على مسافة قريبة عند التلال المستديرة حيث اشجار البلوط المليئة بالحياة قابعة في بقعسة سوداء غير منتظمة . وفي الصيف كانت الحرارة والسخونة الصفراء تومض وتحرق وتلمع فوق التلال الحارقة فكانت ظلال الاشجار العظيمة فوق « الكورنرز » شيئا يتطلع اليه الانسان ويتذكره . أما

في الشتاء عندما كانت تتساقط الامطار الفزيرة كان المطعم مكانا دافئا لتناول القهوة والفلفل الاحمر والفطائر المحشوة .

وفي اوج الربيع عندما كان العشب اخضر فوق الحقول وعلى سفوح التلال وعندما كانت اشجار الترمس والخشخاش تضيفي الوانا رائعة زرقاء وذهبية على اديم الارض عندئذ لم يكن هناك مكان اكثر جمالا على وجه الارض . وكان جماله من النوع الذي لا يمكن ان تتجاهله بسبب الاعتياد عليه . اذ كان يأسرك من العلق في الصباح ويعطيك آلام المتعة في قم المعدة عندما تغيب عليه الشمس . فالرائحة الذكية لنباتات الترمس والاعشاب كانت تجعل المرء يتنفس بصعوبة بل ويكاد يلهث جنسيا . وفي ذلك الوقت من فصل الازهار والنمو وقبل بدوغ ضوء النهار خرج جوان شيكوى الى الاوتوبيس حاملا فانوسا كهربائيا وسار وراه بيميلز كارسون صبي الميكانيكي الذي يعمل معه متعشرا في نوع وكسل .

وكانت نوافذ صالة الطعام ما زالت مظلمة . وعلى التلال الشرقية لم تكن حتى الالوان الرمادية قد تكونت . وكان قدر كبير من الليل مهيمنا حتى ان طيور البوم كانت ما تزال تنمق فوق الحقول . واقترب جوان شيكوى من الاوتوبيس الواقف امام الجراج . وكان الاوتوبيس تحت ضوء الفانوس يشبه بالونا كبيرا له نوافذ فضية . وكان بيريلز كارسون الذي ما زال في الحقيقة غير مستيقظ يقف مرتعشا وقد وضع يديه في جيبه لان الجو كان باردا ولكن لانه كان غارقا في النوم .

وهبت نسمة على الحقول وحملت معها رائحة الترمس ورائحة الارض التي تبشر بالانتاج السريع .

الفصل الثانى

كان الفانوس الكهربائى بقبعته التى تعكس الضوء لاسفل يضيء بشدة على السيقان والاقدام وجذوع الاشجار القريبة من الارض . وكان يتحرك حركات سريعة قصيرة فى تأرجح لأعلى ولأسفل . وكانت لبته تتألق بالضوء الابيض الازرق الذى يؤذى البصر . وحمل جوان شيكوى فانوسه الى الجراج واستخرج حزمة من المفاتيح من جيب الأفرول الذى يرتديه وعثر على المفتاح الخاص بالقفل وفتح الابواب العريضة . وأضاء اللبة الكهربائية المتدلية من السقف فوق الرموس ثم أطفأ فانوسه .

والتقط جوان طاقة مخططة من النوع الذى يرتديه الميكانيكيون من فوق نضد العمل وارتدى أفرول هيدلايت به أضرار كبيرة من النحاس الأصفر فوق المريلة والعروات الجانبية وارتدى فوق الأفرول جاكيت من جلد حصان أسود محاكاة به أسورتان سوداوتان ورقبة سوداء . أما حداؤه فكان من النوع الشديد الصلابة المستدير من الامام وذا نعل سميك للغاية حتى أنك تحسبه متورما . وكانت هناك ندبة غائرة قديمة على خده بجواز انفه الكبير فظهرت كالظل تحت الضوء المتدلى من السقف . وجرى بأصابعه بين شعره الكثيف الاسود لتجميعه كله تحت طاقة الميكانيكى التى يلبسها . وكانت يداه قصيرتين وهريضتين وقويتين وذات أصابع مربعة مفرطحة بسبب العمل وبها تشققات والتواءات لما وقع عليها من ضربات المطرقة وما أصابها من جروح . ولقد فقد العقلة الاولى للأصبع الوسطى من يده اليسرى فنها اللحم قليلا فى مكان القطع كالكرة الصغيرة وكانت هذه الكرة متدلية ولامعة ولها نسيج مختلف عن باقى نسيج الاصبع كما لو أن العقلة كانت تحاول أن يصبح رأسا للأصبع . وعلى هذا الاصبع كان يلبس نخاتم زواج هريض من الذهب كما لو أن هذا الاصبع لم يعد يصلح للعمل وينبغى أن يستخدم للزينة . . .

وكان يتدلى من فتحة صغيرة فى مريلة الأفرول قلم رصاص ومسطرة ومقياس لقياس الضغط فى اطارات السيارات . وكان جوان شيكوى حليق اللحية والشارب ولكن ليس منذ الامس . وعلى طول جوانب ذقنه وعلى رقبعته كانت السوالف المقبلة التى يعطوها الشيب واللون الابيض تشبه سوالف كلب عجوز من نوع الايردیل .

وكان هذا ظاهرا بشكل واضح لأن بقية ذقنه كانت شديدة السواد. وكانت عيناه السوداوان تحولان بشكل فكا هي بنفس الطريقة التي تصاب بها عيننا رجل بالحول عندما يدخن سيجارة ولا يتمكن من أخذها من فمه . وكان فم جوان ممثلا وحسنا : فم مستترخ وشفته السفلى منفرجة قليلا ليس في مشاكسة وحدة مزاج ولكن في مزاج وثقة بالنفس وشفته العليا جميلة باستثناء الجانب الأيسر منها حيث كانت توجد ندبة غائرة يغلّب عليها اللون الأبيض مما يتعارض مع اللون الأحمر الوردي للشفة . ولابد أن الشفة قد قطعت بالطول من أولها لآخرها فأصبح هذا الشريط الرفيع المشدود الأبيض اللون تشويها لكمال الشفة وامثلتها اذ جعلها تتكوم في ثنيات صغيرة على كلا الجانبين . ولم تكن الأذناه كبيرتين للغاية ولكنهما كانتا تطلان بشدة من رأسه مثل أصداف البحر ، أو كانتا في الوضع الذي يمسك بهما رجل بيديه اذا أراد أن يسمع بوضوح أكثر . لذلك كان جوان يبدو وكأنه ينصت بعمق في جميع الاوقات . بينما تبدو عيناه المصابتان بالحول كأنهما تضحكان مما سمع ، في حين أن نصف فمه يبدو كأنه لا يوافق . وكانت حركاته توحى بالثقة حتى عندما كان لا يفعل أي شيء يتطلب الثقة واليقين . وكان يسير كما لو كان يقصد مكانا ما محددًا . وكانت يدها تتحركان في سرعة ودقة ولم يحدث أبدا أن تحركت يدها حركات لا هدف منها مثل العبث بعيدان الثقاب أو بالاظافر وكانت أسنانه طويلة وأطرافها مغطاة بالذهب مما كان يعطى ابتسامته قدرا ضئيلا من الوحشية .

وعند منضدة ورشته التقط بعض الأدوات المعلقة على مسامير في الحائط ووضعها في صندوق طويل مستو : مفاتيح وزرديات ومفكات ومشاقيب وشواكيش وخراطة . وكان يميلز كارسون وأقفا الى جواره وهو ما زال متشاغلا بالنوم وكان مرتكزا بمرقعه على منضدة الورشة المشبعة بالزيوت . وكان يميلز يرتدى سويتير لاحد نوادي الدراجات البخارية وقبعة من لباد شرشر عند الأطراف . لقد كان صبيا هزيلا ذا خصر نحيل ويبلغ من العمر سبعة عشر عاما وكان ضيق الاكتاف ذا أنف ثعلبي طويل وكانت عيناه الشاحبتان في الصباح تتخذان اللون البني ، الأخضر فيما بعد أثناء النهار وعلى خديه كان يوجد زغب ذهبي اللون وكان خداه متشققين مكتنزين متأكلين بسبب البثور وحب الشباب . ومن بين الندبات القديمة كانت تتكون بثور جذيدة قرمزية وحمراء ينمو بعضها ويتفاقم والبعض الآخر يدل

ويضمحل . وكانت بشرته لامعة بسبب الادوية التي كانت تباع لعلاج هذه الحالة ولا تأتي بالنتيجة المرجوة على الاطلاق . .

وكانت البلوجينز التي يرتديها يميلر ضيقة وطويلة للغاية حتى انها كانت مطوية من أسفل عشر بوصات . وكانت موثقة بخصره النحيل بواسطة حزام عريض من الجلد له مشبك جميل ومزود بإبريم من الفضة سميك ومنقوش ومرصع بأربعة فصوص من الفيروز . وكان يميلر يضع يده في وسطه بقدر الامكان ولكن أصابعه قد تتحرك رغما عنه الى خديه المليئين بالبثور وما أن يتنبه الى ما تفعله يده حتى ينزل يديه مرة ثانية . ولقد كتب خطابات الى كل شركة اعلنت عن علاج لحب الشباب كما ذهب الى العديد من الاطباء الذين كانوا يدركون أنهم لن يتمكنوا من شفاء هذه الحالة ولكنهم كانوا يعرفون أيضا أنه من المحتمل أن تندثر البثور وتلاشى خلال سنوات قليلة . وهم مع ذلك كانوا يعطون يميلر روشتات مكتوب بها المبراهم والدهانات وأنواع الفسول ونصحهم بتناول الكثير من الخضراوات الطازجة غير المطبوخة .

وكانت عيناه طويلتين وضيقتين ومنحرفتين مثل عيني ذئب نائم . وفي هذا الصباح المبكر كانت عيناه شبه مغلقتين بالمواد المخاطية . وكان يميلر يعشق النوم الكثير الى حد بعيد . فهو اذا ما ترك له العنان لينفذ حيله وتدبيره فانه ينام كل الوقت تقريبا . وكان جسده وروحه أرضا لمعركة عنيفة من معارك المراهقة . فقد كان يموج دائما بالرغبة الجنسية العارمة وعندما لا تأخذ هذه الرغبة طابعا لاجنسيا بطريقة مباشرة وعلنية فانها تنزع الى المناخوليا والمشاعر العميقة الممزقة او الى حالة من التدين القوى الذي تنبعث منه رائحة المسك والعطر . وكان عقله وعواطفه مثل وجهه من حيث دوام الانفجار والتهيج . وكان يشهد اوقاتا من العفة والطهارة عندما كان يثور على فساد وفجوره . وعادة ما كان يعقب حالات الفساد والفجور كسل ممزوج بالجنون الصامت مما كان ينهك قواه وعندئذ كان ينتقل من حالة الهم وانتقياض النفس الى النوم العميق . وكانت هذه الحالة تجعله مخدرا ومتبلدا لفترة طويلة .

وفي ذلك الصباح كان يلبس في قدميه حذاء ماركة اكسفورد ذا لونين : بني وأبيض بأصبع بدون جورب . وكان رسغاه ظاهرين تحت البلوجينز المطوية وكان لونهما مختلفا بسبب القدارة والاتساخ . فهو في فترات الهم وانتقياض النفس يكون منهك القوى الى الحد الذي لا يستطيع معه الاستحمام او حتى تناول كمية كبيرة من

الطعام . ولم تكن قبعته التى تحز بقوة فى البشرة من أجل الوضامة وحسن المنظر ولكنها كانت تعينه على ابعاد شعره الطويل البنى الفاتح عن عينيه وابعاد الشحوم والزيوت عن شعره أثناء عمله تحت السيارات . ولقد وقف فى ذلك الصباح يرقب فى غياب جوان شيكوى وهو يضع الآلات فى صندوقه بينما راح عقله يتمرغ فى سحب متلبدة كثيفة من النوم وهى سحب تكاد تعرضه للمرض بسبب قوتها . وقال جوان « أوصل مصباح الشغل بالسلك الطويل . حرك نفسك يا بيميلز . أسرع الآن واستيقظ » .

وبدا على بيميلز أنه يهز نفسه كما يفعل الكلب . وقال موضعا « يبدو أننى لا أستطيع التيقظ والتخلص من النوم » . « حسنا أخرج المصباح الى هناك وأخرج لوحتى الخشبية فقد آن لنا أن نذهب الآن » .

فالتقط بيميلز المصباح اليدوى المغلف بشبكة من السلك لحماية زجاجه وبدأ يفك الكابل الثقيل المغلف بعازل من المطاط من حول مقبض المصباح ثم أوصل السلك بفيشة الكهرباء القريبة من الباب فقفز الضوء متألقا من المصباح اليدوى . ورفع جوان صندوق الآلات الخاص به وخرج من الباب ونظر الى السماء المعتمة . لقد طرا تغيير على الهواء . فقد ظهرت ريح خفيفة محركة الاوراق الحديثة فى أشجار البلوط ومعدئة حركة بسيطة بين نباتات الخبيزة الافرنجية . لقد كانت ريحا متقلبة منذرة بالمطر . فوقف جوان يشمها كما لو كان يشم زهرة .

وقال « يا الهى .. لو امطرت سيكون المطر غزيرا مدارا » . وكانت قمم الجبال فى اتجاه الشرق قد بدأت تظهر معالمها مع بدوغ الفجر . وخرج بيميلز حاملا مصباح اليد المضيء ونشر الكابل خلفه على الارض فظهرت الاشجار العظيمة فى وضوح انما انعكس الضوء على الاوراق الخضراء / الصفراء لاشجار البلوط الجديدة الصغيرة . وأخذ بيميلز مصباحه الى الاوتوبيس وطلق راجعا الى الجسراج لاحضار اللوح الخشبي الطويل ذى العجلات المثبتة من أسفل والذي يسمح للانسان بالاستلقاء عليه وتحريك نفسه من مكان لآخر أثناء العمل تحت السيارة . وألقى باللوح على الارض بجانب الاوتوبيس . وقال « حسنا . يبدو أنها ستمطر . انها تمطر سنويا فى مثل هذا الفصل من كل عام » .

فقال جوان « اننى لا أشكو من هذا الفصل ولكنى أشكو من هذا

الترس المراد اصلاحه بينما المسافرون منتظرون والارض تكون مثل
العجين بفعل المطر » .

وقال يميلز « المطر يؤدي الى ظهور الاعشاب الجيدة للماشية »
فتوقف جوان عن العمل ونظر نحوه وقد تجعدت عيناه في لهو وتسلية
وقال « اكيد . من المؤكد انها تفعل ذلك » فأشاح يميلز بوجهه في
خجل وارتباك .

وكان الاوتوبيس مضاء آنثذ بالمصباح اليدوي وبدا عجيبا لا حول
له ولا قوة . ففي مكان العجلات الخلفية كان يوجد حصانان ثقيلان
من الخشب وبدلا من أن تتركز مؤخرة الاوتوبيس على محاور العجل
فانها كانت تتركز على أربعة في أربعة ممتدة من حصان لآخر .
لقد كان اوتوبيسا قديما به محرك ذو أربعة أسطوانات ضغط
منخفض بفتيس حديث مما كان يعطيه خمسة سرعات للامام بدلا من
ثلاثة اثنتان منهم تحت معدل السرعة المتوسطة واثنتان فوق معدل
السرعة المتوسطة . وكانت الجوانب البالونية للاوتوبيس ثقيلة ولامعة
بسبب طلاء الالمونيوم . ولكنها مع ذلك كانت تظهر النتوءات
والالتواءات والتحطيم والخدوش مما يدل على أن له تاريخا طويلا
حافلا بالعنف . فالطلاء اليدوي لسيارة قديمة يجعلها تبدو أكثر
قدما وأشد رداءة عما لو تركت على حالتها الطبيعية بما في ذلك
من صدا يبعث على التكريم والاحترام .

ولقد أعيد بناء الاوتوبيس من الداخل أيضا . فالمقاعد التي كانت
في يوم ما منسوجة من قش الخيزران قد جرى تنجيدها بقماش
مشمع احمر اللون . ومع أن هذه العملية قد تمت بطريقة أنيقة
ونظيفة الا انها لم تتم بطريقة حرفية فنية . فقد كان الجو يموج
برائحة حمضية خفيفة متبعثة من القماش المشمع بالاضافة الى
رائحة الزيت والبنزين التي تنفذ بشكل واضح . لقد كان اوتوبيسا
قديما للغاية وشهد رحلات عديدة وصعاب كثيرة . كانت أرضيته
المصنوعة من خشب البلوط مقورة ولامعة بفعل اقدام المسافرين
وكانت جوانبه منشئية ثم قومت وأصلح من شأنها . أما نوافذه فكان
يصعب فتحها نظرا لان هيكله بأكمله قد تعرض للتلف مما غير في
شكله . فكان جوان ينزع النوافذ في الصيف ثم يقوم بتركيبها مرة
أخرى في الشتاء .

وكان التمزق في مقعد السائق قد وصل في العمق الى
السوست اللولبية ولكن كانت توجد مخدة ذات قماش شيت وردي
في المكان الممزق لتحقيق هدفا مزدوجا : حماية السائق وإبقاء

السوست اللولبية لأسفل . وفي أعلى الزجاج الامامى للاوتوبيس كانت تتدلى الاشياء المقدسة : حذاء طفل رضيع - وذلك من أجل الحماية لان القدم المتعثرة لطفل رضيع تتطلب العون المستمر من الله ، وقفاز ملاكمة صغير للغاية . وذلك من أجل القسوة ، قوة قبضة اليد على عجلة القيادة وقوة البستم (المكبس) فى دفع الذراع بين المكبس والكرنك ، وقوة الانسان من حيث هو فرد مسئول وفخور . وكانت تتدلى عند الزجاج الامامى للاوتوبيس دمية صغيرة من البلاستيك فى شكل عروسة لها غطاء للرأس من ريش النعام الاحمر الزاهى وتتردى ساريا هنديا مثيرا . وكانت هذه الدمية من أجل ملذات الجنس والعين والانف والاذن . وعندما يكون الاوتوبيس فى حالة حركة فان هذه الاشياء المعلقة تدور وتتحرك وتتأرجح أمام عيني السائق .

وعند منتصف الزجاج الامامى للاوتوبيس وفوق المراة الداخلية مباشرة كان يوجد تمثال صغير معدنى لعذراء جاداليوب مطلية باللوان زاهية ولها أشعة ذهبية ورداء أزرق اللون وتقف على هلال يرفعه ملائكة . وكان هذا التمثال هو ما يربط جوان شيكوى بالأبدية والخلود . فقد كانت علاقته بالدين بسيطة من حيث ارتباط الدين بالكنيسة والعقيدة كما كانت علاقته بالدين قوية من حيث أن الدين ذكرى ومشاعر . فهذه العذراء السوداء كانت بمثابة أمه وبمشابة البيت المعتم الذى زبته فيه والدته التى كانت تتحدث الاسبانية بلهجة ايرلندية . لان أمه قد اتخذت من عذراء جاداليوب آلهة لها . فقد خرج من فؤادها القديس باتريك والقديس بريدجيت والعشرة آلاف عذراء الشاحبات اللون المنتميات « للشمال » ونفذت الى كيائها هذه العذراء السوداء التى تسرى الدماء فى عروقها والتى لها علاقة وطيدة بالناس .

لقد أعجبت أمه بهذه العذراء السوداء الخاصة بها والتى يحفل الناس بعيدها باطلاق الصواريخ الملونة الى عنان السماء . وبالطبع لم يفكر والد جوان شيكوى المكسيكى فى هذا الامر بطريقة أو بأخرى . فمن يظن غير ذلك ؟ فمن الواضح أن الانبوبة الصاعدة ذات الازين كانت الروح الصاعدة الى الله أما الفرقة الهائلة المتوهجة عند القمة فهى الدخول الدرامى الى قاعة عرش الاله . ومع أن جوان شيكوى غير مؤمن بالارثوذكسية - وقد بلغ آتئذ من العمر خمسين عاما ،

الا انه قد يشعر بالقلق لو انه قاد الاوتوبيس بدون جودالوبانا لترقبه وترعاه في عناية . فقد كان دينه من النوع العملي .

وتحت العذراء كان يوجد صندوق هو في الاصل صندوق قفاز وفي هذا الصندوق كان يوجد مسدس ماركة سميث ويسون عيار ٤٥ كما كان يوجد به زجاجة صبغة يود وأربطة وزجاجة لافاندر . لها رائحة الاملاح ونصف لتر غير مفتوح من الويسكي . فوجد هذه الاشياء كان يعطى جوان شعورا بالثقة والمقدرة على مواجهة معظم المواقف .

وكان الاكصدام الامامى للاوتوبيس به عبارة ما زال بالامكان قراءتها بصعوبة « قوة المسيح العظمى » ولكن هذه العبارة كان قد كتبها احد ملاك الاوتوبيس السابقين اما الان فقد كتبت في جراحة الكلمة البسيطة « سويت هارت » على الاكصدام الامامى والخلفى . ثم عُرف الاوتوبيس باسم « سويت هارت » بين كل من عرفوه . وكان الاوتوبيس أثقل غير قادر على الحركة فمجلاته الخلفية مرفوعة ومؤخرته مصوبة لاعلى في الهواء ومركزة على أربعة × أربعة بين حصانين من الخشب .

وأخذ جوان شيكوى الترس الخلفى الجديد وبعض الثروس الصغيرة وراح يدحرجها مع بعضها البعض في حرص وعناية وقال ليميلز « قرب الضوء ولف الترس الصغير لفة كاملة . اذكر اننى ذات مرة وضعت ترسا خلفيا صغيرا جديدا على ترس صغير قديم وسارت الامور على ما يرام » .

فقال بيميلز « من المؤكد ان الثروس المتأكلة تحدث صوتا وهو صوت كانه ينبعث من باطن الارض نحوك ليهاجمك . وما الذى كسر تلك السنة فيما تظن ؟ » .

فامسك جوان الترس الحلقى بالعرض امام الضوء وادار الترس الصغير في بطنه وفحص توائم كل سنة مع غيرها اثناء الدوران وقال « لا ادري . فهناك امور لا يعرفها احد عن المعادن وعن الماكينات ايضا . خذ مثلاً : فورد . ان شركة فورد اذا اخرجت للسوق مائة سيارة تكون اثنتان منها او ثلاثة غير سليمة بالمرّة . بمعنى انه لا يوجد شيء واحد فقط غير سليم بالسيارة ولكن السيارة بأسرها تكون غير سليمة : السست والموتور ومضخة المياه والمروحة والكربوريتور . وهى تضعف وتتخاذل تدريجيا ولا احد يعرف السبب في ذلك . وقد يختار المرء سيارة أخرى من بين صف السيارات على وجه

السرعة وقد يظن أنها تشبه باقى السيارات تماما ولكنها ليست كذلك . فهي قد زودت بشيء غير موجود فى السيارات الأخرى فهي أكثر قوة وهي تقريبا . تشبه الشخص المزود بقدر أكبر من الامعاء ولذلك فهي لا تتعطل فى الطريق ولا تنكسر مهما فعلت » .

فقال بيميلز « لقد كان عندي واحدة من هذا النوع . موديل A ثم بعته . وأراهن على أنها ما زالت تجرى . لقد احتفظت بها لمدة ثلاث سنوات ولم أنفق عليها دائما واحدا » .

ووضع جوان الترس الحلقى والصغير على سنام الأوتوبيس والتقط الترس الحلقى القديم من على الأرض . ونحسب بأصبعه المكان الخام الذى كسرت منه السنة . وقال « المعدن مادة غريبة . اذ يبدو أحيانا أنها قد أصيب بالإرهاق والتعب . تصور أنهم فى المكسيك - وهي البلد التى جئت منها - تعودوا أن يكون عندهم سكينتان أو ثلاث من سكاكين الجزارة وهم يستخدمون واحدة منها فقط ويفرزون الأخريات فى الأرض ويقولون أن ذلك يريح السلاح . ولست أدري مدى صحة هذا الاعتقاد ولكنى أعرف أن تلك السكاكين المفروزة فى الأرض يصبح نصلها ناعما قاطعا . وأظن أن أحسدا لا يعرف الكثير من المعادن حتى أولئك الذين يصنعونها ، ولنضع الآن هذا الترس على هامود الاسطوانة . هنا . أحضر الضوء وركزه هنا » .

ووضع جوان اللوح الخشبي الصغير خلف الأوتوبيس ونام عليه مستلقيا على ظهره وانزلق بسرعة تحته بمساعدة قدميه . « صوب الضوء قليلا جهة اليسار . لا . الى أعلى من ذلك . هناك . والآن ادفع الى صندوق الآلات الخاص بى . ممكن ؟ » .

وانهمكت يدا جوان فى العمل وتساقط قدر ضئيل من الزيت على وجنته فمسحها بظهر يده وقال « هذه مهنة وضيعة » .

وحملق بيميلز من تحت الأوتوبيس اليه وقال « ربما أستطيع تسليط الضوء بزاوية على تلك الصامولة » . فقال جوان : « أوه . عليك أن تحركه بعد دقيقة » . وقال بيميلز « آمل أن تجعله يسير اليوم . فأنا أرغب فى النوم فى سريرى الخاص بى الليلة . فالمرء لا يستطيع أن ينام مستريحا فوق كرسي » .

فضحك جوان فى فتور « هل سبق لك ان رأيت فى حياتك أناسا أكثر جنونا من هؤلاء الناس عندما اضطربنا للرجوع عقب انكسار ذلك الترس ؟ قد تظن اننى تعمدت ذلك . وقد وصل جنونهم

الى الحد الذي جعلهم يضايقون آليس ويسيثون الى الفطائر التي صنعتها واظن انهم اعتقدوا انها هي التي رتبت ذلك . فالناس عندما يكونوا على سفر لا يحبون ان يعطلمهم أي شيء » .
فقال بيميلز معلقا « حسنا . لقد حصلوا على أسرتنا . ولست أدري ما الذي جعلهم يحتجون ويشتكون بصوت مرتفع . فالدين ناموا في الكراسي هم : أنت وأنا وآليس ونورما . وكان أسوأهم آل برتشارد ، ولست أقصد ميلدريد - الفتاة - ولكني أقصد أبوها العجوز وأمها العجوز . فهما يتصوران انهما قد أصبحا كالفجر بطريقة ما . فالمستر برتشارد قال لي ألف مرة أنه مدير وشخص مهم وأنه سيجعل شخصا ما يعاني عقابا له على ما حدث . وقال أن الذي حدث يعتبر اساءة واهانة . ولقد حصل هو وزوجته على سريرك . وأين نامت ابنتهما ميلدريد ؟ » ومع هذا التساؤل لمعت عينا بيميلز بعض الشيء .

فقال جوان « اظن على الكنية الطويلة او ربما مع أبيها وأمها . أما ذلك الشخص الذي يعمل في شركة الحيل الخداعة فقد نام على سرير نورما » .

فقال بيميلز « لقد شعرت بالارتياح نحو هذا الشخص . فهو لم يقل كلاما كثيرا . وقال أنه سينهض بسرعة ولم يتكلم عن مهنته أو حرفته . ولكن آل برتشارد اثاروا ضجة حول ما حدث باستثناء ميلدريد . اتعرف الى اين هم ذاهبون يا مستر شيكوى ؟ . انهم ذاهبون في رحلة جنوبا الى المكسيك . ولقد كانت ميلدريد تدرس اللغة الاسبانية في الكلية ولذلك ستقوم بالترجمة لوالديها » .
ودفع جوان بمسار خابور في هامود الاسطوانة ودقه برفق في مكانه . ثم سحب نفسه من تحت الاوتوبيس وقال « فلنجمع نهاية المؤخرة الآن » .

وكان الضوء يتسلق عنان السماء وفوق الجبال . اذ ان الفجر الذي لا لون له تحرك بدرجاته الرمادية والسوداء حتى أن الأشياء البيضاء والزرقاء أصبحت فضية وحمراء والأشياء الخضراء الداكنة أصبحت سوداء . وظهرت الاوراق الجديدة على أشجار البلوط الضخمة سوداء وبيضاء وبدأت حواف الجبال مدببة . وبدأت السحب الكثيفة الثقيلة التي تتدحرج في السماء كالكائنات الصغيرة المكتنزة تتخذ لنفسها لونا أحمر ورديا على حوافها الشرقية .
وفجأة قفز الضوء الكهربائي في صالة الطعام فوثبتت اطراف

نباتات الخبيزة الافرنجية الى الوجود . فحسب لجوان نحو الاضواء
وقال : « استيقظت اليس شيكوى . لن يمضى وقت طويل الا وتكون
القهوة جاهزة . هيا بنا . فلنحرك مؤخرة الاوتوبيس لاسفل » .
واشتغل الرجلان سويا بجهد واجتهاد . وكان كل منهما يفهم
ما ينبغي عمله . فقام كل منهما بانجاز الجزء الخاص به . ونام
بيميلز مستلقيا على ظهره هو الآخر وراح يربط صواميل الاغطية
وهبط عليه شعور جميل وهو يقوم بهذا العمل المشترك .

وضغط جوان بيده على صامولة فانزلق مفتاحه ونزع الجلد
واللحم من مفصل اصبعه . فجرت الدماء كثيفة وسوداء من يده
الملطخة بالزيت والشحوم فوضع مفصل اصبعه في فمه وامتنعه
مما أوجد خطأ من الزيوت والشحوم حول فمه .
وسأله بيميلز « جرح عميق ؟ » .

« لا . هذا قال حسن على ما أظن . اذ لا يمكن للمرء أن ينهى
عملا بدون دماء . وهذا هو ما كان يقوله لى والدى دائما » . وامتنص
الدماء مرة أخرى وبدأ التزيف يتراجع تدريجيا .
وانساب دماء الفجر باللوانه الحمراء الوردية حتى أن ضوء
الكهرباء بدا وكأنه يفقد بعض ضيائه وثاقه .

وقال بيميلز فى كسل « ترى كم عدد الذين سيحضرون فى
أوتوبيس الجريهاوند » وعندئذ هبطت عليه فكرة قوية نابغة من
المشاعر الطيبة نحو المستر شيكوى . وكانت فكرة مؤثرة للغاية حتى
كاد يحس بالألم . وبدأ يقول فى حيرة وتذلل واستسلام وتوسل :
« مستر شيكوى » .

فتوقف جوان عن لف الصامولة وانتظر أن يطلب منه بيميلز
أجازة ليوم واحد أو زرع الاجر أو أى شىء آخر . فقد كانت الدلائل
تشير على أن هناك مطلباً حيث كان ذلك واضحاً من النعمة التي
تكلم بها وهذه متاعب بالنسبة لجوان . فالتأهب تبدأ دائما بهذه
الطريقة .

وكان بيميلز صامتا . حيث لم يعثر على الكلمات التي يعبر بها .
فسأله جوان فى حذر « ماذا تريد ؟ » .

« مستر شيكوى . أيمكننا أن نحدد الامر من الآن - اقصد
هل يمكنك أن نحدد الامر من الآن بحيث لا تنادبنى بكلمة بيميلز
بعد ذلك ؟ » .

فأخذ جوان مفتاحه من الصامولة وحرك رأسه يمنة ويسرة .
فقد كان الاثنان مستلقين على ظهرهما ووجهاهما فى اتجاه بعضهما

البعض . وراى جوان فوهة براكين الندبات القديمة والطفح الجلدى الجديد بالاضافة الى بشرة كبيرة متوترة لها رأس صفراء على وشك الانفجار على خده . فامتلات عينا جوان بالحنان والرقّة وهو ينظر . وادرك الامر الذى هبط عليه فجأة وتعجب كيف انه لم يدرك ذلك من قبل .

وسأله فى خشونة « ما اسمك ؟ » .

فقال بيميلز « ايد ، ايد كارسون . تربطنى قرابة بعيدة مع كيت كارسون . وقبل أن أصاب بهذه البثور فى المدرسة الابتدائية اعتادوا أن يسموننى كيت » وكان صوته رزينا وهادئا ، ولكن صدره كان يعلو ويهبط فى ثقل محدثا صفيرا فى فتحتى أنفه .

واتجه جوان بنظره بعيدا عنه ثم عاد بنظره الى هذا الجزء المنتفخ من غلاف المحور الخلفى وقال « وهو كذلك . هيا بنا نخرج الروافع من تحت الاوتوبيس » وانزلق خارجا من تحت الاوتوبيس وقال « احضر الزيت من هناك الان » .

فذهب بيميلز بسرعة الى الجراج وأخرج مسدس الضغط ساحبا وراءه خرطوم الهواء . وفتح الصنبور فاندفع الهواء المضغوط فى المسدس خلف الزيت . وأحدث المسدس صوتا كالتكتكة وهو يملأ الغلاف بالزيت الى أن قاض قدر ضئيل الى الخارج فى كثافة ثم افلق ثقب الغلاف . وقال جوان « يا كيت . امسح يديك . وتبين ما اذا كانت اليس قد أعدت القهوة . ممكن ؟ » فذهب بيميلز نحو صالة الطعام . وبالقرب من الباب حيث توجد احدى شجرات البلوط الضخمة وقف هناك برهة لالتقاط انفاسه عند رقعة من الظلام القريب . فقد كان يرتجف من أوله الآخره فى نوع من القشعريرة .

الفصل الثالث

وعندما كشف بزوغ الشمس عن الجبال في جهة الشرق نهض جوان شيكوى من على الارض ونفض الغبار العالق بأفروله عند الساقين والمؤخرة . وسطعت الشمس متوهجة على نوافذ صالة الطعام ورقدت دافئة على العشب الاخضر المحيط بالجراج وتاججت على نباتات الخشخاش في الحقول المنبسطة وعلى المساحات العظيمة المنعزلة من نباتات الترمس .

وذهب جوان شيكوى الى باب الدخول للأوتوبيس وأطل بداخله وأدار مفتاح الكونتاكث ودفع بالمارش الى أسفل بظهر يده فأحدث المارش زئيراً وخشخشة ثم تعشق به المحرك وزار للحظات الى أن قلل جوان من سرعة حركته ، ثم دفع بيده الدبرياج لاسفل وعشق تروس السرعة المنخفضة ورفع يده عن الدبرياج فدارت العجلات الخلفية في ببطء في الهواء ثم ذهب جوان الى المؤخرة لكي يصفى الى حركة التروس ولكن يحاول سماع اى حركة غير متوافقة في عملية التجميع .

وكان يميلز بفصل يديه في وعاء مسطح به بنزين في الجراج . وسخنت الشمس ورقة شجرة بنية اللون تركت من العام الماضي وألقت بها الرياح على أحد أركان أفريز باب الجراج وبعد برهة زحفت ذبابة صغيرة كانت مستقرة مع الليل في تشاقل خارجة من تحت ورقة الشجر ووقفت تحت الشمس الصافية . وكانت أجنحتها وأحوالها تعكس الوانا متعددة وكانت بطيئة الحركة بفعل برودة الليل . ومسحت الذبابة أجنحتها برجليها ثم مسحت رجليها في بعضها البعض ثم وجهها برجليها الاماميتين بينما الشمس المائلة تحت السحب العظيمة المنتفخة تدفئ عصاراتها . ونجاة أقلت الذبابة ودارت في الهواء دورتين ورفرفت تحت أشجار البلوط واصطدمت بشاشة الاسلاك على باب صالة الطعام ووقعت على ظهرها وأحدثت طنيناً وأزيزاً وهي على الارض لدى قلبها رأساً على عقب لبرهة قصيرة ثم ضحكعت من وضعها وطارت لأعلى واتخذت موضعاً لنفسها على الاطار بجانب باب صالة الطعام . واتجهت اليس شيكوى التي كانت مرهقة بسبب الجلوس على مقعد طوال الليل نحو الباب ونظرت الى الخارج في اتجاه الأوتوبيس . وفتح الباب ذو الاسلاك المانعة للذباب فتحة

صغيرة لا تزيد على بوصات قليلة ولكن الدبابة قذفت بنفسها من خلال الفتحة فرائها اليس وهي تنفذ من الفتحة وضربت نحوها بفوطة الاطباق التي كانت تمسكها في يدها . فطننت الدبابة في جنون لبعض الوقت ثم استقرت بعدئذ تحت حافة الكاونتر . وشاهدت اليس العجلات الخلفية للأوتوبيس وهي تدور في كسل في الهواء ثم دخلت الى خلف الكاونتر وأغلقت صمام البخار الخاص بكنكة القهوة .

وبدا السائل البنى في الانبوبة الزجاجية على جانب الكنكة خفيفا وشاحب اللون . ومسحت بفوطتها الكاونتر ولاحظت وهي تفعل ذلك أن كعكة جوز الهند البيضاء الضخمة تحت غطاؤها البلاستيك الشفاف قد قطع منها شريحة على شكل حرف ٧ من إحدى جوانبها . فأخذت سكيننا من الصينية الفضية ورفعت الفطاء البلاستيك وشذبت حافة الكعكة ووضعت الفتات في فمها . وقبل أن يعود الفطاء البلاستيك الى مكانه اندفعت الدبابة فجأة تحت الحافة وألقت بنفسها على حشو جوز الهند وعلقت تحت جزء بسيط بارز للامام بحيث لا يتمكن احد من رؤيتها من أعلى وزاحت تحفر وتناضل في جوع في المواد الحلوة المذاق . فقد عثرت على جبل شاهق ضخمة من الكعك وكانت سعيدة للغاية . ودخل بيميلز بينما تنبعث منه رائحة البنزين والزيوت والشحوم . واتخذ مكانه فوق أحد الكراسي المستديرة العالية التي لا مسند لها وقال « حسنا . قمنا بانجاز ذلك العمل » .

فسأله اليس في سخرية « أنت ومن غيرك ؟ » .
« حسنا . بالطبع قام المستر شيكوي بالاعمال الفنية التخصصية البارة . أرغب في فنجان قهوة وقطعة من الكعك » .
« سبق لك أن أخذت بالفعل من تلك الكعكة قبل أن استيقظ » ومشطت شعرها بإحدى يديها لتبعد الشعر عن عينيها وأضافت « لا يمكنك أن تنكر ذلك » .

فقال بيميلز « حسنا . أضيفي تلك القطعة على حسابي . اننى أدفع ثمن طعامي . اليس كذلك ؟ » فقالت اليس « ما السبب في أنك تريد أن تأكل كل أنواع الحلوى ؟ أنك منكب على صينية الحلوى طوال النهار . وتكاد لا تحصل على أى أجر . فكل أجورك تدفع مقدما ثمننا لأنواع الحلوى . وأراهن على أن هذا هو السبب في البثور والدمامل . لماذا لا تتوقف عن تناول الحلوى لبعض الوقت ؟ » .

فنظر بيميلز للأسفل في خجل نحو يديه . كانت أظافره محاطة باللون الاسود في الاماكن التي لم يصل اليها البنزين . وقال « الحلوى غنية بالطاقة الغذائية . فالشخص الذى يعمل يحتاج للطاقة الغذائية .

ففى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر على تسبيل المثال عندما تغور قوى الانسان فانه يحتاج بدون شك الى طعام غنى من حيث الطاقة الغذائية .

فردت اليس « انها غنية فى الرش فى البنطلون . ائك تحتاج لطاقة غذائية بقدر ما احتاج انا الى — » ولم توضح له ما تهدف اليه . لقد كانت اليس تستبجح المحرمات ولكنها لم تطلب ذلك علنا على الاطلاق وانما كانت تكتفى بالتلميح . وصبت القهوة من الصنبور فى فنجان القهوة — فنجان سميك له قاعدة منبسطة وبدون طبق ومزجت القهوة بقدر من اللبن ثم رفعت بالفنجان عبر الكاونتر . ونظر بيميلز فى ارتباك نحو فتاة الكوكاكولا التى تمايلت فى اثاره على صندوق الفونوغراف ثم وضع أربعة ملاعق من السكر وحرك القهوة بالملعقة حركات عمودية ودائرية .

وكرر القول فى صبر « أريد قطعة من الكعك » « حسنا . ان ذلك سيقضى عليك . فانت بهذه الطريقة سيصبح لك ارداف مثل البالون » .

فنظر بيميلز الى ارداف اليس ثم حول نظره عنها بسرعة . واخذت اليس السكينة من خلف الكاونتر وقطعت جزءا من كعكة جوز الهند فانهارت حافة الكعكة على الدبابة وضغطت عليها لاسفل . وجرفت اليس ذلك الجزء من الكعك فى طبق ودفعت به عبر الكاونتر . فانقض عليه بيميلز بملعقة قهوته .

وسألها « ألم يستيقظ هؤلاء الناس ؟ »
« لا . ولكنى سمعتهم يتحركون . ولا بد أن أحدهم قد استهلك كل المياه الساخنة . إذ لم أجد على الاطلاق أية كمية فى صالة الطعام » .

فقال بيميلز « لابد انها ميلدريد »
« الفتاة . ربما أخذت حماما ساخنا » .
فنظرت اليه اليس فى حدة وقالت « أنت تنجح فى الحصول على طاقتك الغذائية وعليك أن تبقى عقلك حيث يجب أن يكون » .
« أنا لم أقل أى شيء . عجباً !!! توجد ذبابة فى هذه الكعكة »
فتجمدت اليس فى مكانها وقالت « لقد وجدت بالأمس ذبابة فى الحساء المقدم لك . أظن أنك تحمل ذبابا فى جيبك »

« لا . أنظري هنا . انها ما زالت تترك وتترفس » فاقتربت اليس وصاحت « اقتلها . اكتم انفاسها . اتريد لها أن تملص وتخلص

فمسها ؟ » تم التقطت شوكة من خلف الكاونتر وهرست بها الذبابة مع فتات الكعك والقت كل ذلك في صندوق القمامة .
فسالها بيميلز « وما هو الموقف الآن بالنسبة لكعكتي ؟ » .
« ساحضر لك قطعة أخرى بدلا منها . لا أدري السبب في أنك دائما تعثر على ذباب . لا احد غيرك يعثر على ذباب » .
فقال بيميلز : « كل ما في الأمر أنني سعيد الحظ » .
« صه ؟ » .

« قلت أنني كنت — » .
« لقد سمعت ما قلته » . لقد كانت مضطربة ومرهقة وعصبية المزاج « احفظ عليك لسانك والا ستخرج من هنا على وجه السرعة حتى أنك تظن أن النار قد اشتعلت فيك . فانا لا يهمنى أنك ميكانيكي . فأنت بالنسبة لي شخص تافه . . . شخص تافه له وجه ممتلئ بالبثور » فشعر بيميلز بالخجل والارتباك وهبطت ذهنه لاسفل وأسفل على صدره بينما أخذ غضبها يتصاعد . ولم يكن يدري أنها تصب عليه جام غضبها بسبب أمور أخرى عديدة . فقال « أنا لم أقل شيئا . ألا يستطيع المرء أن يقول نكتة ؟ »

وكانت اليس قد وصلت الى ذروة غضبها وكان عليها اما ان تنطلق في ثورة غضب جنونية هستيرية تطفئ أضواء النهار الساطعة من ذاتها ومن كل انسان آخر حولها واما ان تهدىء من روعها على وجه السرعة ، لأنها كانت قد بدأت تشعر بالضغط التي لا يمكن السيطرة عليها تسرى وترتفع وتتصاعد في صدرها وفي حلقها . ودرست الموقف في سرعة خاطفة فأدركت أن الأمور صعبة : فالأوتوييس يجب أن يسافر وجوان لم يحصل على قدر من الراحة . وقد يسمعها الناس الذين استخدموا الأسيرة — وهي في ثورة غضبها — فيخرجون وربما يضربها جوان وهو سبق له أن ضربها مرة ليس ضربا مبرحا ولكنه كان يضربها باتقان وبايقاع موقوت بدقة متناهية حتى أنها تصورت أنه كاد أن يقضى عليها . وعندئذ جاءها الخوف الاسود الذي كان رابضا دائما عند حافة عقلها — وهو أن جوان قد يتركها . فهو سبق له أن ترك نساء أخريات وهي لم تعرف كم عدد هؤلاء النساء لأنه لم يذكر ذلك على الإطلاق ، ولكن أي رجل في مثل جاذبيته لابد وأن يكون قد ترك نساء أخريات كثيرات . حدث كل هذا التفكير في أقل من ثانية فقررت اليس عدم الاستسلام للغضب والهيجان . فدفعت ضغط الغضب لاسفل في صدرها . وفي تخشب واكتئاب رفعت الغطاء البلاستيك وقطعت قطعة تزيد عن الحجم المادى ووضعتها في طبق ثم حملته

الى الكونتر ووضعته امام بيميلز وقالت « كل الناس عصبيون المزاج » .

فرفع بيميلز نظره من فوق اظافر اصابعه ورأى كيف أن بعض خطوط الشيخوخة بدأت تزحف على رقبتها كما لاحظ سمك جفني عينيها العلويين ، ولاحظ أن بشرة يديها قد فقدت النعومة والتماسك الذي تتميز بهما بشرة الفتيات الصغيرات في السن فشعر بالأسف والحزن من أجلها وعلى الرغم من أنه لم يوهب نعمة الجمال إلا أنه كان يعتقد أن الشباب هو الشيء الوحيد في العالم الذي يجدر بالانسان الحفاظ عليه وأن الشخص الذي فقد شبابه يعتبر في عداد الاموات . لقد أحرز انتصارا عظيما هذا الصباح وهو عندما رأى الضعف والتردد والمحيرة في آليس تهيأ لأحراز انتصار آخر جديد .

فقال « المستر شيكوى يقول انه لن يناديني باسم بيميلز بعد ذلك » .
« ولم لا ؟ » .

« حسنا . لقد طلبت منه الا يناديني بهذا الاسم . فاسمى ادوارد وقد اعتادوا ان يسموننى في المدرسة باسم كيت على أساس ان اسمى الاخير هو كارسون » .
« ايناديك جوان بكيت ؟ » .
« نعم » .

ولم تفهم آليس في الواقع أى شيء يتعلق بهذا الامر . وكانت هناك حركة خلفها في غرفة النوم : وقع أقدام بين السجاجيد وبعض الكلام المنخفض . وما أن أدركت وجود الغرباء حتى أصبح بيميلز أكثر قربا من نفسها لانه لم يكن غريبا تماما وقالت « سأرى كيف تسير الامور » .

وكانت الشمس تسطع في الداخل من خلال النوافذ الامامية ومن خلال الباب محدثة خمس بقع ناصعة من الضوء على الحائط وملقبة بالنور على عيوات الجسريب فروت وعلى أهرامات البرتقال خلف الكاونتر . ولكن المربعات المضيئة اعتمدت ثم انطفأ نورها . فقد كان هناك دوى الرعد الهادر وهطلت الامطار فجأة وراحت تهطل بشدة فوق السطح .

فاتجه بيميلز نحو الباب ونظر الى الخارج . لقد كان المطر يهطل بغزارة ملقيا بحجب الظلام فوق المزارع ومحدثا صسوتا عاليا فوق الطريق الاسمنتى . وكانت هناك نظرة فولاذية نحو الضوء المبلل .

فراى جوان شيكوى فى داخل الاوتوبيس محتميا من المطر . وكانت عجلات الاوتوبيس الخلفية ما زالت تدور فى ببطء . ثم شاهد جوان وهو يقفز الى الارض وينطلق مسرعا نحو صالة الطعام . فأمسك له بيميلز بالباب ليظل مفتوحا فانزلق جوان مسرعا الى داخل الصالة . ورغم هذه المسافة القصيرة التى قطعها جوان مهرولا أصبح افروله داكنا بسبب مياه الامطار وأحدث حذاؤه أزيزا فى رططة على أرضية الصالة .

وقال « يا الهى . هذه فعلا رخة مطر شديدة فجائية » . واضفى الحائط الرمادى الظلمة على التلال وكان ذلك الحائط المائى مشوبا بضوء معتم فى لون المعدن . وانحنت رعوس نباتات الترمس الى أسفل مثقلة بالمياه . ودقت أعناق زهور نباتات الخشخاش وتناثرت على الارض كالعملات الذهبية ولم يكن باستطاعة الارض المبللة بالمياه امتصاص المزيد منها . وراحت الجداول الصغيرة تتخذ طريقا لها فى اتجاه الاماكن المنخفضة . وكانت نوبات المطر تزار فوق سطح صالة الطعام فى « الريبيل كورنرز » .

وجلس جوان شيكوى الى احدى الموائد بجانب نافذة صالة الطعام واحتسى قدحا من القهوة ممزوجة بقدر وافر من الزبدة ومضغ كعكة ونظر الى المطر الهاطل مدرارا . ودخلت نورما وراحت تفصل الاطباق القليلة فى الحوض المصنوع من الصلب الذى لا يصدا والموجود خلف الكاونتر .

وطلب جوان « احضرى لى فنجانا آخر من القهوة . ممكن ؟ » فدارت نورما حول نهاية الكاونتر فى فتور بسبب الإرهاق . وكان الفنجان ممثلا للغاية حتى أن قدرا ضئيلا فاض على الجوانب ووصل الى أسفل الفنجان . فانتزع جوان ورقة سفره وطواها لتكون بمثابة نشافة للفنجان المبلل ثم قال « أنت لم تحصلى على قدر وافر من الراحة . اليس كذلك ؟ » .

وكانت نورما آنثذ هزيلة وشاحبة اللون وكان ثوبها مكرمشا . وكان باستطاعة المرء أن يلحظ انها ستتعرض للشيخوخة المبكرة قبل سن الشيخوخة بوقت كبير . اذ كانت بشرتها كثيبة وكانت يداها مليئتين بالبقع . فهناك اشياء كثيرة للغاية أدت الى اصابة نورما بمرض الحماق .

فقالت نورما « لم أتمكن من النوم على الاطلاق وحاولت أن أنام على الارض ولكن دون جدوى » .

فقال جوان « حسنا . لن يحدث ذلك مرة أخرى . كان ينبغي

على احضار سيارة لنقلهم الى سان يسيدرو . وقالت اليس
« تعطيهم اسرتنا . والان كيف هبطت عليك تلك الفكرة ؟ . وهل تظن
انه كان باستطاعتهم الحصول على اسرة اصحاب المحل في اى مكان
آخر ؟ . انهم غير مطالبين باى عمل . يؤدونه اليوم . فليس امامهم
سوى الخلود للراحة والجلوس في استرخاء » .
فقال جوان « انت تأخذين هذا غلطة على فيما اظن » . فقالت
اليس « انت لا يهملك ان تنام زوجتك في كرسي . فانت على استعداد
للتبرع بسريرها في اى وقت » . ومرة اخرى بدأت اليس تشعر
بثورة الغضب تتصاعد في كيانها مما اخافها . فهي لم ترد لهذه
الثورة ان تتصاعد . ولكن ها هي مشاعر الغضب كامنة وتتصاعد
وتغلي في داخلها . وهبط لوح من المطر فوق السطح كأنه مقشعة
ثقيلة وترك وراءه صمتا وحل محله مباشرة كمية اخرى من المطر .
وارتفع خرير المياه المتساقطة من افريز السطح ومن افريز تصريف
المياه عاليا مرة اخرى . وكان جوان ينظر في تأمل نحو الارض وهو
يبتسم ابتسامة صغيرة تزم فمه على الشريط الابيض اللندية فوق شفته
وكان هذا شيئا آخر تخشاه اليس . فهو قد ترك لها العنان ليرقبها
وأدركت هي ذلك . لقد كانت جميع العلاقات والمواقف بالنسبة
لاليس هي امر بين شخص وشخص آخر فقط فهي والشخص الآخر
كل شيء والآخر لا وجود لهم على وجه الارض . لا يوجد هناك
تظليل او درجات للون ، فهي عندما تتحدث مع جوان فلا يوجد
سواهما فقط . وهي عندما تكدر نورما يختفى العالم بأسره مخلفا
وراءه اثنين فقط : هي ونورما في دنيا من السحب الرمادية اللون .
ولكن كان بمقدور جوان آنئذ ان يوصد الباب امام كل شيء
وينظر الى الامر من حيث علاقته بالاشياء الاخرى . فالاشياء مختلفة
من حيث أحجامها وأهميتها . لقد كان باستطاعته ان يرى ويحكم
ويتدبر ويستمتع . كان باستطاعته الاستمتاع بالناس . أما اليس
فكان باستطاعتها فقط ان تعشق ان تحب ان تكره ان تبغض فهي
لم تشاهد الظلال ولم تشعر بها مهما كانت .
وعندئذ جمعت اليس شعرها المسترسل الى الخلف . لقد
اعتادت ان تستخدم غسولا لشعرها مرة كل شهر مما كان يعطيه
اللمعان الغريب والسحر الذي يأسر الرجال ويبقيهم في عبوديتها .
وكانت عينا جوان غير عابثة ولاهية في تسلية . وكانت هذه مسألة
مرعبة بالنسبة لاليس . فقد كان ينظر اليها ليس كامرأة غاضبة
أضفت الظلام على العالم ولكن كواحدة من آلاف النساء الغاضبات

اللائى تستأهلن الدراسة والفحص بل والتمتع بهن وكان هذا هو
الرعب القاسى الوحيد بالنسبة لها . لقد حجب جوان العالم عنها
وكانت تدرك أنها لم تحجب عنه شيئا . اذ كان باستطاعته ان يرى
من حولها بل ومن خلالها الاشياء الاخرى . والرعب الذى تذكره
عن المرة التى ضربها فيها لا يكمن فى الضرب فى حد ذاته - فهى
سبق لها ان ضربت وحصلت من وراء الضرب على الاثارة والخصوبة
وهو امر أبعد ما يكون عن البفض والكراه ولكن جوان كان يضربها كما
لو كان يضرب حشرة ، اذ لم يكن يهتم بها كثيرا أثناء الضرب بل
ولم يكن غاضبا للغاية وانما كان متوترا فقط . فهو قد ضرب شيئا
مزعجا صاخبا لمجرد ان يسكته . وكانت اليس تحاول فقط ان
تجذب انتباهه باحدى الطرق القليلة التى تعرفها . وكانت تحاول
فى تلك الآونة ان تفعل نفس الشيء وأدركت من البؤرة المتغيرة فى
عينه انه أفلت بعيدا عنها . « اننى أحاول أن أهيب بيتنا صغيرا
جميلا لنا نحن الاثنان . بيتا ظريفا وبه سجادة وطاقم كراسى مكسوة
بالقطيفة ثم تقوم أنت بتقديم هذا البيت للغرباء » وتهدج صوتها :
« وتدع زوجتك تجلس فى كرسي طوال الليل » .

فنظر جوان ببطء لأعلى وقال « يا نورما اجضرى لى فنجانا من
القهوة . ممكن ؟ مع مراعاة زيادة كمية الكريم » .
وأعدت اليس نفسها لمقاومة ثورة الغضب التى أدركت انها على
وشك ان تحدث . وبعدئذ نظر اليها جوان فى بطء . وكانت عيناه
السوداوان دافئتين وبهما قدر من الشعور بالتسلسلية وتغيرت بؤرة
النظر مرة أخرى وأصبح ينظر اليها وأدركت انه قد رآها .
وقال « لم ينجم عن ذلك أى ضرر لك » واستطرد :
« وسوف أجعلك تستمتعين بالسرير الليلة » .

فتلاحقت أنفاسها واكتسحتها موجات ساخنة وتحولت ثورة
الغضب الى رغبة عارمة ثم ابتسمت له ابتسامة جوفاء ولعقت
شفتيها وقالت له فى رقة متناهية « يا ابن الحرام » وتنهدت تنهيدة
طويلة مرتعشة وسألت « أتريد قليلا من البيض ؟ » .
« نعم » اثنى مسلوقين فى الماء لمدة أربع دقائق تقريبا .
فقالت « أعرف ذلك . أتحب ان أحضر لك أيضا لحم خنزير
مملح ؟ » .

« لا . أريد قطعة من الخبز التوست وكعكتين » .
وذهبت اليس وراء الكاونتر وقالت « أتمنى أن يخرجوا من
هناك فانا أرغب فى الذهاب للحمام الخاص بى » .

فقال جوان « انهم يتحركون وسوف يخرجون بعد وقت قصير » . وكانوا يتحركون . وكان هناك وقع أقدام في غرفة النوم . وفتح باب في الداخل وقالت امرأة في حدة « حسنا . اظن ان باستطاعتك ان تطرق » فرد عليها صوت رجل قائلا : « آسف يا سيدتى . كان الطريق الآخر الوحيد أمامى هو ان اخرج من النافذة » .

فقال رجل آخر بصوت يدل على شيء من السلطة « يستحسن ان تطرق على الباب دائما يا صديقى . هل أصبت بجرح فى قدمك ؟ » .

« نعم » .

وانفتح الباب الموجود في نهاية الكاونتر وخرج منه رجل ضئيل الجسم متجه الى صالة الطعام . وكان يرتدي حلة مزدوجة الصدر وقميصا بنيا فاتحا من ذلك النوع الذى يرتديه الرجال المسافرين والذى يعرف باسم « قميص المسافرين لمسافة ألف ميل » لان الاتساخ لا يظهر عليه بوضوح . وكانت حلته ذات لون وسط ما بين الفلفل والملح وذلك لنفس السبب . وكان يرتدى رباط عنق أخضر غامق من النوع المشغول بالابرة . وكان وجهه صارما مثل وجه كلب صغير . وكانت عيناه ناصعتين وبهما شيء من التساؤل والاستفسار مثل عيني كلب صغير . وفوق شفته العليا كان هناك شارب صغير مشدب بعناية وشبيه بالدودة ، وعندما يتكلم تبدو وكأنها تقوس ظهرها . وأسنانه كانت بيضاء ومستوية باستثناء السنتين الاماميتين العلويتين حيث كانتا تلمعان ببريق الذهب . وكان يبدو كأنه فى عجلة من أمره . او كأنه قد نظف بدلته باستخدام فرشاة شعره . وكان لقميصه المظهر المشدود الذى ينجم عن غسل الياقة فى حوض غسيل الايدي والتربيت عليها وفرطحتها على أعلى صوان التسريحة لكى تجف . وكان يوجد نوع من الثقة المتناهية فى شكله ونوع من الفزع فى وجهه كما لو كان يحمى نفسه من الاهانة بوسائل مدروسة . وقال « صباح الخير يا جماعة . اننى لندهش حقا . . ترى اين نمتم جميعا . واراهن على انكم قضيتم الليل بطوله جالسين » فقالت اليس فى مرارة « حسنا . لقد حدث ذلك » .

وقال جوان « كل شيء على ما يرام . ونسندهب للفراش الليلة فى وقت مبكر » .

« هل أصلحت الاوتوبيس ؟ وهل تظن اننا سنسافر بالاوتوبيس فى هذا المطر ؟ » .

فقال جوان « أوه . بالتأكيد » .
وسار الرجل الى أن اقترب من نهاية الكاونتر وهو يعرج ثم
جلس وهو يتألم الى احدى المناضد الصغيرة وأحضرت نورما كوبا
من الماء ومجموعة من الاواني الفضية مغلقة في ورق السفرة .
« أتريد بيضا ؟ »

« مقلَى . على أن يكون صفار البيض مفتوحا ولحم خنزير طازجا
وتوست مدهون بالزبدة . أتفهمين ؟ فأصعب شيء في العالم هو
الحصول على توست مدهون بالزبدة . عليك أن تدهني ذلك
التوست بالزبدة . . بكمية كبيرة من الزبدة ودعي الزبدة تذوب في
التوست بحيث لا تظهر منه أية أجزاء صفراء . وسوف أعطيك
بقشيشا حسنا » . ثم رفع قدمه الموضوعة في حذاء اكسفورد بني
اللون به ثقب كنوع من الزخرفة ونظر اليها وزام في ألم بصوت
يشبه صوت الخنزير .

فتساءل جوان « هل أصيب رسغ قدمك بجرح ؟ » وانفتح
الباب الموجود عند نهاية الكاونتر. وخرج منه رجل متوسط الحجم .
كان يشبه الرئيس ترومان ونواب رؤساء الشركات وكتبة الحسابات
العموميين الحاصلين على مؤهلات . وكانت نظارته تقف متاهبة
للكفاح على جانبي وجهه وكانت حلته رمادية اللون ومتلازمة ، وكان
يوجد شيء من اللون الرمادي في وجهه أيضا . لقد كان رجل أعمال
وكان شبيهها برجال الأعمال ومرتبيا كرجال الأعمال . وفي عروة
طية جاكته كان يوجد دبوس محفل ماسوني دقيق للغاية بحيث
لا يمكن للمرء مشاهدته من مسافة أربعة أقدام . وكانت العروة
السفلى من الصديري غير مزورة . وحقيقة الامر أن هذا الزرار
الاسفل لم يقصد به أن يستخدم في التزوير . كما كانت هناك ساعة
ذهبية جميلة وسلسلة مفاتيح تقطع هذا الصديري وتدخل وتخرج
من عروة زر وتستمر في مسارها .

وقال « مدام برتشارد ستتناول بيض مقلَى نبيء بعض الشيء
إذا كان طازجا ، بالإضافة الى توست ومربة الفواكه المسلوقة :
والأنسة برتشارد تريد فقط عصير برتقال وقهوة . وأنا أريد جريب
فروت وقشدة وبيضا يحرك تماما وينال قسطا واقرا من النضج
وتوستا جافا وقهوة بوستن — تلك التي يكون نصفها لبن والنصف
الآخر قهوة . ويمكنك احضار كل هذه الأشياء على صينية » .
فنظرت اليس لأعلى . في غضب وقالت « يستحسن أن تعيئوا
الى هنا . فليس عندنا صينية لتقديم الطلبات عليها .

فنظر اليها المستر برتشارد في برود وقال « لقد تأخرنا هنا . وفقدت بالفعل يوما كاملا من اجازتي . وليست غلطتي أن الاوتوبيس قد تعطل . وعليك الآن أن تحضري هذا الافطار الى هنا . كذلك لا تشعر زوجتي بأنها على ما يرام . وأنا غير معتاد على الجلوس على كرسي بدون مسند والمداوم برتشارد غير معتادة على الجلوس على هذا النوع من الكراسي ايضا » .

فنكست آليس رأسها مثل بقرة حلوب غاضبة وقالت : « اسمع اننى اريد الذهاب للحمام لكى اغسل وجهى وأنتم تشغلون الحمام » . وتحسس المستر برتشارد نظارته في عصبية وقال « أوه . فهمت » وأدار رأسه نحو جوان فانعكس الضوء على نظارته حتى أنه كانت هناك مرأتان بدون عيين خلفهما . وأخرجت يده سلسلة ساعته من جيب الصدري . وفتح مبرد أظافر صغير ذهبى وجرى برأسه أسفل كل ظفر . ونظر فيما حوله واجتاحه شيء من قشعريرة الحيرة والارتباك . فقد كان المستر برتشارد رجل أعمال اذ كان رئيسا لشركة متوسطة . وهو لم يسبق له مطلقا أن كان وحيدا . اذ كان يدير أعماله مجموعات من الناس يقومون بأعمال متشابهة ويفكرون تفكيرا متماثلا بل ويشبهون بعضهم البعض . وكانت وجبات غذائه مع رجال يشبهونه حيث يلتقون مع بعضهم البعض في النوادي لكى لا يتسرب اليهم أى عنصر أجنبى أو أية افكار اجنبية . وكانت حياته الدينية هى محفلة وكنيسة وهما مخميان ومحجبان . وكان يلعب البوكر اسبوعيا بالليل مع رجال يشبهونه تماما حتى أن نتيجة اللعب تكون متعادلة الى حد ما . وانطلاقا من هذه الحقيقة كانوا جميعا مقتنعين بأنهم لاعبو بوكر ممتازون للغاية . وأينما ذهب لم يكن بمفرده وإنما كان وحدة فى مجموعة فى نادى فى كنيسة فى حزب سياسى فى محفل . ولم يحدث أن تعرضت افكاره وآراؤه للنقد على الإطلاق منذ أن اندمج بارادته الحرة مع اناس يشبهونه . وكان يقرأ جريدة تكتبها المجموعة لتقرأها المجموعة . وحتى الكتب التى تصل الى منزله كان يتم اختبارها بمعرفة لجنة كانت تقوم بحذف المادة التى قد تضايقه . وكان يكره الدول الاجنبية والاجانب لانه كان من الصعب عليه أن يجد بينهم شخصا مماثلا وشبيها له ، ولم يكن يرغب فى الخروج على مجموعته . صحيح انه كان يرغب فى الارتقاء ليصل الى قمة المجموعة ويحوز اعجابها ولكنه لم يحدث له أن يرغب فى تركها . وصحيح انه فى بعض الحفلات التى كانت ترقص فيها الفتيات عاريات تماما وتجلس فى كئوس الخمر الضخمة كان ينفجر

بالضحك ويشرب الخمر ولكن كان معه هناك خمسمائة برتشارد آخرون .

والآن وبعد أن سمع توا تلك العبارة القبيحة التي قالتها آليس عن الحمام ودورة المياه نظر حوله في صالة الطعام واكتشف أنه وحيدا ، لأنه لم يجد نسخة أخرى من المستر برتشارد . واستقرت نظارته لبعض الوقت على الرجل الضئيل الجسم المرتدى حلة الشغل ولكنه كان به أمور غريبة . وصحيح أنه كان يضع دبوسا من نوع ما في عروته عبارة عن قضيب عليه طلاء خزفي ثمين يميل إلى اللون الأزرق وبه نجوم بيضاء إلا أن هذا القضيب لا يمثل ناديا يعرفه المستر برتشارد . لذلك وجد نفسه متبرما من هؤلاء الناس بل ومتضايقا من أجازته . وشعر بالرغبة في العودة إلى غرفة النوم وإغلاق الباب وراءه ولكن كانت هناك تلك المرأة الجسورة التي أرادت الذهاب للتواليت . وراح المستر برتشارد ينظف على وجه السرعة أظافره كمبرد الأظافر الذهبي الموجود في سلسلة ساعته . وحقيقة الأمر أن المستر برتشارد لم يكن على ذلك النحو . فهو قد أعطى صوته ذات مرة لأوجين ديبز ولكن ذلك قد حدث منذ فترة طويلة مضت ولكن الناس في مجموعته كانوا يرقبون بعضهم البعض فأى انحراف عن قوانين السلوك كان يلاحظ أولا ثم يناقش فيما بعد . ومن يجيد من الرجال يجد نفسه غير راسخ فإذا أصر لا يتعامل معه أحد تجاريا .

فالتلويين الوقائي كان يقوم بالحماية فعلا . ولكن لم يكن هناك ازدواج في حياة المستر برتشارد . فهو قد تخلى عن حريته ثم نسي الشكل الذي كانت عليه حريته وبدأ ينظر إلى تلك الحرية على أنها سخافة من سخافات الشباب . ووضع مسألة إعطاء صوته لأوجين ديبز في مصاف زيارته لأحد بيوت اللهو عندما كان في سن العشرين . فكلاهما أمران يمكن توقع حدوثهما من أولاد كبار . وفي حفلة غداء رسمية بأحد النوادي تصادف أن روى قصة إعطاء صوته لأوجين ديبز ليبرهن على أنه كان شابا نشيطا جريئا وإن مثل تلك الأمور كانت جزءا من فترة المراهقة شأنها في ذلك شأن حب الشباب . وعلى الرغم من أنه كان يلتمس لنفسه العذر بل وكان يستمتع بمسألة إعطاء صوته لديبز إلا أنه كان منزعجا للغاية بسبب أنشطة ابنته ميلدريد .

فقد كانت منطلقة مع زملاء خطرين في الكلية ومع استاذة وأناس مغيثين ممن لهم ميول شيوعية . فهي قبل الحرب أوثقت باخرة

تحمل حديد خرقة كانت متجهة لليابان ثم جمعت أموالاً لتوفير
الامدادات الطبية من أجل من اسماهم المستر برتشارد بالشيوعيين
في الحرب الاسبانية . وهو لم يناقش تلك الأمور مع ميلدريد .
وهي لم ترغب في التحدث معه في هذه الأمور بأسلوب مباشر وبوضوح
كامل . فقد كان لديه احساس فزى بأنه لو التزم كل منهما بالهدوء
وضبط النفس فانهما قد تشفى من هذه الحالة من تلقاء نفسها .
وكان يعتقد انها اذا تزوجت وأنجبت طفلاً سيؤدى ذلك الى وضع
حد لقلقها السياسى . وقال انها اذا تزوجت ستعثر على قيمتها
الحقيقية .

ولم يكن المستر برتشارد يتذكر بوضوح زيارته لبيت اللهو .
فقد كان عمره عشرين عاماً وكان مخموراً ، وبعدئذ شعر شعوراً
قويًا بالذنب والاسف . وتذكر الاسبوعين اللذين أعقبا تلك الزيارة
عندما ظل منتظراً في رعب ظهور أعراض المرض . وكان قد وضع
خطة للانتحار اذا ظهرت أعراض المرض وذلك بأن يقتل نفسه ويجعل
الامر يبدو وكأنه حادثة من الحوادث .

وكان آنئذ عصبياً . فهو منذ البداية لم يكن يرغب في القيام
بهذه الاجازة . وهو كان متجها الى المكسيك التى يعتبرها - رغم
الملصقات الدعائية السياحية - دولة قذرة بل وراديكالية بشكل
خطير . فهم في المكسيك قد نزعوا ملكيات البترول أو بتعبير آخر
سرقوا الملكية الخاصة . وما هو الفارق اذن بينهم وبين روسيا ؟ .
وكان المستر برتشارد يعتقد أن روسيا قد حلت محل شيطان
العصور الوسطى كمصدر لكل دهاء وشر ورعب . وكان عصبياً
في هذا الصباح لانه لم ينعم بالنوم هو الآخر . اذ كان يحب سريره
الخاص به ولكى يتعود على سرير آخر فان الامر يتطلب منه اسبوعاً .
وهو هنا كان قد دخل فعلاً في ثلاثة اسابيع من النوم في سرير غير
سريره في كل ليلة . والله يعرف نوعية الزبائن الذين شغلوا تلك
الاسرة . كان يشعر بالارهاق وكانت بشرته خشنة الملمس . فقد
كان الماء عسيراً قاسياً هنا حتى أنه عندما حلق ذقنه كان يعلم مقدماً
أنه ستكون هناك حلقة من الشعر النامى الى الداخل حول رقبتة
خلال ثلاثة ايام .

وأخرج منديلاً من جيب الصدرى ونزع نظارته وقام بتنظيفها .
وقال « سأخبر زوجتى وابنتى . . فنحن لا ندرى اننا تسببنا فى
ازعاجكم الى هذا الحد » .
وأعجبت نورما بكلمة « ازعاج » وكررتها لنفسها عدة مرات

« ازعاج - اننى لم أرغب فى ازعاجك يا مستر جيبيل . ولكنى أظن أنه ينبغي أن تعرف — » .

وكان المستر برتشارد قد رجع الى غرفة النوم . وكان صوته مسموعا وهو يشرح الموقف وكانت أصوات نسائية تستوضح الأمر . ونهض الرجل ذو الشارب من كرسيه وطفق يعرج فى ألم نحو الكاونتر ويزمجر بصوت مكتوم . وعاد ومعه سلطانية السكر وغاص فى كرسيه مرة أخرى وقد قطب جبينه .

فقلت له نورما فى اهتمام « كان ينبغي على أن أحضر لك ذلك » فابتسم لها وقال موضحا فى شهامة « لم أرغب فى مضايقتك » . فقلت نورما « لم يكن هذا ليزعجنى على الإطلاق » .

ووضع جوان فنجان قهوته . وقال بيميلز « أرغب فى قطعة من كعكة جوز الهند تلك » فقطعت له أليس - وهى غير منتبهة - قطعة ودفعت بها عبر الكاونتر وسجلت ذلك فى دفتر الحساب . وقال بيميلز « أظن اننى لم أحصل مطلقا على أى قطعة كعك مجانا » .

فقلت أليس « يخيل الى أنك حصلت على الكثير مجانا دون أن أسجل ذلك فى دفتر الحساب » . وقال جوان للرجل الضئيل الجسم « يبدو أنه قد حدث لك التواء شديد فى ذلك الجزء » . فقال الرجل « أصابع القدم مسحوقة . سأجعلك تلقى نظرة عليها » .

وخرج المستر برتشارد من غرفة النوم وجلس الى المنضدة الشاغرة الباقية .

وفك الرجل الضئيل الجسم أربطة حدائه الاكسفورد ثم خلعه . ونزع جوربه ووضع به عناية فى حدائه الاكسفورد . وكانت قدمه معصوبة ابتداء من مشط الرجل حتى نهاية أصابع القدم . وكان الرباط ملوثا ومبتلا بدماء حمراء صافية .

فقلت أليس على وجه السرعة « لا داعى لان ترينا » فقد كانت الدماء تسبب لها الاغماء .

فقال الرجل الضئيل الجسم « على كل حال ينبغي على تغيير الأربطة » وراح يفك الشاش الطبي وعرض قدمه أمام الجميع . لقد كان الاصبع الكبير للقدم والاصبعان التاليان له مسحوقين تماما

وقد اسودت الاظافر بها كما كانت نهايات الاصابع مسحوقة وملطخة
بالدماء ومسلوخة ومتجلطة .

ونهمض جوان ليرى عن كثب . واقترب بيميلز وحتى
نورما لم تستطع البقاء بعيدا .

وعلق جوان قائلا « يا الهى ، انها مسحوقة بشكل مريع . دعنى
أحضر بعض الماء لاغسلها . ويجب أن تحصل على نوع من المراهم
والدهانات . ويجب أن تسارع بالعلاج لكى لا تفقد تلك القدم تماما »
وأحدث بيميلز صغيرا حادا مدويا بين أسنانه للتعبير عن اهتمامه
بنوعية الإصابة . وكان الرجل الضئيل الجسم ينظر الى وجه جوان
وعيناه تلمعان فى بهجة واستفسر « أتظن أن الجرح ردىء ؟ » .

فقال جوان « أنت على حق . الجرح ردىء للغاية » .

« أتظن أنه ينبغي على الذهاب الى دكتور ؟ » .

« حسنا . لو كنت مكانك لذهبت الى طبيب » .

فضحك الرجل الضئيل الجسم فى سرور وقال « ذلك هو كل
ما أردت أن أسمع » ، ثم نزع ظفر اصبع الابهام من مشط القدم ،
فانقشعت القشرة التى تغطى أعلى قدمه ورفعت معها الجلد والدماء
والاصابع المسحوقة - وتحتها كانت توجد قدمه بأكملها سليمة وخالية
من الاصابات وكذلك الاصابع ، ثم ألقى برأسه للخلف وضحك فى
ابتهاج وقال « جيدة . اليس كذلك ؟ من البلاستيك ، انتاج جديد »
واقترب المستر برتشارد ونظر فى اشمئزاز . وقال الرجل « انها
لتيل واندر أرتفشيال صور فوت » وانتزع من جيبه الجانبي علبة
مسطحة وناولها لجوان قائلا : « لقد كنت لطيفا للغاية معى . وأريد
لك أن تأخذ واحدة ، مع أطيب تحيات ارنست هورتن ممثل شركة
الاعاجيب الصغيرة » وانطلق صوته يتسابق مع حماسه « انها فى ثلاثة
أحجام - واحد واثنين وثلاثة أصابع قدم مسحوقة . وهذه التى أعطيها
لك من نوع الثلاثة أصابع وتشبه تماما تلك التى رأيتها توا . وهى
مزودة بالاربطة وبزجاجة من الدم الصناعى لتجعل منظر الاربطة يبدو
مرعبا ، وبداخلها التعليمات . وينبغي أن تلينها فى مياه دافئة عند
ارتدائها لأول مرة . وهى بعدئذ تتلاءم مع نوع لون البشرة ولا أحد
يستطيع أن يميزها عن لون البشرة . ويمكنها أن تجلب لك قدرا
كبيرا من المرح والبهجة . »

وانحنى المستر برتشارد للامام . وعلى مسافة فى مؤخرة ذهنه
استطاع أن يرى نفسه وهو يخلع جوربه فى اجتماع مجلس الادارة،

ويمكنه أن يفعل ذلك عقب عودته من المكسيك مباشرة على أن يمهده
لذلك بقصة عن عصابات اللصوص .

فتساءل « ما هو الثمن ؟ » .

فقال أرنست هورتن « دولار ونصف الدولار . ولكنى لا أبيع
بالقطاعى إلا فيما ندر . فالتجار يتخاطفونها منى بمجرد حصولى عليها
ولقد بيعت أربعين دسته للتجار فى خلال أسبوعين » .

فقال المستر برتشارد وقد اتسعت عيناه فى إعجاب شديده
« يا الهى ؟ هذا غير معقول ؟ » .

« اننى على استعداد لأن أريك دفتر الطلبات التجارية الخاص بى
إذا كنت لا تصدقنى . انها أسرع عملية بيع لبدعة جديدة قمت بها فى
حياتى . وشركة الاعاجيب الصغيرة تربح الآن من ورائها » .

فسأله المستر برتشارد « ما هو سعر التكلفة وما هو صافى
الربح ؟ » .

« حسناً . اننى لا أود الإجابة على هذا السؤال إلا إذا رغبت فى
الدخول كتاجر فى هذا الشأن ، انها أخلاقيات الأعمال التجارية كما
تعرف » .

فأوما المستر برتشارد برأسه وقال « حسناً ، أرغب فى الحصول
على واحدة بالسعر القطاعى على سبيل التجربة » .

« سأحضر لك واحدة عقب الانتهاء من تناول طعامى مباشرة » ثم
سأل نورما « هل أعددت ذلك التوبست المدهون بالزبدة ؟ » .

فقالت نورما « سأحضر حالا » وقد اعتراها شعور بالذنب .
وذهبت خلف الكاونتر وأدارت زر تشغيل ماكينة تحميص الخبز .

واستطرد أرنست قائلاً فى ابتهاج شديد : « وكما ترى فإن علم
النفس هو الذى يروج لنا عملية البيع . فنحن مسبق لنا أن قمنا
بتخزين كمية كبيرة من الاصابع الصناعية المبتورة لسنوات حيث كانت
حركة بيعها بطيئة . ولكن هذه - انها تعتمد على السيكلوجى وأنت
تقوم بخلق حدائك وجوربك . فلا أحد يظن على الإطلاق أنك ستعجشم
مشقة ذلك العمل . والشخص الذى قدم هذه الفكرة حصل لنفسه
على أجر كبير للغاية » .

فقال المستر برتشارد فى إعجاب « وأظن أنك تحصل على بعض
المكاسب من وراء ذلك » . وكان قد أخذ يشعر بتحسّن كبير عن ذى
قبل .

فقال أرنست « أقوم بذلك على ما يرام » واستطرد : « لقد أحضرت

معى فى حقيبة العينات الخاصة بى واحدة أو اثنتين من الاشياء الاخرى الصغيرة التى قد تدخل السرور عليك . وهى لا تباع الا للتجار ولكنى سأعرضها عليك فلربما تدخل عليك البهجة والسرور » .
فقال المستر برتشارد « اننى أرغب فى شراء نصف دسته من الإقدام المحقنة » .

« نصف دسته من نوع الثلاثة أصابع ؟ » .
ففكر المستر برتشارد فى الامر مليا . انه يريد هذه الاشياء ليعطيها كهدايا ولكنه لا يريد المنافسة . ان تششارلى جونسون باستطاعته عرض هذه الحيل بنجاح اكبر من المستر برتشارد فتشارلى رجل مضحك بطبيعته .

وقال « اذا افترضنا انك ستسمح لى بأخذ واحدة من ذات الثلاث أصابع وثلاثة من ذات الاصبعين واثنتين من ذات الاصبع الواحد فسيكون ذلك مناسبا لما أريد » .

وأخذت نوعية المطر فى التغير . اذ جاء فى شكل مطر مدار غزير فجائى شديد البلى تتخلله فترات قصيرة من الرذاذ الخفيف . وجلس جوان بالقرب من النافذة ومعه قهوته وقد تبقى فى الطبق نصف كعكة بنية اللون .

وقال جوان « ستقل حدة المطر قليلا على ما أظن » . واستطرد :
« أريد تحريك نهاية السيارة لاعلى بعض الشيء قبل أن نبدأ » .
وقال بيميلز « أريد قطعة من كعكة جوز الهندا تلك » فقالت آليس « لا . لن أعطيك ، فعلى أن أبقى قليلا من الكعك من أجل الزبائن » .
« حسنا . اننى زبون . أليس كذلك ؟ » .

فقالت آليس « لا أدري ما اذا كان أتوبيس سسان سيسيدور سيحضر لنا مسافرين اليوم . يجب على الاحتفاظ بكمية قليلة من الكعك » .

وفى نهاية الكاونتر كانت توجد منينية حلوى متدرجة كالسلم ومليئة بقضبان الحلوى المغلفة فى عبوات . فنهض بيميلز من فوق كرسيه الذى لا مسند له ووقف أمام هذا العرض . وأمعن النظر فى العبوات الجميلة الصغيرة لفترة طويلة قبل أن يختار . وأخيرا انتقى ثلاثة قوالب ووضعها فى جيبه وقال « واحدة من نوع الطفلة الرضيعة راث وواحدة من نوع عش الحب وواحدة من نوع حبيبة القلب جوزة الهند » .

فقلت آليس « حبيبة القلب جوزة الهند ثمنها دايم واحلا لانها
محشوة بالبندق والجوز واللوز » .
فقال يميلز « أعرف ذلك » .
فالتقطت آليس دفتر الحساب من خلف الكاونتر وقالت : « لقد
أخنت الان بما يزيد على أجرك قليلا » .

الفصل الرابع

وما أن خرج آل برتشارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة
« على أن أمشط شعري وأنظف نفسي بعض الشيء » وخرجت بسرعة
نحو الباب . فانطلقت آليس خلفها مباشرة .

وقالت آليس لها في برود « أنت تأخذين دورك بعدى فى الحمام »
فذهبت نورما عبر غرفة نوم المستر شيكوى وزوجته ومنها إلى غرفة
نومها الخاصة بها . ثم أغلقت الباب خلفها . ونظروا لعدم وجود مفتاح
فقد أوصدت الباب بالمزلاج الموجود بجوار القفل لكي تخلصوا إلى
نفسها فى شيء من العزلة . وكان سريرها الحديدى الضيق .. وهو
من النوع الذى يستخدم فى الجيش - غير مرتب وكانت حقيبة العينات
الضخمة الخاصة بـارنست هورتن مستندة إلى الحائط .

لقد كانت غرفة ضيقة للغاية . وفى داخلها كان يوجد صنوان
الملابس وسلطانية تحتوى على مادة لقتل الحشرات مستندة إلى أحد
الحوائط . وفى أعلى هذا الصنوان كان يوجد رأس وسادة ناعم كالحرير
ومزركش فى الحواشى ولامع ومربوط بشكل مؤقت . وكان لونه أحمر
وردى وبه صورة لدفعين متقاطعين أمام باقة من الورود الحمراء اللون
وكانت هناك قصيدة شعر مطبوعة على رأس المخدة تحت عنوان :
« ابتهالات جندي لأمه » :

« بين الرصاص والقنابل أفكر فيك يا أمى العزيزة
أمل أن تنقذنى صلواتك وتحفظ على حياتى
وعندما تنتهى الحرب وننتصر فيها

سأعود اليك يا حياتى .. يا أحب الناس إلى قلبى »

ونظرت نورما بسرعة إلى النافذة المعتمة بضوء الامطار ثم أدخلت
يدها تحت ياقة ردائها وعلبت الياقة . وفى الحافة المقلوبة للياقة
كان يوجد مفتاح صغير مربوط بدبوس مشبك . وفكت نورما المشبك
وأخذت المفتاح ثم جذبت حقيبتها الصغيرة من تحت صنوان الملابس
وفتحت قفل الحقيبة ثم رفعت غطاءها . فظهرت فوق الاشياء الموجودة
فى الحقيبة صورة لامعة لكلارك جيبيل ذات اطار من الفضة وعليها
توقيع « مع أطيب تمنياتى . كلارك جيبيل » . وكانت قد اشسترت

الصورة والبرواز والتوقيع من محل لبيع الهدايا التذكارية في سنان
يسيدور .

وجرت بيدها بسرعة الى أسفل الحقيبة وعثرت أصابعها على علبة
خاتم مستديرة . فجلبتها وفتحت غطاءها واطمأنت على وجود الخاتم
بها . ثم دفعت بالعلبة مرة أخرى الى قاع الحقيبة وأغلقتها ثم قفلتها
بالقفل ودفعت بها تحت صوان الملابس . ثم أعادت المفتاح الى المشبك
بداخل ردائها . وفتحت درج صوان الملابس وأخذت منه فرش سهاء
ومشط واتجهت نحو النافذة . وعلى الحائط بجانب ستائر الكريتون
ذات الورود الحمراء والخضراء كانت توجد مرآة لها إطار فوقفت نورما
أمام تلك المرآة ونظرت الى نفسها .

وجاء ضوء في لون الرصاص عبر النافذة وسقط على وجهها ،
فوسعت عينيها بشدة ثم ابتسمت وأظهرت كل أسنانها . . . كانت
ابتسامتها مليئة بالحيوية . ووقفت على أصابع قدميها قليلا ولوحت
بيدها لحشد كبير من الناس وابتسمت مرة أخرى .

ثم جرت بالمشط في شعرها القليل الكثافة وجذبت المشط بقوة
عندما أمسكت نهايات الشعر المتموجة به . وأخذت قلم الزينة من
صوان الملابس وراحت ترسم الأماكن غير الواضحة في حاجبيها
الشاحبين مع التركيز على التقوس الموجود في الوسط لكي يكتسب
وجهها النظرة المدهشة . ثم بدأت تمشط شعرها ، عشرة خبطات على
جانب وعشرة على الجانب الآخر . وأثناء التمشيط كانت ترفع وتثنى
عضلات إحدى ساقيها ثم نفس الشيء بالنسبة للساق الأخرى لتنمية
بطن الساق . وكان ذلك روتينا أوصنت به نجمة سينمائية لم يسبق
لها أن مارست أى نوع من أنواع الرياضة عن طيب خاطر وكل ما في
الامر أنها كانت لها ساقان جميلتان .

وألقت نورما نظرة خاطفة على النافذة عندما ازدادت ظلمة الضوء .
اذ كانت تكره أن يشاهدها الناس وهي تؤدي رقصات خيالية غريبة .
ولقد كانت نورما غائصة ومغمورة أكثر من جبل ثلج عائم . ولم يكن
يبين منها فوق السطح سوى أصغر الأشياء . لان أعظم وأفضل وأجمل
جزء في نورما كان يرقد مخبئا خلف عينيها في حماسة وبدون أن
يمس .

ودار مقبض الباب في غرفة نورما وثلا ذلك ضغط على الباب فتصلبت
نورما ووقفت دون حراك . ثم تحركت يدها واحدة فقط وراحت تمسح

ففي جنون عند حاجبيها ونجحت في عمل هباب ومادى اللون على جبينها ، وبدأت تسمع طرقا خفيفا على باب غرفة النوم في شيء من الأدب والاستحياء . فوضعت فرشاتها على صوان الملابس وجذبت رداءها لأسفل واتجهت نحو الباب . ودفعت المزلاج وفتحت الباب فتحة بسيطة . وهناك كان وجه أرنست هورتون ينظر إليها وقد تقوس صاربه المتماسك الغزير الشعر فوق فيه .

واستطرد هو قائلا « لقد كنتم أناسا كرماء للغاية من جميع النواحي . وأنا لا أريد أن أتسبب في ازعاج آخر علاوة على ما قمت به » .

وزال التوتر عن نورما ببطء ولكنها كانت لا تزال تتنفس بصعوبة بعض الشيء . وفتحت الباب وتراجعت قليلا للخلف فدخل أرنست إلى الغرفة مبتسما في خجل . ثم توجه إلى السرير . وقال « كان ينبغي على أن أرتب هذا السرير » ثم سحب الملاءة والبطانية وراح يبسطها ويزيل الكرمشة عنها . فقالت نورما « لا ، سأقوم أنا بعمل ذلك » .

وقال أرنست « بل انك لم تنتظري لتأخذي البقشيش الذي وعدتك به » واستطرد « ولكني قد أحضرته لك » وانتهى من ترتيب السرير ترتيبا أنيقا كما لو كان قد قام بهذا العمل مرات عديدة من قبل .

فقالت نورما « كان باستطاعتي أن أفعل ذلك بنفس الدقة » فقال « حسنا . لقد تم ترتيبه الآن » ثم اتجه إلى حقيبة العينات الخاصة به وقال « أسمحين لي بأن أفتح هذه ؟ فأنا أريد أن أستخرج منها بعض الأشياء » .

فقالت نورما « نعم » وامتلات عيناها بالشفغ والاهتمام ، فوضع حقيبة العينات الكبيرة فوق سريرها وفتح الكالون ورفع الغطاء فظهرت أشياء غريبة ومدهشة في الحقيبة . كانت توجد هنسك أنابيب من الورق المقوى ومناديل لليد تغير من ألوانها أعداد من السيجار المنفجر والقنابل الكريهة الرائحة . كما كانت هناك قاذفات للصوت وأبواق وقبعات من الورق من أجل الحفلات ورايات وأزرع تبعث على الضحك بالإضافة إلى وسائل حريرية مثل تلك الموجودة فوق الحائط . وكان أرنست يقوم باستخراج ستة من الاقدام الصناعية المحتقنة في عبواتها المسطحة . واقتربت نورما منه لكي ترقب عن كثب حقيبة العينات العجيبة . وانبهرت للغاية لدى رؤيتها سلسلة متتابعة من الصور

الفوتوغرافية لنجوم السينما . . صوراً لم تشاهد مثيلاً لها من قبل على الإطلاق . فقد كانت مضغوطة ومصبوبة في ألواح كثيفة من البلاستيك الصافي لمسافة ربع بوصة على الأقل وكان يوجد شيء عجيب في هذه الصور : اذ كانت تبدو مسطحة ومنبسطة ولكن الوجوه فيها كانت مستديرة ولها عمق بسبب بعض حيل الالتواء أو ربما عن طريق الضوء المنعكس حيث بدت كأن لها ثلاثة أبعاد وكان حجم الاطارات 8×10 بوصات .

وعلى القمة كانت توجد صورة مبتسمة لجيمس ستيوارت تشبهه تماماً ، ومن تحتها كانت تبرز صورة أخرى لم تتبين منها سوى الشعر وجانباً من الجبهة ولكنها عرفت ذلك الشجر وتلك الجبهة فأنفجرت شفتاها ولمعت عيناها وتحركت يدها ببطء في الحقيقة ورفعت صورة جيمس ستيوارت على جانب وهناك كان هو : كلارك جيبسل ويبدو كاملاً وممتلئاً . وقد اتخذ وضعاً يتسم بالصرامة والقوة : الذقن متجه لأعلى والعينان ترمقان في عزم وتصميم . انها لم تشاهد مثل هذه الصورة من قبل . وتنهدت في عمق وحاولت السيطرة على أنفاسها المتلاحقة لكي لا تسمع . ورفعت الصورة لأعلى وحملت في العينين . وكانت عيناها متسعيتين ومنومتين تنويماً مغناطيسياً .

وأخذ أرنست يرقبها وأدرك مدى اهتمامها وشغفها . وقال : ليس ذلك شيئاً جذاباً للغاية ومذهلاً تماماً . انها فكرة جديدة . فالصورة تبدو في شكل مستدير وتكاد تشبه التمثال ؟ » .

فاومات نورما برأسها دون أن تنطق بكلمة واحدة . فقال أرنست « في رأيي أن هذه المجموعات البسيطة من الصور سوف تكتسح أمامها أي نوع آخر من الصور لانها ضد الحموضة وضد الرطوبة وتعيش للأبد ولن تتحول الى اللون البني فهي قد شكلت بأسلوب ملائم في داخل الاطار . وسوف تعيش للأبد » .

ولم تترك عينا نورما الصورة على الإطلاق وحاول أرنست استرداد الصورة ولكن أصابعها تشبثت بها كالمخالب .

وخرج صوتها في تممة خشنة مبحوحة وهي تقول « كم تمنها ؟ » فقال أرنست « انها مجرد عينة . انها شيء نزيه للتجار وعرضه عليهم . فهي ليست للبيع . أتريدينها ؟ »

« كم تمنها ؟ » وكانت أصابعها بيضاء بسبب الضغط . ونظر اليها أرنست في تمن . فرأى وجهها مصمماً وجامدا ورأى عضلات

فكها متصلبة متخشبة وأدرك أن فتحتى أنفها تخفقان قليلا بفعل السيطرة على التنفس .

فقال أرنست « اننا نبيعها بـ ٢ دولار أمريكى فى حالة البيع بالقطاعى . ولكنى سبق أن قلت لك أننى سأعطيك بقشيشا حسنا . فهل تفضلين أن تأخذى هذه الصورة بدلا من البقشيش ؟ » وجاء صوت نورما مبجوحا خشنا « نعم » . « حسنا . يمكنك أن تأخذيهما » .

واختفى اللون الأبيض تدريجيا من أصابعها . وكانت هناك أضواء من اللذة والافتخار والاشباع فى عينيها . ولعقت شفتيها وقالت « شكرا ، أوه شكرا يا سيدى » ثم أدارت وجه الصورة نحوها وعانقتها . ولم يكن البلاستيك باردا كالزجاج وإنما كان دافئا ناعم الملمس .

وقال أرنست « أظن أن باستطاعتى أن أدير أمورى بعينة واحدة فقط . اننى سأتجه الى الجنوب ولن أعود للمركز الرئيسى للشركة الا بعد ستة شهور ووضعنت فى الاعتبار ضرورة قضاء أسبوعين فى لوس أنجلوس . فهى مكان عظيم لتسويق الاشياء والبدع الجديدة » . وجملت نورما الصورة الى صوان ملابسها وفتحت الدرج ودفعت بالصورة تحت كومة من الملابس ثم أغلقت الدرج . وقالت « هل ستذهب الى هوليوود ؟ » .

« أوه ، بالتأكيد . بل وهى افضل من لوس أنجلوس من حيث تسويق البدع الجديدة » . وحينئذ ستكون المسألة كأنها أجازة لي أيضا . وأنا لى عدد من الاصدقاء هناك . أقوم بأجازتى وأتجول من مكان لآخر وأشاهد الاشياء وأبشر عملى التجارى فى نفس الوقت ، أصطاد عصفورين بحجر واحد . فأنا لا أضيع الوقت . ولى صديق منذ أن كنا سويا فى الجيش وهو يعمل الآن فى أحد استوديوهات التصوير السينمائى فى هوليوود . ودائما ما ارتاد بعض الاماكن معه . وفى اخر مرة سافرنا سويا لحضور حفلة فى ميلروز جروثو وهى توجد فى الطرف الاخر من ميلروز بعد R.K.O مباشرة . وكانت حفلة ممتازة بمعنى الكلمة . ولا أريد أن أقول لك ما قمنا به من اعمال . ولكنه لم يسبق لى أن حظيت بمثل هذا القدر الكبير من المرح فى حياتى . ثم اضطر صديقى بالطبع الى العودة الى عمله فى الاستوديو وأصبح لنورما نفس العزم والتصميم الموجود لدى كلب صيد

صغير وهو يرقب حشرة . فسأله فجأة « هل يعمل صديقك في الاستوديو ؟ وما هو اسم هذا الاستوديو ؟ » .

فقال ارنست « مترو جولدن ماير » وكان منهكاً في ترتيب حقيبته وإعادة العينات اليها ولم يكن ينظر لأعلى نحوها . لذلك لم ينتبه الى صوت أنفاسها في حلقها ولم يلحظ النغمة غير الطبيعية التي صاحبت صوتها .

« أتدخل الى الاستوديو كثيراً ؟ »

« نعم . نصديقي ويلى يحضر لى تصريحاً للدخول . فأذهب وأشاهدهم وهم يصورون في بعض الاحيان . وصديقي ويلى يعمل نجاراً . وكان يعمل هناك قبل الحرب ورجع الان الى هناك . وأنا خدمت في الجيش معه . وهو زميل لطيف للغاية . وياله من انسان رائع أثناء الحفلات . فهو يعرف نساء ولديه أرقام تليفونات أكثر مما تتصورين . كتاب ضخيم سميك اسود ملئ بأرقام التليفونات . حتى أنه لا يتذكر أى شيء عن نصف عدد النساء اللائي يحتفظ بأرقام تليفوناتهن » .

وبدا الحماس يدب في ارنست وهو يتحدث عن هذا الموضوع . فجلس على الكرسي الصغير المستقيم بجوار الحائط وضحك بصوت مكتوم وقال « وفي بداية الحرب وقبل أن أتصرف على ويلى كان ويلى مرابطاً . في منطقة « سانتا أنا » وبدأ الضباط يسمعون عن كتابه الاسود وبدأوا يأخذونه معهم الى هوليوود لكي يحضر لهم النساء وكانوا يعطونه تصريحاً في أى وقت يشاء . وأحرز نجاحاً كبيراً بعد أن شحنوا معداته وأجهزته الى الخارج » .

وظهرت على عيني نورماً لمحة سريعة من الضيق أثناء هذا السرد المستفيض . وعبثت أصابعها في مريلتها وارتفع صوتها ثم انخفض وهي تقول « أيضاً يذكرك أن تقدم لى معروفاً ؟ » .

فقال ارنست « أى خدمة . ماذا تريدان ؟ » .

« حسناً . لو أنني أعطيتك وكنت في احدى زياراتك لمترو جولدن ماير ثم تصادف أن رأيت المستر جيبل . فهل تعطيه الخطاب ؟ »

« من يكون المستر جيبل هذا ؟ » .

فقالت نورماً في حزم « المستر كلارك جيبل » .

« أوه . هل تعرفينه ؟ »

فقالت نورما فى برود « نعم • فانا ابنة عمه •
« أوه • فهمت ما ترمين اليه • حسنا • من المؤكد اننى سأفعل
ذلك • ولكن من المحتمل ألا أذهب • لماذا لا ترسلينه بالبريد ؟ »
فضاقت عينا نورما وقالت فى غموض « انه لا يتسلم خطاباتى ،
فهناك فتاة كالكسكس تيرة تأخذ الخطابات وتحرقها •
فقال ارنست « لا !! ولاى سبب تفعل هى ذلك ؟ »
ففكرت نورما للحظات فى هذا الامر ثم قالت « انهم فقط لا
يريدون له أن يرى الخطابات • »
« ولا حتى الخطابات الواردة من أقاربه ؟ »
فقالت نورما « ولا حتى الخطابات المرسلة من ابنة عمه •
« هل هو أخبرك بذلك ؟ »

« نعم » • وكانت عيناها متسعيتين وخاليتين من أى تعبير •
واستطردت « نعم • وأنا سأذهب الى هناك بالطبع فى القريب العاجل
لقد قدمت لى عروض بالعمل وكنت على وشك الذهاب ولكن ابن عمى
- أعنى المستر جيبل قال (لا • يجب أن تحصلى أولا على الخبرة من
الحياة العملية • فأنت ما زلت صغيرة • وليس هناك ما يدعو للتسرع)
ولذلك فانا أحصل على الخبرة الآن • فالانسان يتعلم الكثير من الناس
فى صالات الطعام • وأنا أدرس الناس فى جميع الاوقات • »
فنظر اليها ارنست فى شئ من الشك • لقد عرف قصصا خيالية
عن خادمت فى المطاعم أصبحن نجسوما فى السينما بين يوم وليلة ،
ولكن نورما لم تكن لديها المواهب التى تؤهلها لذلك • • ولم تكن لها
ساقان جميلتان • كانت ساقاها مثل العصى • ولكنه كان يعرف حوالى
اثنين أو ثلاث من ممثلات السينما اللاتى كن فى غاية البساطة بدون
المكياج حتى أنه يتعذر على المرء التعرف عليهن بعيدا عن الشاشة •
ولقد قرأ عنهن • فاذا كانت نورما لا تشبه الممثلات فباستطاعتهم أن
يغيروا من شكلها بحيث تبدو ممثلة ويدفعون بها الى هذا المجال •
واذا كان كلارك جيبل ابن عمها ففى ذلك نفوذ كبير ومركز قوة لا يقهر
وهذه فرصة كبيرة بالنسبة لها •

وقال « حسنا ، اننى لم أفكر فى الحصول على تصريح من ويلي
للدخول للاستوديو فى هذه المرة • ولقد ذهبت الى هناك مرات قليلة
للغاية ولكن - حسنا • اذا كنت ترغبين فى ذهابى الى هناك فانى
سأذهب على الفور وأبحث عنه وأعطيه رسالتك • وما هو السبب فى

أنك تفترضين أنهم يتخلصون من الخطايا المرسلة اليه بالبريد ؟ »
فقلت نورما في عاطفة فياضة « انهم يريدون أن يستنزفوه حتى
الموت ، وبعد ذلك يلقون به كحذاء قديم » .

واجتاحتها موجات متتالية من العسواطف . وكانت في نوبة من
نوبات النشوة والسعادة القصوى . وكانت موجات الهلع والخوف تزحف
عليها في نفس الوقت . فهي لم تعرف الكذب من قبل وهي لم يسبق
لها أن فعلت شيئا مثل هذا . لقد كانت منطلقة فوق دعامة خشبية
طويلة غير ثابتة وكانت تدرك ذلك ، فسرّال واحد من جانب أرنست
أو مجرد معرفته لقدر ضئيل من المعلومات من شأنه أن يلقي بها بعيدا
من فوق الخشبة لتهبط في هوة محيطة في ارتطام شديد ، ومع ذلك
لم تستطع أن تمنع نفسها من مواصلة الحديث .

فقلت « انه رجل عظيم . رجل فاضل عظيم . فهو لا يحب
الادوار التي يسندونها اليه لانه ليس من هذا القبيل . بل انه لم تكن
لديه الرغبة في القيام بدور Rhett lutler لانه ليس مأكرا
ونحننا لزملائه فهو لا يرغب في تمثيل أدوار من هذا النوع » .

وكان أرنست قد اخفض من عينيه وراح يدرس نورما من خلال
رموش عينيه . وبدأ أرنست يدرك جوانب الموقف . اذ بدأ مفتاح
الموقف يزحف الى ذهنه . فقد كانت نورما في تلك اللحظة مشرقة
وجميلة بشكل ربما لم يسبق له مثيل . وكان وجهها يتسم بالوفاء
والشجاعة ونفيس عظيم حقيقى من الحب . وكان هناك أمران فقط أمام
أرنست ليفعلهما : اما أن يهزأ بها واما أن يتمشى مع الموقف . ولو
كان هناك أى شخص آخر شىء الغرفة - أى رجل آخر مثلاً لكان قد
نضحك ويختر منها ليحمى نفسه من احتقار الشخص الآخر ولكان قد
تسبب بسببه من الخجل والاضطراب لانه أدرك أن ذلك الشىء الذى يلمع
فى عيني الفتاة هو أمر غاية فى النقاء والقوة والفيض . وكان هذا هو
الشىء الذى جعل المبتدئين من الرهبان يرقدون الليالى على الأرض
الصحيرية أمام المذابح . ولم يسبق لأرنست على الإطلاق أن شاهد مثل
هذا التوافق القوى لورود الحب العظمية .

فقال أرنست « سأجذ الخطاب وسأخبره بأنه من ابنة عمه » .
فظهرت دلائل الخوف على وجه نورما وقالت « لا . اننى أفضل
أن أجعلها دناجاة له . قل نه فقط أن الخطاب من صديقة . ولا تقل له
أى كلام آخر » .

فسألها ارنست « متى ستسافرين الى هناك لاستلام العمل ؟ »
« حسنا . لقد قال المستر جيبل أنه ينبغي على الانتظار لعام آخر
وقال أنني صغيرة في السن واحتاج للخبرة ودراسة الناس . وأحيانا
ما أشعر بالضيق من ذلك وأتمنى لو كنت هناك في منزلي الخاص بي
معهم - تلك الستائر الضخمة السمكية وكنبة طويلة ضخمة وسميكة
هي الاخرى ، لكي أرى صديقاتي : بيتي دافيز وأنجريد برجمان وجوان
فونتين . فأنا لا أختلط مع الاخريات اللائي يلجأن للطلاق باستمرار
وأشياء أخرى من هذا القبيل . فنحن نجلس سويا ونتحدث في الامور
الجادة كما اننا ندرس طوال الوقت لان هذه هي الوسيلة الوحيدة
التي تؤدي الى ارتقاء الممثلة بحيث تصبح ممثلة عظيمة . وهناك عدد
كبير ممن يعاملن المعجبين بهن معاملة وضيفة فلا يوقعن على الاتوجراف
وأشياء من هذا القبيل . أما نحن فلا نفعل ذلك ، بل اننا في بعض
الاحيان ندخل عندنا فتيات من الشوارع لتساول قدح من الشاي
والتحدث معهن كما لو كن مثلنا تماما لاننا ندرك أننا مدينون في كل
ما حصلنا عليه للمعجبين والمعجبات بنا » . وكانت ترتجف من الداخل
بفعل الخوف ولم تستطع الكف عن الكلام . وكانت تبتعد كثيرا عن
الدعامة الخشبية ولم تستطع الكف عن الحديث حتى أصبحت الدعامة
على وشك أن تقذف بها بعيدا عنها .

وقال ارنست « انني لم أفهم في بادئ الامر أنك قد انتظمت
بالفعل في السلك السينمائي . فهل أنت نجمة سينمائية بالفعل ؟ »
فقالت نورما « نعم » واستطردت « ولكنك لم تعرفني بسبب
اسمي الذي استخدمه هنا . فأنا لي اسم آخر استخدمه في هوليوود »
« ما هو ؟ » .

فقالت نورما « لا أستطيع أن أخبرك به . زأنت الشخص الوحيد
في هذا المكان هنا الذي يعرف أي شيء عني . وآمل ألا تقسول ذلك
لأحد ، هل ستخبر الآخرين ؟ » .

فاهتزت مشاعر ارنست وقال « لا . لن أخبر أحدا اذا كانت هذه
هي رغبتك » .

فقالت نورما « لا تفشي سري » .

فقال ارنست « بكل تأكيد . اعطني الخطاب ورسائلي وصورته
اليه » .

« ستضمن وصول ماذا والى من ؟ » هكذا قالت آليس في مدخل

الباب • واستطرد « وماذا تفعلان هنا أنتما الاثنان وحدكما فى غرفة النوم ؟ » وجالت بعينيها فى شك وريبة باحثة الدليل والبرهان • ثم مرت بعينيها بسرعة فوق حقيبة العينات الموجودة على السرير وتوقفت عيناها فوق الوسادة ثم فحصت بعينيها المفرش • وبعدئذ تحركت نحو نورما وطافت بعينيها فوق قدمى نورما ثم فوق ساقيهما وتوقفت قليلا فوق جونلتها وتوقفت بعض الشيء على خصرها وبعدئذ استقرت فوق وجهها المحتقن •

وكانت نورما على وشك الغثيان بسبب الحيرة والارتباك وكان خداهما متوهجين بالدماء فى أماكن مختلفة • وضعت آليس يديها على ردفها •

وقال أرنست مهدئا الموقف « لقد جئت لأخذ حقيبة عيناتى لكى أفسح المكان • فطلبت منى أن أسلم رسالة الى ابن عمها فى لوس انجلوس » •

« ولكنها ليس لها ابن عم فى لوس انجلوس » •
فقال أرنست فى غضب « لها ابن عم بكل تأكيد ، وأنا أعرف ابن عمها » •

وعندئذ انفجر الغضب الذى كان يحاول الخروج من آليس طوال الصباح فصاحت قائلة « اسمع ما أقوله لك • اننى لن أسمع للبيعة الجائلين بخداع الفتيات اللائى استأجرهن » •

فقال أرنست « لم يمسهأ أحدا • لا أحد وضع يده عليها » •
« حسنا • وماذا كنت تفعل فى غرفة نومها ؟ » وتصاعدت حلقات الهستيرها فى داخل آليس فصدر صوت صارخ ثقيل من حلقها وسقط شعرها حول وجهها وراحت عيناها تلف فى حركة دائرية وقد امتلأت بالدموع ، وأصبحت شفثاها قاسيتين مزومتين كما يفعل المقاتل عندما يضرب فى قوة وقسوة غريما له فى شبه غيبوبة • « اننى لن أسكت على هذا الامر • أتظن أننى أريد لها أن تصبح حاملا ؟ أتظن أننى أريد أولادا غير شرعيين فى كل أرجاء المكان هنا ؟ ونحن نعطيكم أسرتنا وحجراتنا !! » •

فصرخ أرنست قائلا « قلت لك أن شيئا لم يحدث » وكانت تجتاحه موجة من اليأس فى مواجهة هذا الجنون ، حتى أن انكاره قد رن فى أذنيه كأنه اعترافات • ولم يفهم السبب الذى جعلها تقول ذلك القول • وبدأ يشعر بالالام والاضطرابات فى معدته بسبب الاتهامات الظالمة وأخذ الغضب يتصاعد فى داخله هو الآخر •

وكان فم نورما مفتوحا والتقط فمها ميكروب الهستيريا فصدرت عنها صرخات كالعويل مع كل نفس لاهث وتقاتلت يداها أمامها كما لو كانت كل يد تحاول تحطيم الاخرى .

وتقدمت اليس نحو نورما وكانت قبضة يدها اليمنى مضمدة ، ليس كقبضة يد امرأة ولكن الاصابع كانت مطوية في قوة والمفاصل الاولى للاصابع متجهة لاعلى وبارزة والابهام ملاصق للمفاصل الاولى . وكانت كلماتها ثقيلة ومبللة : « أخرجى من هنا . أخرجى من المكان بأسره . أخرجى تحت المطر » .

ثم قامت اليس بهجوم مفاجئ على نورما فتحركت نورما بعيدا الى الوراء وصدرت عنها صرخة مليئة بالرعب .

وكانت هناك خطوات سريعة في المدخل وقال جowan في حدة

« اليس !! » .

فتوقفت . وانفتح فمها في ارتخاء . ودب الخوف في عينيها . ودلف جowan الى الغرفة في ببطء وقد وضع ابهاميه في جيبي أفروله كالخطاف . وتحرك نحوها في خفة مثل القط المتسلل . وكان الخاتم الذهبي الموجود في اصبعه الذي قطع جزء منه يلمع في الضوء الرصاصي القادم من النافذة . وتلاشى غضب اليس وحل محله الشعور بالرعب . فابتعدت عنه في خوف وتخطت نهاية السرير وسارت في الطريق المسدود الى أن أصبحت ملتصقة بالحائط . وهنالك أوقفت .

فهمست قائلة « لا تضربنى . أرجوك لا تضربنى » .

فاقترب جowan منها وتحركت يده اليمنى ببطء على ذراعها في المكان الذي يعلو المرفق مباشرة . وكان ينظر اليها ، لا من خلالها أو حولها . وأدارها برفق وقادها عبر الغرفة ثم عبر الباب وأغلق الباب على نورما وارنسنت .

فحملقا في الباب المغلق والتقطا أنفاسهما بصعوبة .

ثم قاد جowan اليس الى السرير المزدوج وأدارها برفق فانحنيت في تداعى لأسفل كالكسيح وسقطت الى الوراء وهي تحملق فيه بجنون ووحشية . فالتقط وسادة من رأس السرير ووضعها تحت رأسها . وربت في رفق على خدها بيده اليسرى تلك اليد التي بها أصبح مبتور في جزئه الاعلى وبها خاتم الزواج وقال لها « ستصبحين على ما يرام الان » .

فوضعت ذراعيها على وجهها في شكل متقاطع وكان نشيبيجها وبكاؤها مخنوقا وأجشما وجافا .

الفصل الخامس

جلست برنسيس برتشارد وابنتها ميلدريد والمستتر برتشارد الى منضدة صغيرة الى يمين باب الدخول لصالة الطعام وقد ازداد اقتراب أفراد المجموعة الصغيرة من بعضهم البعض ، اذ شعر الشخصان الاكبر سنا أنهما يشكل ما معرضين للهجوم ، أما ميلدريد فكانت متأهبة لدفع الاذى عنهما . وهى طالما تعجبت كيف أن والديها قد بقيا على قيد الحياة فى عالم ردىء شديد القسوة والوحشية . فهى كانت تعتبرهما طفلين صغيرين ساذجين بدون حماية ، وكانت الى حد ما على صواب بالنسبة لامها . ولكن ميلدريدا أغفلت أن الطفل لا يتلف ولا يتخاذل فهو راسخ ويثابر مثابرة خالصة ليشق لنفسه طريقا فى الحياة . وكان هناك نوع من عدم التلف فى برنيس . فقد كانت جميلة بعض الشيء وكان أنفها مستقيما وهى قد لبست نظارة لفترة طويلة للغاية حتى أن المسطحات بين عينيها قد تشكّلت بفعل الضغط ولم يكن فقط الجزء الغضروفي العالى لانفها رفيعا للغاية بسبب النظارة وانما ظهرت هناك أيضا بقعتان حمراوان حيث كان الشنبر يضغط فى أوقات منتظمة . وكانت عيناها ملونتين باللون البنفسجى وبهما غشاوة مما كان يعطيها نظرة جوانية جميلة .

وكانت تتسم بالانوثة والرقّة . ودائما ما كانت ترتدى ملابس بها مسحة من الموضة التى كانت سائدة فى فترة مضت . ومن وقت لآخر كانت ترتدى دانتلة مزركش ودبابيس مشبك من النوع القديم . ودائما ما كانت بلوزاتها مزدانة ببعض الشرائط والدانتلات والاشغال اليدوية وكانت الياقات والاساور دائما بدون عيوب . وكانت تستخدم ماء التواليت لافاندر حتى أن هذه الرائحة كانت تنبعث دائما من بشرتها وملابسها وحقيبة يدها كما كانت تصدر عنها رائحة أخرى حمضية لا تكاد تدرك وهى الرائحة الخاصة بها . وكان لها رسلخان جميلان وقدمان جميلان وكانت تلبس أحذية باهظة الثمن من جلد الماعز عادة وبها زركشة ودانتلا وفيونكة صغيرة فوق وش القسدم . وكان فيها ذابلا بعض الشيء وصبيانيا وناعما وبدون قدر كبير من

الشخصية . وكانت قليلة الكلام للغاية ولكنها قد اشتهرت بين شيلتها بالطيبة وحب الخير والذكاء أولا لقولها أشياء جميلة فقط عن الناس بل وعن أولئك الذين لا تعرفهم وثانيا لعدم تحدثها على الإطلاق عن فكرة عامة من أى نوع باستثناء العطور أو الطعام . . فهي كانت تقابل أفكار الناس الآخرين بابتسامة هادئة كما لو كانت تغفر لهم وجود أفكار لديهم . . وحقيقة الأمر انها لم تكن تصغى اليهم بانتباه .

ولقد بكت ميلدريد مرات عديدة فى غضب عندما كانت ترى ابتسامة أمها التى توحى بأنها تعرف وتغفر وجود تلك الأفكار عقب احدى خطب ميلدريد السياسية أو الاقتصادية . وقد اكتشفت الابنة بعد وقت طويل أن أمها لم تكن تستمع على الإطلاق لاية مناقشات ليست لها علاقة بالناس أو الاماكن أو الاشياء المادية . ومن جهة أخرى كانت برئيس لا تنسى مطلقا أية معلومات تفصيلية عن السلع أو الالوان أو الاسعار . اذ كان باستطاعتها أن تتذكر على وجه الدقة المبلغ الذى دفعته ثمننا لقفاز أسود من السويد منذ سبع سنوات . ولقد كانت مغرمة بالقفزات والخواتم - أى نوع من الخواتم . كما كانت تحتفظ بمجموعة كبيرة الى حد ما ولكنها كانت تلبس دائما مع أى شيء اخر خاتم الخطوبة الماسى الصغير الخاص بها وأسورة الزواج الذهبية . وهذه الاشياء كانت تخلعها لدى الاستحمام فقط . وكانت تظل لابسة لها لدى قيامها بغسل أمشاطها وفرشاتها فى ماء النشادر فى حوض غسيل الايدي . فماء النشادر ينظف الخواتم ويؤيد الماسات الصغيرة لمعانا وبريقا . .

وكانت حياتها الزوجية بهيجة الى حد ما وكانت معجبة بزوجها . وكانت تظن أنها تعرف نقاط ضعفه وحيله وأساليبه ورغباته . وهى نفسها كانت معوقة بما يعرف بحالة « البرود الجنسى » مما حال بينها وبين تحقيق أى نشوة مع زوجها ، كما كانت تعاني من الحموضة مما كان يمنعها من الحمل بالاطفال الا اذا قامت أولا بتشجيع الاحماض فى جسدها صناعيا . وهى قد اعتبرت هاتين الظاهرتين أمرا طبيعيا وأى تعديل لهما يعدا أمرا شاذا ولا طعم له . وكانت تتحدث عن النساء من ذوات الرغبة الجامحة بأن تشير اليهن بقولها « ذلك النوع من النساء » وكانت تشعر بالاسف بعض الشيء من أجلهن مثلما تشعر بالاسف نحو المدمنين على تعاطي المخدرات والمواد الكحولية . . وهى قد قبلت الرغبة الجنسية المفتوحة لدى زوجها ثم تدرجت

المسألة وأصبحت تتقبلها وهي على وشك الاغماء ولكن عدم الرغبة المستمرة من جانبها قد أدى الى اختناق رغبة زوجها تدريجيا الى أن بدأ يعتقد في النهاية أنه بصدد الوصول الى مرحلة من العمر تكون فيها مثل هذه الامور غير ذى بال .

ومن حيث أسلوبها في الحياة كانت امرأة قديرة للغاية . اذ كانت تدير منزلا مناسبا ونظيفا ومريحا وتعد وجبات مفيدة ومغذية دون أن تكون لذينة الطعم ، فهي كانت تعتقد أن التوابل لا لزوم لها لانه قيل لها منذ فترة طويلة أنها تقوى الرغبة لدى الرجال . ولم يكن ثلاثتهم - هي والمستر برتشارد وميلدريد - يعانون من أى زيادة فى الوزن على الاطلاق ، ربما بسبب سخافة الطعام الذى لا يفتح الشهية .

وعرفت برئيس بين صديقاتها كواحدة من ألطف الناس الذين تصادفهم طوال حياتك ومن أكثر الناس بعدا عن الانانية وحب الذات وغالبا ما كن يتحدثن عنها كقديسة وهي نفسها كثيرا ما قالت أنها سعيدة لأنها تحتفظ بالطف الصديقات وأكثرهن اخلاصا فى العالم بأسره . وكانت تحب الزهور وتزرعها وتشذبها وتضع لها المخصبات وتقطفها . وكانت تحتفظ دائما فى منزلها بفاطات الزهور حتى أن صديقاتها قلن عن منزلها أنه يشبه « محل بيع الزهور » وكانت ترتب الزهور بنفسها بطريقة رائعة للغاية .

وهي لم تكن تتعاطى الادوية . وفى أغلب الاحيان كانت تعاني فى صمت من الامساك الى أن تريحها الضغوط المتراكمة . وهي لم يسبق لها على الاطلاق أن مرضت مرضا حقيقيا أو أصيبت باصابة بالغة وبالتالي لم يكن لديها مقياس تقيس به الألم . فمجرد وخزة فى جانبها أو صداع أو ألم غازي تحت قلبها كان يجعلها تقتنع بينها وبين نفسها أنها على وشك أن تموت . وكانت واثقة من أنها ستتموت عندما تلد ابنتها ميلدريد حتى أنها رتبت كل شيء لكى تكون سهلة بالنسبة للمستمر برتشارد بل انها قد كتبت رسالة لا تفتح الا عقب وفاتها تنصح فيها زوجها بأن يتزوج مرة أخرى حتى يمكن للطفل أو الطفلة أن يحصل على نوع من الام . ومزقت الرسالة فيما بعد .

وكان جسدها وعقلها بليدين كسولين . وفى أعماقها كانت تحارب حقدا دفيناً على الناس الذين جربوا أشياء جميلة بينما هي قد اجتازت الحياة كسحابة رمادية فى غرفة رمادية . ونظرا لقلة مدركاتها الحقيقية فانها عاشت وفقا لبعض القواعد : التعليم حسن

ومفيد • ضبط النفس ضرورى • كل شىء فى وقته ومكانه • الاسفار
توسع الافاق • وكانت هذه القاعدة الاخيرة هى التى أرغمتها أخيرا على
الذهاب فى أجازة الى المكسيك •

وهى لم تعرف كيف توصلت الى قراراتها النهائية • فقد كانت
عملية مطولة وبطيئة قائمة على تلميحات وإيعازات واقتراحات وأحداث
لا نهاية لها الى أن دفعت كثرتها العددية المسألة الى التحقق فى النهاية
فهى فى حقيقة الامر لم تكن ترغب فى الذهاب الى المكسيك ولكنها
كانت ترغب فى مجرد العودة الى صديقاتها عقب زيارة المكسيك • أما
زوجها فلم تكن لديه الرغبة فى الذهاب على الاطلاق • وهو كان يفعل
ذلك من أجل أسرته ولأنه كان يأمل فى أن تعود عليه هذه الرحلة
بالخير والنفع الثقافى • أما ميلدريد فكانت ترغب فى الذهاب ولكن
ليس مع والديها ، اذ كانت ترغب فى مقابلة أناس جدد وغريباء عليها
ومن خلال مثل هذه الاتصالات والعلاقات تصبح هى نفسها انسانية
جديدة وغريبة • فقد كانت تشعر أن لديها ينابيع هائلة من العاطفة
فى داخلها لم يزح عنها الستار • فلربما كانت لديها تلك الينابيع •
فكل شخص لديه هذه الينابيع تقريبا •

ورغم أن برنيس برتشارد ترفض الخرافات • فانها كانت تتأثر
تأثرا عميقا بالدلائل والتلميحات ، فانها يار الاتوبيس فى وقت مبكر
من الرحلة أخافها أو يدهم ذلك كندير سوء لسلسلة من الحوادث التى
تفسد الرحلة تدريجيا • وهى كانت حساسة بالنسبة لما يعاينيه المستر
برتشارد من قلق • وفى الليلة الماضية قالت له وهى مستلقية بدون
نوم فى سرير آل شيكوى المزدوج ومصغية لانفاس زوجها المنبعثة فى
تنهد « سيتحول هذا الى مغامرة عندما ينتهى • اننى أكاد أسمعك
وأنت تتحدث عنه • سيكون هذا أمرا غير عادى يبعث على التسلية
والضحك » فقال لها المستر برتشارد « أظن ذلك » •

لقد كان هناك اعزاز ومحبة من نوع معين بين هذين الشخصين ،
تكاد تكون علاقة من النوع الموجود بين أخ وأخته • وقد نظر المستر
برتشارد الى حالة القصور عند زوجته كامرأة على أنها من سجايا
وصفات المرأة الحميدة • وهو لم يكن يخامر أدنى شك بالنسبة
لامانتها وإخلاصها • اذ كان يدرك فى اللاشعور أنها لا تستجيب
للمؤثرات كما كان يدرك فى داخل عقله أن ذلك أمر سليم • وكان
يرجع حالة أعصابه وأحلامه المزعجة والالام الحادة التى تظهر أحيانا

فى الجزء الاعلى من جوفه الى تناول قدر كبير للغاية من القهوة وعدم ممارسة قدر كاف من الرياضة البدنية .

وكان معجبا بشعر زوجته الجميل المتموج دائما والنظيف دائما .
كما كان معجبا بملابسها النظيفة الخالية من البقع والتلوث . وكان يحب التهاني التى تتلقاها زوجته على حسن ادارتها للمنزل وعنايتها بأزهارها . لقد كانت زوجة يفتخر بها الانسان وهى قد أنجبت وربت ابنة جميلة ، ابنة جميلة وفى صحة جيدة .

فقد كانت ميلدريد فتاة جميلة ، فتاة طويلة ، أطول من أبيها ببوصتين وأطول من أمها بخمس بوصات . وقد ورثت ميلدريد عن أمها العيون البنفسجية والضعف الذى يسرى فيهما ، فهى كانت تلبس النظارة اذا أرادت رؤية شىء بوضوح . وكان جسدها رائع التكوين ذا ساقين قويتين ورسغين رشيقين قويين . وكان فخذاها وردفاها متماسكين ومستقيمين وناعمين بسبب كثرة التمرينات الرياضية . اذ كانت تجيد لعبة التنس وكانت قلب الهجوم فى فريق كرة السلة التابع لكليتها . وكان ثدياها كبيرين ومتماسكين وعريضين عند القاعدة . وهى لم تثر النكبة الفزيولوجية الموجودة عند أمها . فهى قد مارست الحب مرتين ممارسة تامة وبالغة حد الكمال مما أعطاها اشباعا هائلا وجعلها تتطلع باستمرار الى ضرورة وجود علاقة دائمة . وكان ذقن ميلدريد ينم عن التصميم والعزم مثل ذقن والدها . وكان فمها ممتلئا ولينا ومتهيبا بعض الشئ . وكانت تلبس نظارة ثقيلة ذات سنبر أسود مما كان يضيف عليها طابع التلميذة . وكانت المفاجأة تملأ دائما وجوه معارفها الجدد لدى رؤيتها فى حفل راقص بدون نظارة ، وكانت تجيد الرقص اذا تحرت الدقة بعض الشئ ولكنها كانت تمارس الرياضة البدنية وربما كانت تزاول الرقص فى حرص أكثر من اللازم وبدون الاسترخاء الكافى . وكان لديها شىء من الميلز نحو الزعامة والقيادة وان كان ذلك أمرا يمكن التغلب عليه عن طريق شريك له معتقدات وحجج قوية مقنعة .

وكانت معتقدات ميلدريد قوية أيضا ولكنها كانت قابلة للتغيير . وهى قد تناولت بعض القضايا وكانت عادة قضايا حسنة . وهى لم تفهم والدها على الاطلاق لانه كان يحيرها ويربكها . فعندما تقول له شيئا معقولا ومنطقيا تجد فيه غباء أبكم وعجزا تاما فى مقدرته على التفكير مما كان يرعبها . ولكنه بعدئذ يقول أو يفعل شيئا ذكيا للغاية

حتى أنها قد تتحول فجأة الى الاتجاه الآخر . فهي عندما كانت تقتنع بأنه صورة كاريكاتيرية لرجل أعمال بخيل وحقير وقاس كان يحطم مفهومها الذهني عنه بعمل أو بفكرة تتسم بالكرم والرقه وحسن التمييز والادراك .

ولم تكن تعرف شيئا عن حياته العاطفية على الاطلاق تماما مثلما لم يعرف هو عنها شيئا . وحقيقة الامر أنها كانت تعتقد أن الرجل في متوسط عمره لا تكون له حياة عاطفية . فقد كانت ميلدريد - وهي الفتاة التي بلغت من العمر واحدا وعشرين عاما - تشعر أن العصابات والسوائل تجف عند سن الخمسين طالما أن الجاذبية في تلك الحقبة من العمر تضيع من الرجال والنساء على حد سواء . وهذه حقيقة واقعة لذلك كانت تعتقد أن من المناظر القبيحة أن ترى رجلا أو امرأة في سن الخمسين في حالة حب .

ولكن اذا كانت هناك فجوة بين ميلدريد وأبيها فقد كانت هوة سحيقة بينها وبين أمها . فالمرأة التي ليس لها رغبات قوية تتطلب الاشباع لا يمكن أبدا أن تصبح قريبة من نفس فتاة لها رغبات قوية . وكانت هناك محاولة مبكرة من جانب ميلدريد لان تشترك مع أمها في النشوة الكبرى وتحصل من وراء ذلك على التثبيت ولكنها قوبلت بالذهول والحيرة وعدم التوصل الى فهم المطلوب مما دفع ميلدريد الى الانسحاب الى داخل ذاتها . ثم ظلت لفترة طويلة فاقدة الثقة في أي فرد ومعتقدة أنها فريدة من نوعها وأن جميع النساء الأخريات يشبهن أمها . ومع ذلك فقد تمكنت امرأة شابة ضخمة الجثة قوية العضلات تعلم الهوكي والكرة الرخوة والرماية بالسهم في الجامعة من كسب ثقة ميلدريد أخيرا . كسبت كل ثقتها ثم حاولت الذهاب معها الى الفراش . ولم تمنح هذه الصدمة من نفسها الا عندما ذهب معها بالفعل الى الفراش طالب في الهندس رخيخ الصوت وله شمس كالا سلاك .

وبعدئذ أصبحت ميلدريد صامتة لا تلفصح عن أفكارها وخططها . وأصبحت تدبر أفكارها بنفسها وانتظرت الوقت الذي تتحرر فيه من والديها أما بالموت أو الزواج أو الحوادث . ولكنها كانت تحب والديها وهي كانت ستخاف من نفسها لو أن رغبتها في موتها قد ظهرت على سطح عقلها يوما ما .

ولم يكن هناك على الاطلاق أي ارتباط وثيق بين هؤلاء الثلاثة على

الرغم من المحافظة على الشكليات محافظة تامة . فقد كانوا أعزاء وأحباء وودودين ، ولكن جوان شيكوى وزوجته أقاما علاقة بينهما بشكل منتظم وعلى نحو لا يدرك كنهه المستر برتشسارد وزوجته . وكانت صداقات ميلدريد الوطيدة التي تحقق لها الاشسباع لا يعرف والدها أى شىء عنها . وكان يجب ألا يعرفا . كان الموقف يتطلب ألا يعرفا . إذ كان والدها ينظر الى الفتيات الصغيرات اللاتي يرقصن عاريات فى المواخير على أنه لاخلاق لهن . ولكنه لم يكن يتصور أنه وهو الذى شاهد وصفق ودفع النقود للفتيات كان بأى شكل من الاشكال مرتبطا بالفساد والرديلة .

وهو قد حاول مرة أو مرتين بناء على اصرار من زوجته أن يحذر ميلدريد من الرجال لمجرد أن يعلمها كيف تحمى نفسها . ولقد كان يعتقد ان لديه معلومات وفيرة عن العالم مع أن كل معلوماته كانت عبارة عن الاقوال والروايات التي سمعها علاوة على الزيارة الوحيدة التي قام بها الى منزل اللهو وزيارة المواخير واذعان زوجته له وهو اذعان خال من العاطفة والاستجابة .

وفى هذا الصباح كانت ميلدريد ترتدى سويتير وجونلة مطوية وحذاء منخفضا يشبه الخف . وكان ثلاثتهم يجلسون الى المنضدة الصغيرة فى صالة الطعام . وكان معطف المدام برتشسارد المصنوع من فراء الثعلث والذى له ثلاثة أرباع طول معلقا على مشجب بجانب المستر برتشسارد . وكان من عادته أن يرعى هذا المعطف وأن يساعد زوجته على ارتدائه ويأخذه منها ويتأكد من أنه قد علق بطريقة سليمة ولم يلق فى اهمال . وكان يربت على زغب الفراء بيده عندما يتضح له أنه تعرض للتكسير والدغدغة . وهو قد أحب هذا المعطف وأحب فيه أنه غالى الثمن . وكان يحب أن يرى زوجته مرتدية هذا المعطف وأن يسمع النساء الاخريات وهن يتجسدن عنه فى تأمل ، فالفراء المأخوذ من ثعلب أسود اللون كان نادر الوجود نسبيا ولذلك فهو شىء قيم يمتلكه الانسان ومن ثم كان المستر برتشسارد يهتم به اهتماما خاصا . وكان هو أول من يقترح دائما وضعه فى الدولاب مع بواصر الصيف وهو الذى اقترح عدم أخذه الى المكسيك بالمرّة . أولا لان المكسيك دولة استوائية وثانيا بسبب وجود العصافير التي قد تسرقه . أما المدام برتشسارد فأشارت الى ضرورة أخذه الى المكسيك أولا لانه ينبغي عليهم أن يزوروا لوس أنجلوس وهوليوود حيث يرتدى الجميع معاطف من الفراء وثانيا لان الجو بارد للغاية فى المكسيك ليلا

واستسلم المستر برتشارد لرأيها بسهولة إذ كان المعطف بالنسبة له وبالنسبة لزوجته هو البادج الذى يدل على علو مركزهم الاجتماعى وعلى أنهم ناجحون فى الحياة ومحافظون وراسخون .

كان المعطف فى تلك الاونة معلقا بجوار المستر برتشارد . فجرى بأصابعه فى مهارة بين الشعر لكى يبعد شعر الوقاية الطويل عن الطبقة الداخلية للمعطف . ولقد سمعوا أثناء جلوسهم الى المنضدة - من خلال غرفة النوم - هجوم أليس الصارخ الخشن على نورما وصدما صدمة كبيرة لدى سماعهم السفالة والابتذال الحيوانى فى هجومها مما دفعهم لان يقتربوا من بعضهم البعض بقدر المستطاع . وأشعلت ميلدريد سيجارة متعجبة النظر فى عيني أمها . وكانت قد بدأت تدخن السجائر منذ الشهور الستة الاخيرة أى عندما بلغت سن الواحد والعشرين . وبعد الانفجار الاول لم يطرق الموضوع شفاهة مرة أخرى على الإطلاق . ولكن أمها كانت تعبر عن عدم ارتياحها بتعبيرات من وجهها فى كل مرة تشعل فيها ميلدريد سيجارة أمامها .

وكان المطر قد توقف . وكان الماء يتساقط من أشجار البلوط البيضاء فوق السطح . وكانت الارض مبتلة بالماء والتراب معجوناً بالمياه وكانت الارض مخضلة . أما الحبوب الممتلئة والثقيلة بفعل البيل وبفعل الربيع الخصيب فقد مالت فى ثقول الى أسفل تحت وطأة كميات المطر الاخيرة حتى أنها امتدت بعيدا فى تموجات مكدودة وكانت المياه تسيل وتجري وتبقى وتندفع لتجد لنفسها أماكن منخفضة فى الحقول ، وكانت الحفر بجانب الطريق الرئيسى المرصوف الخاص بالولاية ممتلئة بالمياه ، بل وكانت المياه تغزو هذا الطريق المرتفع فى بعض الأماكن . وفى كل مكان كان هناك خريز المياه واندفاع المياه . وفقدت جميع نباتات الخشخاش الذهبية أوراق زهورها وأصبحت نباتات الترمس مستلقية ومنتفخة وثقيلة للغاية بحيث لا تقوى على رفع رؤوسها .

وبدأت السماء تصفر وبدأت المساحة الشاملة للسحب فى التمزق الى قطع فأصبحت هناك مساحات من السماء الصافية المحيية للنفس تتحرك عليها سحب خفيفة بسرعة . وهبت ريح عاتية فى طبقات الجو العليا وأخذت تنشر وتمزج وتنسج السحب مع بعضها البعض كالخصيزة ولكن الهواء على الارض كان ساكنا تماما وكانت هناك رائحة الديدان والحشرات ورائحة الأعشاب المبللة والجذور المكشوفة .

وجرت المياه في الحفر الضحلة من منطقة صالة الطعام والجراج في الريبل كورترز الى الحفرة الكبيرة بجوار الطريق الرئيسي . وكان الاتوبيس يقف لامعا ونظيفا في طلائه الالمنيوم وكانت المياه مازالت تقطر من جوانبه وزجاجة الامامي الذي ظهرت به خطوط صغيرة من الامطار . وفي داخل صالة الطعام كان الدفء يزيد بعض الشيء عن الوضع الطبيعي .

وكان بيميلز خلف الكاونتر يحاول تقديم العون والمساعدة بانجاز أى عمل . وهو لم يفعل هذا على الاطلاق من قبل . فهو قد التحق بأعمال مختلفة قبل مجيئه للريبل كورترز ولكنه كان دائما يكره العمل وبالتالي يكره مستخدميه . الا أن تجربة الصباح كانت لا تزال قوية التأثير عليه حيث كان لا يزال يسمع صوت جوان في اذنيه وهو يقول له « كيت . امسح يديك وتبين ما اذا كانت اليس قد أعدت القهوة » لقد كانت أجمل عبارة سمعها في حياته فأحدثت أعظم تأثير عليه . ولذلك فقد أراد أن يفعل شيئا من أجل جوان . فقام بعصر البرتقال ليقدم العصير لال برتشارد وحمل القهوة اليهم وكان يحاول الان أن يراقب محبصة الخبز ويقل البيض على نحو يختلط فيه الصفار بالبياض .

وقال المستر برتشارد « نحن جميعاً سنتناول بيضا مقليا مختلطاً بالبياض بالصفار . فهذا سيسهل الامر أكثر . ويمكنك أن تتحرك الجزء الخاص بي من البيض في المقلاة لفترة أطول ليصير جيداً وجافاً » فقل بيميلز « أوكى » وكانت مقلاته ساخنة للغاية وكان البيض يشكتك ويخشخشو وتصدر عنه رائحة تشسبه رائحة ريش الدواجن المبلل بسبب القلي السريع للغاية .

وكانت ميلدريد قد وضعت ساقا على النار وهي جالسة . وكانت جودلتها مسيركة تحت ركبتيها على نحو يوحى بانكشاف الجانب البعيد عن بيميلز . فأراد أن يلصق للجانب الآخر اللثام نظرة . ونظرت عيناه الضيقتان المتحزنتان بسرعة نظرات سريعة لا حصر لها نحو المساحات التي سيراها . ووضع خذلة في ذمته بعيت اذا لم تتحرك هي فان عليه أن يقدم البيض وينجز فوطه مشققة على ذراعه وبعد أن يضع لهم أطباقهم يتدخل منضدتهم ويستمر في السير لمسافة عشرة أقدام ويسقط الفوطه كما لو كان ذلك بطريق الصدفة . ثم ينحني لأسفل وينظر للخلف من تحت ذراعه وعقدته يذنون باستطاعته رؤية ساق ميلدريد .

راحضر فوطه السفرة وراح يمزج البيض ويخلطه بسرعة لكي يتم
اعداده تبلى أن نسحرك ميلدريد فى جلستها ، ولكن البيض كان قد
التصق حتى أنه اضطر لان يجرفه من على السطح لكي يترك القشرة
المحروقة فى المقلاة . ومالت رائحة البيض المحروق صالة الطعام .
فنظرت ميلدريد لاعلى وشاهدت البريق فى عينى بيميلز ثم نظرت
لاسفل ولاحظت ان جونلتها ممسوكة فجذبتهما . وراها بيميلز وهى
تفعل ذلك دون أن ينظر اليها نظرة مباشرة . وأدرك أنه قد انكشف
أمره فاندفعت الدماء الى وجهه وأحس باللسع والوخز فى خديه .
وارتفع دخان أسود من مقلاة البيض كما ارتفع دخان أزرق من
محمسة الخبز . فجاء جوان فى هدوء من غرفة النوم وراح يشمس
الرائحة فى عمق .

وقال « يا الهى . ماذا تفعل يا كيت ؟ »
فرد بيميلز فى قلق واضطراب « اننى أحاول تقديم العون
والمساعدة بعمل أى شئ » .

فابتسم جوان وقال « حسنا . شكرا لك . ولكن أظن أنه
يستحسن ألا تساعد بأعداد البيض » ثم تقدم نحو موقد البوتاجاز
وأخذ المقلاة الساخنة المليئة بالبيض المحروق ووضعها كما هى فى
الحوض وفتح صنوبر الماء عليها فأحدثت أزيزا وصفيرا وبقللة لفترة
قصيرة ثم خمدت فى توجع تحت الماء .

وقال جوان « ياكيت . اذهب للخارج وحاول تشغيل الموتور .
فاذا لم يدر لا تجعله يشرق لان ذلك سيؤدى الى اغراقه فقط . اذا لم
يدر الموتور مباشرة اخلع رأس الموزع وجفف أطرافه فلربما قد أصابه
بعض البلل . واذا نجحت فى تشغيل الموتور اجعله يدور ببطء لدقائق
قليلة وبعد ذلك انقله الى سرعة عالية واجعل العجلات تدور وتلف ولكن
احرص على ألا يخلص الاتوبيس نفسه وينزل من فوق تلك الركائز
الخشبية . اجعل الموتور يدور ببطء ودون أن يتحرك الاتوبيس
بالفعل » .

ثم سمع بيميلز يديه وتساءل « أينبغى أن أفتح صمام الزيت أولا
لأؤكد من أن دعاء الزيت لا يزال ممثليا ؟ » .

« نعم . أنت تعرف طبيعة عملك . نسم القى نظرة . فالزيت على
المتحرك فى نهاية محور العجل كان سميكا بض الشئ هذا الصباح »
فكان بيميلز « ولكن الاتوبيس قد يهز نفسه ويهبط من فوق القوائم

الخشبية » وكان قد نسي النظرة الأخيرة على ساق ميلدريد وبدأ يزهو بنفسه بسبب مديح جوان له .

« يا كيت . اننى لا أتخيل أن يقوم أى انسان بسرقة الاتوبيس . ولكن عليك بمراقبته » فضحك بيميلز فى مرح ممزوج بالتملق على نكتة رئيسه فى العمل وخرج من الباب .

ونظر جوان عبر الكاونتر وقال للحاضرين « زوجتى ليست على ما يرام الان . ماذا تريدون لاحضره لكم أيها الناس ؟ مزيد من القهوة ؟ »

فقال المستر برتشارد « نعم . لقد كان الولد يحاول أن يقلب بعض البيض فحسرقه تماما . زوجتى تحب البيض غير ناضج تماما » فاستدركت مدام برتشارد « أحبه كذلك اذا كان طازجا » .

فقال المستر برتشارد « اذا كان طازجا . وأريد البيض الخاص بى جافا » .

فقال جوان « البيض طازج وعلى ما يرام . طازج لانه خارج لتوه من الثلج »

فقالت مدام برتشارد « لا أظن أننى أستطيع تناول بيض مخزون فى الثلج » .

« حسنا هذه هى حالة البيض . فلن أكذب عليكم »

فقالت مدام برتشارد « سأتناول فطيرة فقط » .

وقال المستر برتشارد « وأنا أريد نفس الشيء » .

ونظر جوان نظرة جريئة مكشوفة مليئة بالاعجاب الى سساقى ميلدريد . ونظرت هى اليه فارتفعت عيناه تدريجيا من فوق سساقها وامتلات عيناه السوداوان بمتعة كبيرة للغاية وظهر فيها الاعجاب بكل صراحة ودون موارد حتى أن ميلدريد احمر وجهها خجلا بعض الشيء ودبت الحمى والسخونة فى كيانها وخارت قواها وشعرت بهزة كهربائية .

وأشاحت بنظرها بعيدا عنه وقالت « أظن أننى بحاجة الى مزيد

من القهوة . وسأحتاج أيضا الى فطيرة » .

فقال جوان « لم يتبق سوى فطيرتين فقط . سأحضر لكم فطيرتين

وقوقعة حلزونية من الحلوى ويمكنكم أن تتصارعوا على هذه الاشياء » .

ودبت الحركة فجأة فى موتور الاتوبيس بالخارج وبعد برهة

قصيرة انخفضت سرعته الى هدير خفيف .

فقال جوان « صوت الاتوبيس على ما يرام » وخرج أرنست هورتون

فى هدوء من باب حجرة النوم فى خفية بعض الشيء وأغلق الباب وراءه وسار الى أن وصل الى المستر برتشارد ووضع الستة لفائف على المنضدة وقال « هاك ستة منهم » .

فانتزع المستر برتشارد حافظة نقوده وتساءل « أمعك فكة ورقة فئة العشرين دولار؟ »

فضغط جوان على الزر المكتوب عليه « ليس للبيع » فى آلة تسجيل النقود ورفع العجلة فى قسم الفواتير وقال :

« باستطاعتى أن أعطيك ورقتين من فئة العشرة دولارات »

فقال ارنست هورتن « هذا يفى بالغرض المطلوب » فأنا معى دولار أو نحو ذلك وأنت مدين لى بتسعة دولارات ، وأخذ ورقة من فئة العشرة دولارات وأعطى المستر برتشارد دولارا .

فتساءلت مدام برتشارد « ما هذه الاشياء ؟ » .

والتقطت واحدة منها . فجذبها زوجها بسرعة من يدها . وقال لها فى غموض « لا تأخذوها » .

« ولكن ما هذه الاشياء » .

فقال المستر برتشارد فى مداعبة « ذلك أمر أعرفه أنا . ولن يمضى وقت طويل حتى تعرفيه » .

« أوه . أهى مفاجأة ؟ » .

« هذا صحيح ، وعلى الفتيات الصغيرات عدم التدخل فيما لا يعنيهن » وكان المستر برتشارد يسمى زوجته دائما « الطفلة الصغيرة » عندما يود المزاح معها مما كان يجعلها تتحول تلقائيا الى نفس المزاح عند زوجها فتصير لعبوة هى الاخرى .

فسأله « ومتى ترى الفتيات الكسولات اللائى بدون عمل الهدايا الجميلة ؟ » .

فقال « ستعرفين » وحشى اللفائف المنبسطة فى جيبه الجانبي . وأراد أن يدخل عليها وهو يعرج عندما تحين له الفرصة . وقرر أن يدخل تغيرا من عندياته على هذه الخدعة . اذ سيدعى أن قدمه محتقنة الى حد كبير بحيث لا يستطيع أن يخلع حذاءه وجوربه بنفسه وسيجعل زوجته تخلع له جوربه . ويا لها من اثارة عظيمة وهو يرقب وجهها . ستكون على وشك الاغماء عندما ترى قدمه المحتقنة .

وسأله فى ضيق بعض الشيء « ما هذه الاشياء يا اليوت ؟ » .

« ستعرفين . ولا داعى لان تضايقي نفسك يا فتاتى الصغيرة » .

واستأنف الحديث مع أرنست: « اسمع . لقد خطرت لي توا فكرة جديدة . سأقولها لك فيما بعد » .

فقال أرنست « نعم . ان هذا هو ما يجعل العالم يفور بالحبيوية والتجديد . فأنت تتوصل الى فكرة جديدة وتسيطر الفكرة على عقلك . وأنت تريد أن تحدث تغييرا جذريا ولكن المسألة مجرد فكرة بسيطة تشبه ما يسمونه في هوليوود بتغيير في خط السير . فأنت تأخذ أحد الأشياء التي حققت نجاحا ماديا وتدخل عليها التغيير . وهو تغيير ليس كبيرا للغاية ولكنه تغيير بالقدر الكافي وعندئذ تكون قد حصلت على شيء جديد » .

فقال المستر برتشارد « ان ذلك أمر معقول ومنطقي » .
فقال أرنست « ان مسألة الافكار الجديدة غريبة ومدهشة » .
ثم جلس على كرسى بدون مسندا ووضع ساقا على ساق واستطرد قائلا « فلقد توصلت الى نوع من الابتكار وتوهمت أنني سأجلس لاحصى أرباحي ولكنني كنت مخطئا في أوهامي هذه . ان هناك عددا كبيرا من الأشخاص يسافرون كثيرا مثل هنا وهناك ويعتمدون في حياتهم على الحقيبة . حسنا وربما يكون هناك اجتماع أو مؤتمر يتعين عليك أن تحضره أو ربما يكون أمامك موعد جميل ، عندئذ فأنت تحب أن تكون مرتديا جاكيت توكسيدو للسهرة حسنا ، فأنت اذا وضعت هذه الجاكيت في حقيبة السفر فإنها تشغل حيزا كبيرا وربما لا تستخدمها سوى مرة واحدة أو مرتين طوال الرحلة . حسنا ، من هنا جاءت لي الفكرة . افترضت أن يأخذ المسافر معه بدلة جميلة قاتمة تصلح للأعمال - يكون لونها كحلي غامق أو تكاد تكون سوداء أو اكسفورد - وافترضت أن يكون لهذه البدلة أغطية من الحرير تشبه الاهداب الصغيرة والاشرطة الحريرية التي تمسك بالبنطلون . ففي فترة ما بعد الظهر تكون لديك بدلة داكنة جميلة ثم تنزل الاغطية الحريرية الى الاهداب المزركشة وتربط الاشرطة وعندئذ يكون لديك جاكيت توكسيدو . ولقد فكرت أيضا في كيس صغير لوضعها فيه »
فصاح المستر برتشارد « يا لها من فكرة رائعة ، اننى أقول لك اننى قد اضطررت لتخصيص مكان في حقيبتى من أجل جاكيت توكسيدو . ويهمنى أن أعرف شيئا من هذا القبيل . ولو أنك أعددت العدة لهذا الابتكار ونظمت حملة دعائية على المستوى القومى فلربما نستطيع الحصول على موافقة أحد نجوم السينما الكبار على هذه الفكرة ، فرفع أرنست يده وقال « وهذا بالضبط هو ما تخيلته . ولكننى

كنت مخطئا وأنت على خطأ أيضا . لقد رسمت كل شيء على الورق وكيف ان العملية ستسير على ما يرام وكيف أن ساق البنطلون سيكون لها عروات صغيرة جدا من الحرير من أجل المشايك وبعدئذ تصادقت مع شخص يسافر ويجوب البلدان من أجل التسويق لمحات كبيرة تباع الملابس » ثم ضحك أرنست واستطرد قائلا :

« وهذا الصديق أوضح لي الموقف على وجه السرعة فقال لي : أنت بهذه الطريقة تعاقب المحلات الكبرى عقابا قاسسيا . انهم يبيعون التوكسيدو في أى مكان بسعر يتراوح بين ٥٠ و ١٥٠ دولارا أمريكيا . وأنت تجيء بأفكار جديدة لتبيع التوكسيدو بمبلغ بسيط تافه لا يتعدى عشرة دولارات . انهم سيطردونك من المنطقة بأقصى سرعة » .

وهنا أوما المستر برتشارد في حزم وقال : نعم ، اننى أدرك الموقف الان . انهم يعملون على حماية أنفسهم وحماية المساهمين » . وقال أرنست « وكنت قد تصورت اننى سأجلس لأحصى أرباحى . وتخيلت أن الشخص الذى يسافر بالطائرة مثلا تواجهه مسألة عدم تخطي حقايبه لوزن معين وأن ذلك الشخص لديه كل الحق فى أن يوفر مكانا فى حقيبة سفره . فالمسألة تبدو كأنها بدلتان تأخذان وزن بدلة واحدة . وبعدئذ تصورت أن شركات المجوهرات ربما تشتري الفكرة مجموعة من أزرار الزينة وأزرار كم القميص وطيئات الجاكيت والاساور كلها فى عبوة جميلة . وأنا لم أبدأ فى تنفيذ فكرتى هذه ولم أسترشد برأى أى شخص ولم أقم بالدعاية اللازمة حتى الان . فلربما لا يزال بها شيء ما »

فقال المستر برتشارد : الامر يستلزم أن نجلس سويا لنتباحث الامر جيدا . هل سجلت هذه الفكرة ؟

« حسنا ، لا . فأنا لم أرغب فى الدخول فى النفقات قبل أن أعثر على شخص تستهويه الفكرة » .

فقال المستر برتشارد « أوه . أظن أنك على حق . مصنفات المحامين وغير ذلك يكلف قدرا من المال أنت على حق » .

ثم غير موضوع الحديث وسأل جوان « متى سنبدأ الرحيل » . « حسنا . الاتوبيس الجريهاوند سيصل الى هنا حوالى الساعة العاشرة . وهذه الاتوبيسات تحضر لنا بضائع بشكل منتظم كما تحضر لنا بعض المسافرين . لذلك ينبغي علينا أن نبدأ الرحيل فى العاشرة والنصف وهذا هو جدول المواعيد . هل لي أن أحضر لكم أيها الناس

أى شيء آخر ؟ هل احضر المزيد من القهوة ؟
فقال المستر برتشارد « أريد قدحا آخر من القهوة » فأحضر له
جوان القهوة . ونظر الى الخارج من النافذة فرأى الاتوبيس الذى تدور
عجلاته فى الهواء . ونظر المستر برتشارد الى ساعته وقال « لا يزال
أمامنا ساعة من الزمن » .

وجاء رجل طويل منحني الظهر كبير فى السن من حول جانب
المبنى . وهو الرجل الذى كان قسداً نام فى سرير بيميلز . ثم فتح
الباب المؤدى الى صالة الطعام ودخل الى الصالة وجلس على كرسى بدون
مسند . وكان رأسه منحنيا باستمرار نحو الامام على جذع رقبته حتى
أن أرنبة أنفه كانت تشير مباشرة نحو الارض . وكان قد تخطى سن
الستين بكثير . وكان حاجباه متدليين فوق عينيه تماماً مثل حاجبى
كلب صيد من نوع « سكاي » . وكانت شفتيه العليا الطويلة ذات
المجرى العميق مرفوعة فوق أسنانه مثل زلومة الحلوف الصغيرة وبدأ
طرف سنته الوسطى كأنه ممسوك . أما عيناه فلها لون ذهبى ممزوج
باللون الاصفر مما جعله يبدو متوحشاً .

وقال بدون أى مقدمات تمهيدية « اننى لا أستريح لذلك وبالإمس
لم أسترح لما حدث عندما تعطل الاتوبيس . وشعورى بالقلق متزايد
اليوم أكثر من الأمس » .

فقال جوان « لقد أصلحت آلات الجر الخلفية للاتوبيس ، وهو
يدور الان بشكل لائق » .

فقال الرجل « يبدو أننى سألقى رحلتى وأعود الى سان يسيدرو
فى الاتوبيس الجريهاوند » .
« حسناً . باستطاعتك أن تفعل ذلك » .

فقال الرجل « لقد جاءنى شعور معين . كل ما فى الامر أننى غير
مرتاح لذلك . فهناك شيء ما يحذرنى من الاخطار وسبق له أن أندرئى
مرتين من قبل ولم أهتم لتحذيره ف وقعت فى المتاعب » .
فقال جوان وقد ارتفع صوته قليلاً فى ضيق وتبرم « ان الاتوبيس
على ما يرام » .

فقال الرجل « اننى لا أتحدث عن الاتوبيس . اننى أعيش فى
هذه المقاطعة ومن أهالى هذه المنطقة . فالارض تمتلئ بالمياه مما يجعل
نهر سان يسيدرو يفيض بالماء . وأنت تعرف كيف يفيض نهر سان
يسيدرو . فهو من تحت منطقة بيكو بلانكو ينزل حتى منطقة لون بين
كانبون فى شكل عروة كبيرة . والارض تصبح مليئة بالمياه . وكل

قطرة من الماء تجرى لتصب في نهر يسيدور . وهو الان سسيكون هائجا مائجا » .

وبدأت دلائل الذعر تظهر على وجه المدام برتشارد فتساءلت :
« اتظن أن هناك أخطارا ؟ »

فقال الرجل « لدى احساس بالخطر . فقد كان الطريق القديم يدور عادة حول تلك العروة من النهر ولا يعبرها مطلقا . ومنذ ثلاثين عاما ظهر لنا المستر « تراسك » وتحايل الى أن أصبح رئيسا لهيئة الطرق في هذه المقاطعة ولما كان الطريق القديم غير ملائم بالنسبة له فقد انتسأ اثنين من الكبارى ليوفر ماذا ؟ ليوفر اثني عشر ميلا فقط . هذا هو كل ما وفره . وتكلف انشاء الكوبريين سبعة وعشرين ألف دولار من ميزانية المقاطعة . لقد تان المستر تراسك لصا وغشاشا . ثم أدار رقبته المتخشبة وراح يرقب آل برتشارد .

واستطرد قائلا « لص . وغشاش . وبينما كانت أصابع الاتهام تشير اليه في عملية أخرى مات . مات منذ ثلاث سنوات . مات بعد أن أصبح رجلا غنيا . وخلف وراءه ولدين في جامعة كاليفورنيا يعيشان الان على النقود التي قدمها دافعو الضرائب » . ثم توقف عن الحديث وتحركت شفته العليا من جانب لآخر فوق أسنانه الطويلة الصفراء واستطرد قائلا « واذا تعرض هذان الكوبريان لاي ضغوط حقيقية فانهما سيتداعيان لان الخرسانة المسلحة ليست قوية بالقدر الكافي . سأضطر لالغاء رحلتى والعودة الى سان يسيدور » .

فقال جوان « لقد كان النهر على ما يرام أمس الاول . لم تكن به مياه الا فيما ندر » .

« أنت لا تعرف نهر سان يسيدور . فهو يمكن أن يرتفع خلال ساعتين . لقد سبق لي أن رأيته وقد وصل اتساعه الى نصف ميل وتغطي بالابقار والدواجن الميتة . لا . اننى لن أسافر طالما سيطر على هذا النوع من الاحساس . ومع كل ذلك فأنا لست من المؤمنين بالخرافات والخزعبلات » .

« اتظن أن باستطاعة الاتوبيس اجتياز الكوبرى ؟ »

« اننى لا أقول ما أظنه . لقد كان تراسك لصا وغشاشا . وخلف وراءه رأسمال قدره ٣٦٥٠٠ دولار وولداه اللذان يتعلمان في الكلية ينفقان من هذا المال في اسراف شديد » .

وخرج جوان من خلف الكاونتر واتجه الى تليفون الحائط وقال

« هالو . اعطني محطة خدمة السيارات الخاصة بالسيد . » يريد « على خط طريق سان جوان . اننى لا أعرف رقم التليفون » وانتظر برهة ثم استطرد « هالو . أنا شيكوى أحدثك من الريبل كورنرز . كيف حال النهر ؟ أوه . صحيح ؟ . حسنا . اوكى . ساراك بالسرعة الكافية » ثم وضع جوان السماعة وقال شارحا الموقف « النهر مرتفع بعض الشيء وهم يقولون أن الكوبرى على ما يرام . »
« من الممكن أن يرتفع ذلك النهر بمعدل قدم عن كل ساعة عندما تفرق الامطار الغزيرة الفجائية منطقة بين كانون ومن المحتمل أن يتداعى الكوبرى لدى وصولك الى هناك » .
فنظر اليه جوان فى شيء من الضيق وقال « ماذا تريدنى أن أفعل ؟ هل أؤجل الرحلة ؟ » .

« تصرف كما يحلو لك . كل ما فى الامر اننى أريد أن ألغى رحلتى وأعود أدراجى الى سان سيسيدور . فأنا لن أقدم على هذا النوع من العبث . فأنا ذات مرة كان عندى شعور كهذا ولم أهتم بهذا الشعور فكانت النتيجة أن كسرت ساقى الاثنتان . لا . ياسيدى . لقد هبط على هذا الشعور عندما تعطل أتوبيسك بالأمس » .

فقال جوان « حسنا اعتبر نفسك ملغيا من الان » .
« ان ذلك هو ما أريده يا سيدى . فأنت لست قديم العهد فى هذه المنطقة ، وأنت لا تعرف ما أعرفه أنا عن تراسك . مرتبه السنوى ١٥٠٠ دولار ومع ذلك فقد خلف وراءه ثروة تبلغ ٣٦٥٥ دولار ووثيقة صريحة بامتلاك ١٦٠ فدانا من الاراضى . تصور هذا !! »
فقال جوان « حسنا . سأعمل على أن تعود عن طريق أتوبيس الجريهاوند » .

« حسنا . اننى لا أهدف الى تشويه سمعة تراسك . ولكننى أقص عليك الحقيقة فقط . ويمكنك أن تتخيل وتحسب هذه المسألة بنفسك ، ٣٦٥٠٠ دولار » .

وتساءل ارنست هورتن « ولنفرض أن الكوبرى تداعى ؟ »
فقال جوان « عندئذ لن نعبر عليه » .
« وعندئذ ماذا سنفعل ؟ هل نلف ونعود أدراجنا ؟ »
فقال جوان « أكيد . اما أن نفعل ذلك واما أن نقفز الى الضفة الأخرى » .

فابتسم الرجل المنحنى وهو ينظر فيما حوله فى الغرفة وقد اعتراه شعور بالانتصار . وقال « أتفهمون الموقف ؟ ستعودون أدراجكم الى

هنا وعندئذ سوف لا يكون هنا أتوبيس متجه الى سان يسيدور . والى متى ستقبعون هنا فى هذه المنطقة ؟ لشهور ؟ تنتظرونهم لحين بناء كوبرى جديد ؟ أتعرفون من هو رئيس هيئة الطرق الجديد ؟ ولد جامعى . تخرج حديثا فى الكلية . كل الكتب ولا خبرات . باستطاعته أن يرسم كوبرى ويضع التصميمات له ولكن هل باستطاعته تشييد كوبرى ؟ سوف نرى . »

فضحك جوان فجأة وقال « حسنا . الكوبرى القديم لم تكتسحه المياه بعد ومع ذلك فأنت من الآن قلق على الكوبرى الجديد الذى لم يتم انشاؤه بعد » .

فأدار الرجل رقبتيه التى ينبعث منها الألم من جانب لآخر . وتساءل « هل ستلجأ للوقاية وقلة الادب ؟ » .

وللمحظة بدا ضوء أحمر كأنه يتوهج فى عيني جوان السوداوين وقال « نعم . لا تقلق . سأجعلك تستقل أتوبيس الجريهاوند . فانا لا أريد أن آخذك معى فى هذه الرحلة » .

« حسنا . ليس باستطاعتك أن تركلنى بعيدا . فأنت سائق للنقل العمومى » .

فقال جوان فى اعياء « وهو كذلك . اننى أتعجب أحيانا من الاسباب التى تجعلنى احتفظ بالاتوبيس . وربما لا احتفظ به لفترة أطول من ذلك . فهو لا يجلب سوى وجع الدماغ . هبط عليك احساس . كلام فاض وجنون وسخافات » .

وكانت برئيس تتابع سير هذه المناقشات بانتباه شديد . وقالت « اننى لا أؤمن بهذه الامور . ولكنهم يقولون أن موسم الجفاف قد حل الآن فى المكسيك وأنه يشبه الخريف وأن المطر يكون هناك فى فصل الصيف » .

فقالت ميلدريد « يا الهى . المستر شيكوى يعرف المكسيك معرفة جيدة . فقد ولد هناك » .

« أوه . هل ولدت هناك ؟ حسنا . انه فصل الجفاف . اليس كذلك ؟ » .

فقال جوان « فى بعض الاماكن . وأظن أنه موجود فى المنطقة التى ستسافرون اليها . فهناك أماكن أخرى لا تشهد أى فصل جفاف على الاطلاق » .

وسلك المستر برتشارد صوته وقال « اننا ذاهبون الى مكسيكو سيتى والى بوبلا وبعد ذلك الى كوزتفاكا وتاسكو وقد تشمل الرحلة

اكا بالكو كما سنذهب الى البركان اذا كانت الاحوال على ما يرام »
فقال جوان « ستكونون على ما يرام » .
فتساءل المستر برتشارد « تعرف تلك الاماكن ؟ » .
« بالتأكيد » .

فقال المستر برتشارد « وما هي حالة الفنادق ؟ أنت تعرف ما تقوله
شركات السياحة - كل شيء رائع وممتاز . فما هي حالة الفنادق
في حقيقة الامر ؟ » .
فقال جوان مبتسما « رائعة ممتازة . انها عظيمة . فالافطار يقدم
في السرير كل صباح » .
فقال المستر برتشارد « اننى لم اقصد أن اتسبب في المتاعب في
هذا الصباح » .

« أكيد . فالامور على ما يرام » ثم استند بذراعيه على الكاونتر
وتحدث في سرية « في بعض الاحيان يفيض بى الكيل بعض الشيء .
فانا أقود ذلك الاتوبيس اللعين اياها وذهابا واياها وذهابا . واحيانا
أحس بالرغبة في أن أتجه بالاتوبيس رأسا صوب التلال . لقد قرأت
عن قائد زورق للنقل في نيويورك انطلق خارجا في عرض البحر ذات
يوم ولم يسمعوا عنه أى أخبار بعد ذلك على الاطلاق . وربما غرق
وربما احتجز فوق إحدى الجزر في مكان ما . اننى أشعر بأحاسيس
ذلك الرجل وأفهمه تماما » .

وفي الخارج هدأت سيارة نقل كبيرة - حمراء اللون ولها مقطورة
- من سرعتها فوق الطريق الرئيسى ونظر سائقها للحظات فحسرك
جوان يده بسرعة من جانب لآخر فانطلقت سيارة النقل على السرعة
الثانية ثم أخذت سرعتها وذهبت بعيدا .

فقال المستر برتشارد « ظننت أنه كان قادما الى هنا » .
فقال جوان « انه يحب الفطير المحشى بالتوت الافرنجى . وهو
معتاد دائما على التوقف هنا عندما يكون لدينا شيء منه . وقد أخبرته
أنه لا يوجد عندنا أى قدر منه » .

وكأنت ميلدريد تنظر الى جوان فى اعجاب شديد . فهناك شيء
ما فى هذا الرجل الاسمر ذى العينين الغريبتين الدافئتين أحدث تأثيرا
عليها مما جعلها تنجذب نحوه . وأرادت أن تجذب انتباهه . . انتباهه
الخاص نحوها . فألقت بكتفيها الى الخلف فارفع ثدياها فى نهود .
وسألت « ولماذا تركت المكسيك ؟ » . ثم خلعت نظارتها لكى
يراهها بدون نظارة أثناء اجابته على سؤالها . واستندت على المنضدة
ووضعت اصبع السبابة على ناحية عينها اليسرى وجذبت البشرة وجفن

العين للخلف مما غير من بؤرة عينها . واستطاعت بهذه الطريقة رؤية وجهه في مزيد من الوضوح . وأعطى هذا أيضا عينيها شكلا مستطيلا تطل منه رقعة المشاعر والاحاسيس . وكانت عيناها جميلتين .
- فقال لها جوان « لست أدري السبب الذي جعلني أغادر المكسيك »
وبدت عيناها الدافئتان كأنهما تحدقان بها وتعانقانها . فشعرت ميلدريد بالضعف والتفكك يسرى في كل كيائها وقالت لنفسها « يتعين علي أن أكف عن هذا . فهذا جنون » . وتكونت في ذهنها صورة سريعة لها طابع جنسى .

وقال جوان « الناس هناك في الجنوب اذا لم يكونوا أغنياء يتعين عليهم أن يبذلوا جهدا مضنيا للغاية في العمل ويحصلوا من وراء ذلك على قدر طفيف جدا من المال . وأظن أن ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعلني أغادر المكسيك » .

فقالت برنيس برتشارد « أنت تتكلم الانجليزية على نحو جيد للغاية » كما لو كانت تهنئه على ذلك .
« ولهم لا ؟ لقد كانت أمي ايرلندية . وبذلك اكتسبت اللغتين لي آن واحد » .

فتساءل المستر برتشارد « هل أنت مواطن مكسيكي ؟ » .
فقال جوان « أظن ذلك . فأنا لم أفعل شيئا في هذا الموضوع على الإطلاق » .

فقال المستر برتشارد « انها لفكرة طيبة أن تستخرج الاوراق التي تتقدم بمقتضاها للحصول على الجنسية الامريكية » .
« ولاى شيء ؟ »

« انها لفكرة طيبة »

فقال جوان « المسألة سيان لدى الحكومة . ففي استطاعتهم أن يفرضوا على الضرائب وباستطاعتهم أن يفصلوني ويطردوني » .
فقال المستر برتشارد « انها ما زالت فكرة حسنة الى حد ما » .
وكانت عينا جوان تلعبان مع ميلدريد ، تتجسسان مسددها وتنزلقان فوق ردفها . وراها تتنهد وتتألم وتقوس ظهرها بعض الشيء فتتحرك في أعماق جوان شيطان الكراهية . ولم يكن تحركه بقوة كبيرة لانه لم يكن هناك قدر كبير من الكراهية عنده ولكن الدماء الهندية كانت هناك ، وفي الماضي المظلم تكمن الكراهية للاوجس كلاروس كانت هناك ، الكراهية للعيون غير السوداء والكراهية للبشرة

Ojos Claros

الشفراء • لقد كانت كراهية وخوف من البشرة ومن الناس ذوى
العيون غير السوداء الذين أخذوا على مدى السنين والاجيال أعظم
الاراضي وأفضل الجياد واجمل النساء • وشعر جوان بالتحرك فى
داخله مثل وميض البرق الحرارى وشعر بحدة النشوة عندما شعر أن
بإستطاعته أن يأخذ هذه الفتاة ويعتصرها ويغتصبها اذا رغب فى ذلك
اذ كان بمقدوره أن يثيرها وينتهكها عقليا وجسمانيا ثم بعدئذ يلقي
بها بعيدا • وتحركت القسوة فى داخله بعد أن ترك لها العنان
لتتصاعد فى أعماقه • وصار صوته أكثر رقة وأشد رخامة وتحدث
مباشرة فى عيني ميلدريد البنفسجية •

وقال « وطنى • حتى ولو لم أكن أعيش فيه فهو موجود فى قلبى »
وضحك فى نفسه على هذا القول ولكن ميلدريد لم تضحك • وانحنى
للأمام قليلا وجذبت للخلف ركنى عينيها لكن تتمكن من رؤية وجهه فى
مزيد من الوضوح •

وقال جوان « أننى أذكر بعض الاشياء • فى الميدان الخاص
بمدينتى كان يوجد كتبة عموميون لكتابة الخطابات وكانوا يقومون
بكل العملية من أجل الناس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة • لقد
كانوا رجالا طيبين وكان ينبغي أن يكونوا كذلك • ولو لم يكونوا طيبين
لأدرك الناس الريفيون ذلك • فأولئك الناس ساكنى التلال يعرفون
أشياء كثيرة • وانى لأذكر ذات صباح عندما كنت ولدا صغيرا أننى
كنت جالسا عند الشاطئ • وكانت هناك احتفالات دينية فى هذه
المدينة تخليدا لذكرى أحد القديسين • وكانت الكنيسة مليئة بالازهار
وكانت توجد قوائم من الحلوى وعجلة كبيرة تتدلى من اطارها مقاعد
ثقيلة وكانت توجد أرجوحة الخيول الخشبية • وطوال الليل كان الناس
يطلقون الصواريخ الملونة الصاعدة الى عنان السماء للقديس • وفى الميدان
جاء رجل هندي الى كاتب الخطابات وقال (أريد منك أن تكتب رسالة الى
الحارس على أموالى • سأخبرك بما يقال وأنت تضع الكلام فى أسلوب
جميل لكى لا أكون فظا فى تعبيراتى) فسأله الكاتب (أهى رسالة
طويلة ؟) فقال الرجل الهندي (لست أدري) فقال الكاتب (سيكلفك
ذلك ريبالا مكسنيكيا) • فدفع له الرجل الهندي الضئيل الجسم الأحمر
وقال له (أريد منك أن تقول للحارس على أموالى أننى لا أستطيع
العودة الى حقولى وقريتى لاننى رأيت هنا جمالا عظيما ويجب أن أقيم
بجوار هذا الجمال • وأخبره أننى آسف وأننى لا أرغب فى أن أسبب

له الآلام ولا لأصدقائي أيضا . ولكننى لا أستطيع العودة . فانا الان
شخص مختلف وأصدقائي لن يعرفوننى . سأكون تعيسا فى الحقل
وسأكون قلقا متمللا . ولاننى سأكون مختلفا عن ذى قبل فان أصدقائي
سيرفضوننى وسيكرهوننى . لقد شاهدت النجوم وحسبت الطالع .
قل له ذلك . وقل له أن يعطى الكرسي الخاص بى لأخى الصديق ويعطى
الخنزير الخاص بى وكذلك الخنزيرتين الصغيرتين الى المرأة العجوز
التي جلست الى جوارى أثناء مرضى بالحمى . أما الارانى الخاصة بى
فتعطى لزوج أختى ، وقل للحسارس على أموالى أن يرعى الله ولتكن
أعماله متمشية مع الجمال والبهاء . قل له ذلك . »

وتوقف جوان وتلاحظ له أن شفتى ميلدريد كانتا منفرجتين قليلا
وأدرك أنها نظرت الى قصته على أنها ترمز اليها .
وتساءلت « وماذا حدث له ؟ »

فقال جوان « لقد رأى أرجوحة الخيول الخشبية فسيطرت على
وجدانه ولم يعد باستطاعته أن يتركها . ونام بجوارها . ونفذت نقوده
بعد فترة قصيرة وأصبح على وشك الموت جوعا ، وعندئذ سمح له
صاحب الأرجوحة أن يشغل ذراع الكرنك الخاص بالأرجوحة والذي
يجعلها تدور وقدم له الطعام . وهو لن يستطيع ترك هذا العمل فقد
أحب أرجوحة الخيول الخشبية . وربما لا يزال هنالك الى الان » .
وكان جوان قد أصبح غريبا فى حديثه حيث اعتري كلامه مسحة
من لكمة أجنبية .

وتنهدت ميلدريد فى عمق . وقال المستر برتشارد :
« دعنى أفهم الموقف بشكل أوضح . هل تخلى الرجل عن أرضه
وعن كل ممتلكاته ولم يعد لوطنه على الإطلاق لانه رأى أرجوحة الخيول
الخشبية ؟ »

فقال جوان « انه لم يكن يمتلك أرضه . فصغار الهنود لا يمتلكون
أبدا أراضيهم الخاصة بهم . ولكنه تخلى عن كل شئ آخر كان يمتلكه »
وحذقت ميلدريد والدها بنظرها . فقد كانت هذه إحدى المرات
التي وجدته فيها غيبا الى حد الغشيان . لماذا لم يتمكن من ادراك عنصر
الجمال فى هذه القصة ؟ وعادت عيناها الى جوان لتخبره فى صمت
أنها قد فهمت المعنى وظنت أنها رأت شيئا فى وجهه لم يكن متسوا جدا
من قبل . ظنت أنها رأت هناك فى وجهه انتصارا قاسيا تشع منه سوء
النية ، ولكنها اعتقدت أن الامر قد يكون مرجعه الى ضعف الابصار فى

عينها • عيناها اللعينتان اللتان لا تستطيعان الرؤية بوضوح تماما • ولكن ما شاهدته كان بمثابة صدمة لها • فنظرت بسرعة الى والدتها وبعدئذ الى والدها لتعرف ما اذا كانا قد أدركا شيئا أم لا ، ولكنهما كانا ينظران الى جوان نظرات تدل على البلاهة ونقص الذكاء •

وكان والدها يقول بطريقته البطيئة التي تجعلها تفقد صوابها « اننى أستطيع أن اتصور كيف أن أرجوحة الخيسول الخشبية بدت جميلة فى نظريه لو أنه لم يشاهد على الاطلاق من قبل أرجوحة خيول خشبية • ومع ذلك فالانسان يتعود بطبيعته على أى شىء • فباستطاعته أن يعتاد على قصر فى أيام قليلة معدودة وبعد ذلك يتطلع الى شىء آخر » فقالت ميلدريد يقدر كبير من الوحشية والغلظة حتى أن والدها أدار عينيه المليئتين بالدهشة نحوها « أنها مجرد قصة » •

وكانت ميلدريد تكاد تشعر بأصابع جوان على فخذيها فتخدر جسدها بالرغبة والاثارة • وثار غضبها على والدها كما لو كانت قد قوطعت فى ذروة النشوة • ولبست نظارتها ونظرت بسرعة نحو جوان ثم أشاحت بنظرها بعيدا لان عينيه كانتا محجبتين رغم انه كان ينظر اليهم جميعا • فقد كان مستمتعا بنوع من الانتصار • اذ كان يضحك عليها ويضحك أيضا على الشىء الذى كان يحدث دون أن يعرفه والدها ووالدتها • وفجأة تصلبت رغبتها واتخذت شكل العقدة فى معدتها فألمتها معدتها وشعرت بالتحول فى انفعالاتها وخيل اليها أنها على وشك الوقوع فريسة للمرض •

وقال أرنست هورتن « لقد كانت لدى الرغبة دائما فى أن أسلك طريق المكسنسيك جنوبا • وأعتقد أنه ينبغي على أن أطلب من المكتب الرئيسى التصريح لى بذلك فى وقت ما • فلربما أتمكن من القيام ببعض الاتصالات الهامة هناك • اننى أحب تلك الاعياد الدينية الخاصة بهم • وهم يبيعون الهدايا التذكارية • أليس كذلك ؟ » •

فقال جوان « بالتأكيد • فهم يبيعون مسبحات صغيرة والصنوبر المقدسة والشموع وأشياء من هذا القبيل والمسكرات والايس كريم » « حسنا • لو أن شخصا ذهب الى هناك وتخصص فى تلك السلع فلربما يستطيع أن يبيعها بسعر أرخص مما يبيعون به • ويمكننا القضاء على تلك المسبحات وذلك بأن نقدم مسبحات أخرى جميلة منافسة مصنوعة من زجاج منصهر • وبالنسبة للصواريخ الملونة التى تطلق الى عنان السماء فإن شركتى تمول بعض الاحتفالات الكبرى بجميع

الصواريخ والاسهم النارية • انها لفكرة رائعة • اظن اننى سأبحث
برسالة » •

ونظر جوان الى كومة الاطباق المتسخة التى تزايد عددها فى
الحوض • وحملق من فوق كتفه الى الباب المؤدى الى غرفة النوم ثم فتح
الباب ونظر الى الداخل •

لقد كان السرير شاغرا • فقد نهضت اليس • ولكن الحمام كان
موصدا • فعاد جوان ليغسل الاطباق المتسخة فى الحوض •

وكانت السماء قد بدأت تصفو بسرعة آنئذ • وكانت الشمس
النظيفة الصفراء تسطع فوق الاراضى المفسولة • وكانت الاوراق
الصغيرة لاشجار البلوط تكاد تكون صفراء تحت الضوء الجديد • وبدأت
الحقول الخضراء فى نضرة الشباب على نحو لا يمكن تخيله •

وابتسم جوان فى اقتضاب • وقطع شريحتين من الخبز • وقال
المستر برتشارد » اظن اننى سأذهب للنزهة قليلا هنا « ثم سأل
زوجته » أترغبين فى المجرى للنزهة معى يا عزيزتى ؟ « فنظرت بسرعة
نحو باب غرفة النوم وقالت » حالا • لن أتاخر كثيرا « ففهمها • وقال
» حسنا • اننى سأذهب فقط الى الخارج « •

الفصل السادس

لقد رقدت أليس - بعد أن تركها جوان لفترة طويلة على ظهرها ويدها متقاطعتان فوق وجهها - وتوقف نسيجها وبكاؤها تدريجياً مثل الاطفال - واستطاعت أن تسمع الكلام المدوى فى الخارج المنبعث من صالة الطعام - وكان بطن ذراعها دافئاً ومبشلاً فوق عينيها - وغمرها نوع من الراحة وزال التوتر عنها كأن تروسا معشقة بشدة قد فكّت من جسدها - وبينما كانت ترقدن فى راحة قوامها الاسترخاء والتكاسل قفز عقلها للخلف الى ما حدث - ولم تتذكر المرأة التى صرخت فى نورما وصارت فترة الصباح غامضة وملتبسة عليها - ولم تكن قد عثرت بعد على تبرير لعملها - ومنذ أن فكرت فى الامر وهى تدرك أنها لم تكن تتهم فى الحقيقة نورما بسوء السلوك وحتى لو كانت تتهمها فهذا لم يكن يهمها فى الحقيقة بقدر كبير للغاية ، فهى لم تكن تحب نورما ولم تكن تهتم بنورما على الاطلاق - فهى مجرد قطعة صغيرة مسكينة شاحبة اللون -

فعندما التحقت نورما بالعمل وضعت أليس بالطبع حواسها على الفتاة وعلى جوان مثل سماعة الطبيب التى يفحص بها المرضى - وعندما لم تجد أى ردود فعل من جانب جوان ولا حتى مجرد قدر ضئيل من الانتعاش أو التعقب بالعين فقدت الاهتمام بنورما اللهم الا من حيث انها كائن عضوى أحمل القهوة وغسل الاطباق - ولم تكن أليس تعي تماماً الاشياء أو الناس اللهم الا اذا كان لهم تأثير مباشر على حياتها بالزيادة أو النقصان - وبينما كانت ترقد آنثذ فى استرخاء ودفع وهذوء بدأ عقلها ينشط فجاء الرعب مع أفكارها -

وعادت بذهنها الى المشهد - فتزايد رعبها بسبب دماثة أخلاق جوان ورقته - لقد كان ينبغى عليه أن يضربها وعدم قيامه بضربها أزعجها وأقلقها فهو ربما لم يعد يشعر باهتمام نحوها - وكانت قد اكتشفت أن العطف الطارىء من جانب الرجل ما هو الا تمهيد بالطرد ثم حاولت أن تتذكر الشكل الذى كانت عليه نساء آل برتشسارد وحاولت أن تتذكر ما اذا كان جوان قد نظر فى دفع الى احداهن - كانت تعرف جوان - فعيناه كائنا تتقدمان كالموقد عندما يثار اهتمامه

وبعدئذ تذكرت أنه قد تخلى عن سريرها لينام عليه آل برتشارد مما صدمها بعض الشيء ، وترامى الى أنفها رائحة عطر اللافاندر المتبعثة من ملايات السرير ومخدراته فأحست بالكراهية والنفور من ذلك العطر . وأصغت الى دوى الاصوات من خلال الباب . وكان جوان يقدم لهم الطعام . وهو لم يكن ليفعل ذلك اذا لم يكن مستمتعا ، كان يمكن لجوان ألا يأبه لذلك الامر ويخرج للعمل فى الاتوبيس . وتصاعد فى داخل أليس خوف ممزوج بالقلق . انها قد أساءت معاملة نورما . وكان هذا خطأ . فأنت اذا أظهرت إعجابا أو قدرا ضئيلا من المحبة تجاه فتاة من نوع نورما فانها تذوب وتتفانى فى إخلاصها وحبها . فالفتاة التى من نوع نورما لم تحظ الا بقدر ضئيل للغاية من الحب حتى أن أى قدر ضئيل من الحب نحوها يمكن أن يكون له مفعول السحر عليها وكانت أليس تحتقر مثل هذا التصور للحب . ولم تكن لتربط حبها مع نورما . اذ كانت أليس كبيرة فى نفسها وكل شخص آخر كان ضئيلا للغاية ، كل شخص آخر ولكن باستثناء جوان . ولكنه آنئذ كان امتدادا لذاتها . وظنت أنه قد يكون من المناسب أيضا أن تعمل على وقوف نورما على قدميها ومساعدتها قبل أى شئ آخر . اذ كانت بحاجة لنورما لكنى تدير لها شئون صالة الطعام نظرا لان أليس قد عقدت العزم على أن تحتسى الخمر بجنون بمجرد أن ينطلق جوان بالاتوبيس بعيدا . ويمكنها أن تخبره عندما يعود أنها كانت تعاني من ألم فى أسنانها كاد يقتلها .

وهى لم تفعل ذلك فى أوقات كثيرة للغاية ولكنها كانت فى أشد الاشتياق لان تفعلها آنئذ . واذا كانت هى قد عقدت النية على احتساء الخمر فيحسن بها التحكم فى حركاتها لان جوان لا يحب النساء المخمورات . ورفعت يديها المتقاطعتين من على وجهها . وكانت عيناها غائرتين بسبب الضغط وتطلب الامر بعض الوقت الى أن عادتا الى المجرى الطبيعى لهما . ثم أدركت كيف أن الشمس كانت تنساب فى جمال على السهل الأخضر خلف غرفة النوم وعلى التلال المرتفعة بعيدا نحو الغرب . يوم رائع .

وبدلت مجهودا لكى تقف معتدلة فوق قدميها ثم ذهبت الى الحمام وهناك بللت طرف فوطه الحمام فى الماء البارد وربت به على وجهها لتزيل التجمعات التى نجمت عن ضغط ذراعيها على خديها الممتلئين .

ودلكت طرف الفوطة حول وجهها . وفوق انفها وعلى طول حافة خط الشعر .

وانكسر مشبك البراسيير الخاص بها . ففتحت ثوبها في انزلاق واكتشفت أن دبوس الامان الذى يمسك به ما زال موجودا . فدهست المشبك في البراسيير مرة أخرى . وأصبح ضيقا بعض الشيء ولكن كان باستطاعتها ان تحيكة فيما بعد عقب مغادرة جوان المكان . وهى لن تتمكن من ذلك بالطبع فعندما يكون جزء كبير من المشبك مكسورا فان الامر يتطلب شراء مشبك جديد .

ومشطت آليس شعرها ووضعت أحمر الشفاه وكانت عيناها مازالتا محتقنتين فى احمرار . فوضعت شيئا من القطرة فى ركن عينيها بواسطة قطارة دواء ودعكت الجفون على مقلتي عينيها بأصابعها . وفحصت نفسها فى مرآة صندوق الادوية لفترة قصيرة ثم خرجت . وخلعت ثوبها المكرمش وارتدت ثوبا اخر جديدا له نفس التصميم والطباعة . وبسرعة عبرت غرفة النوم الى باب غرفة نورما وطرقت فى رقة على الباب ولم يجىء الرد . فطرقت مرة ثانية . ومن داخل الغرفة جاء صوت كحفيف الاوراق . وجاءت نورما الى الباب وفتحته . وكانت توجد غشاوة على عينيها وبدا عليها كأنها قد أوقظت لتوها . وفى يدها كانت تمسك بعقب قلم الحواجب الذى سبق أن استخدمته فى رسم حاجبي عينيها .

وما أن شاهدت آليس حتى ظهر على وجهها دلائل الرعب والخوف والاحساس بالخطر . فقالت على وجه السرعة :
« اننى لم ارتكب الخطيئة مع ذلك الشخص » .

فخطت آليس الى داخل الغرفة . لقد كانت تعرف جيدا كيف تعامل نورما وأمثالها عندما تكون فى كامل قواها العقلية وقالت لها « أعرف أنك لم تفعل شيئا من هذا القبيل يا عزيزتى » ونظرت بعينيها لأسفل كما لو كانت خجلى . لقد كانت تعرف كيف تعامل الفتيات .

« ما كان ينبغى أن تقولى ذلك . افرضى أن شخصا ما سمع ذلك الكلام وصدقه ؟ اننى لست من ذلك النوع . فأنا أحاول فقط كسب قوت يومى ولا أثير المتاعب » وسبحت عيناها فجأة فى دموع بسبب شعورها بالشفقة على نفسها .

فقالت آليس « كان ينبغى على ألا أفعل ذلك . ولكننى كنت فى حالة سيئة للغاية . فهذا هو الوقت الذى تجيئنى فيه العادة الشهرية .

وأنت نفسك تعرفين الى أى حد تشعرين بالتعاسة عندما تجيء لك .
فى بعض الاحيان تشعرين بالخجل » .

وتفحصتها نورما فى اهتمام . اذ كانت هذه أول مرة تجد فى
آليس الرقة والحنان . وكانت هذه أول مرة تشعر فيها آليس أنها
بحاجة الى مساعدات نورما ومعاونتها وتأييدها . فهي لم تكن تحب
النساء الأخريات وعندما رأت غينى نورما تفيضان بدموع الشفقة على
نفسها شغرت، بالانتصار .

وقالت آليس « أنت تعرفين كيف يكون ذلك الامر . تصبحين فقط
مخبولة بعض الشيء » .

فقالت نورما « أعرف ذلك » . وامتدت عنها قرون استشعار من
الدفء تفيض رقة وعذوبة . واشتاقت للحب وتلهفت للعلاقات الانسانية
الطيبة وتطلعت لان تعقد صداقة مع أى كائن بشرى فى العالم وقالت
مرة أخرى « أعرف ذلك » وشعرت أنها أكبر سنا وأكثر قوة من آليس
وأنها قادرة بعض الشيء على أن تصون وتحنى وهذا ما كانت تريده
آليس .

ورأت آليس قلم الحواجب فى يدها وقالت « ربما يحسن بك أن
تخرجى الآن لتقديم المساعدة فالمستر شيكوى يقوم وحده بكل الاعمال »
فقالت نورما « سأفعل ذلك توا » .

وأغلقت آليس الباب وراحت تنصت . كانت هناك فترة من الصمت
ثم صوت انزلاق وبعدئذ جاء الصوت الحاد لدى غلق درج الصوان .
فدفعت آليس شعرها الى الخلف بيدها وسسارت فى خفة نحو باب
صالة الطعام . وشعرت أنها على مايرام . لقد جمعت قدرا كبيرا من
المعلومات عن نورما وعرفت مشاعر وأحاسيس نورما ازاء الامور .
وعرفت المكان الذى وضعت فيه نورما الخطاب .

ولقد سبق لآليس أن حاولت التوصل الى حقيبة السفر الخاصة
بنورما . ولكنها دائما ما كانت تجدها مغلقة . وكان باستطاعتها أن
تنفذ الى داخلها بأصابعها . فقد كانت الحقيبة مصنوعة من الكرتون
فقط . الا أنها لم تفعل ذلك خوفا من أن تترك علامات تدل على الاتلاف
والتخريب وكان عليها أن تنتظر وتتحين الفرصة ، لان نورما مهما كانت
حريصة فانها ستنسى أن تغلق حقيبتها إن عاجلا أو آجلا . لقد كانت
آليس تمتاز بالدهاء ولكنها لم تكن تعرف أن نورما هى الاخرى تمتاز
بالدهاء . اذ سبق لنورما ان عملت عند سيدات كثيرات مثل آليس من

قبل فعندما توصلت آليس الى أدراج دولاب نورما وألقت نظرة على الاشياء الخاصة بها وقرأت الخطابات المرسلة اليها من أختها فانها لم تلاحظ علبة الكبريت المصنوعة من الورق والملقاة في اهمال على حافة الدرج . اذ كانت نورما تضع تلك العلبة دائما في ذلك المكان فاذا تغير مكانها أدركت أن شخصا ما كان يحاول النفاذ الى أشياءها والاطلاع عليها . وكانت تعرف أن جوان أو يميلز لا يمكن أن يفعل ذلك ومن ثم فلا بد أنها آليس .

ولم يكن من المحتمل أن تترك نورما حقيبة سفرها غير مغلقة . ففيم يتعلق بأحلامها وخيالاتها لم تكن نورما غبية . اذ كانت تحتفظ بمبلغ ٣٧ دولارا في علبة معجون الاسنان بداخل حقيبة سفرها المغلقة . وهي قد رتبت الامور اذا تجمع لديها مبلغ ٥٠ دولارا تذهب الى هوليوود وتحصل على وظيفة في مطعم وتنتظر فرصتها . فبالخمسین دولارا من شأنها أن تؤجر لها غرفة لمدة شهرين . أما مسألة الطعام فيمكنها الحصول عليه في نفس المكان الذي تعمل فيه . وكانت أحلامها الكبرى هي أهم شيء في حياتها ولكن كان بمقدورها أن تعتنى بنفسها أيضا . فنورما لم تكن غبية أو مغفلة . وصحيح أنها لم تفهم السر في كراهية آليس لجميع النساء وصحيح أنها لم تدرك أن ذلك الاعتذار كان مجرد خدعة ولكن كان من المتوقع أن تكتشف ذلك في الوقت المناسب بحيث تنقذ نفسها . وبينما كانت نورما تعتقد أن أعظم الافكار وأنبل الدوافع تقطن فقط في داخل كلارك جيبيل فانها كانت تدرك دوافع الناس الذين التقت بهم وتعاملت معهم في الحياة اليومية ولم تكن تحتسرم دوافعهم بالقدر الكافي .

فعندما جاء يميلز وراح يخربش بأظافره في هدوء على نافذتها بالليل عرفت كيف تحمى نفسها فأغلقت نافذتها . اذ كانت تدرك انه لن يجرؤ على احداث قدر كبير من الضجة والضوضاء محاولا الدخول خشية أن يسمعه جوان في الغرفة المجاورة . لقد كانت نورما ذكية وعلى قدر عظيم من الدهاء والحيلة .

وكانت آليس تقف آنثذ أمام الباب بين غرفة النوم وصالة الطعام وجرت بأصابعها على جانبي أنفها ثم فتحت الباب وذهبت الى خلف الكاونتر كان شيئا لم يحدث على الإطلاق .

الفصل السابع

وتوقف الاتوبيس الجريهاوند الضخم الجميل المنظر تحت مظلة الركاب في سان يسيدور . ووضع المساعدون البنزين في خزان الاتوبيس وقاموا بأعمال المراجعة على الزيت والاطارات بالوسـائل الاتوماتيكية . وكانت مجموع الاجهزة تعمل في سلاسة وتوافق . وقام رجل ملون بالتنظيف بين المقاعد وتنظيف الوسائد بالفرشاة والتقاط ورق اللبان وأعواد الثقاب وأعقاب السجاير من الارضية . ثم جرى بأصابعه خلف المقعد الاخير الذي يمتد على طول مؤخرة الاتوبيس ، فهو في بعض الاحيان كان يعثر على عملات معدنية أو سكاكين جيب خلف هذا المقعد . وكان يحتفظ بالنقود الصغيرة الملقاة أما الاشياء الاخرى فكان يسلمها للمكتب . لان الناس كانوا يشيرون المتاعب حول الاشياء التي تركوها باظهار الانتقادات وتقديم الشكاوى ولكن ليس الامر كذلك بالنسبة لقطع العملات الصغيرة . وأحيانا كانت المقشاة تكشف عن قدر كبير من النقود يصل الى دولارين خلف ذلك المقعد . واليوم قد استخرج ٢ دايم وقطعة من فئة الخمسين سنتا بالاضافة الى حافظة نقود من النوع الكبير الذي يوضع في الجيب الخلفي للبنطلون وبها بطاقة الجندية ورخصة قيادة السيارات وبطاقة عضوية في نادى ليونز .

فألقي نظرة سريعة على الجزء الذي توضع فيه الاوراق المالية . فلمح ورقتين من فئة الخمسين دولارا وشيكا معتمدا من البنك بمبلغ خمسمائة دولار . فوضع حافظة النقود في جيب قميصه ونظف المقعد بمقشاة من الريش . وبدأ يتنفس بصعوبة بعض الشيء .

فالنقود كان أمرها سهلا . ففي استطاعته ان يأخذها ويترك حافظة النقود خلف المقعد لكي يجدها كناس آخر في نهاية الخط . ويمكنه ان يترك الشيك أيضا لان الشيكات تكتنفها أخطار هائلة للغاية . أما تلك الورقتان الحلوتان من فئة الخمسين دولارا - تلك الورقتان الحلوتان ، الحلوتان من فئة الخمسين دولارا !! وظهرت حشرجة وتوتر في حلقه وهو توتر سيظل ملازما له الى ان يحصل على تلك الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولارا بأن يخرجها من حافظة النقود خلف المقعد .

ولكنه لم يستطع اخراجها لان الولد الافاق كان يغسل الجانب
الخارجي للنواقذ التي تلتطخت بالضباب المتسخ الناجم عن السير في
الطريق العمومي الرئيسي . وكان عليه أن ينتظر لانهم اذا أمسكوا به
سيطردونه من العمل .

وكان يوجد فتق صغير في حاشية بنطلونه المصنوع من الصوف
الخشن . وذهب في تقصيراته الى أنه ينبغي عليه أن يدفع بهاتين
الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولارا هناك في داخل الفتق قبل أن
يهبط من الاتوبيس وعليه بعد ذلك أن يدعى المرض قبل أن يغادر مقر
عمله . ويمكنه أن يتظاهر بالمرض الشديد بحيث لا يعود الا بعد أسبوع
تقريبا . وهو اذا ادعى المرض . ثم ظل في العمل طوال اليوم حتى
توقيت انصرافه اليومي من العمل فانهم لن يشكوا في أى شيء في حالة
عدم ظهوره لايام قليلة وبهذه الطريقة يمكنه أن ينقذ وظيفته وسمع وقع
أقدام على الاتوبيس فتصلب بعض الشيء . ونظر السائق « لوى » في
داخل الاتوبيس .

وقال « هاى . جورج . اسمع . أوجدت حافظة نقود ؟ فهناك
شخص يقول أنه فقدها » .

فتمتم جورج .

فقال لوى « حسنا . سأجيب لالقي نظرة » .

فدار جورج فيما حوله وهو لا يزال على ركبتيه وقال « لقد وجدتها .
وكنت سأسلمها بمجرد الانتهاء من العمل » .

فقال لوى « وجدتتها ؟ » وأخذ حافظة النقود من يد جورج وفتحها .
فنظر الولد الافاق من خلال النافذة . فابتسم لوى في أسف نحو جورج
ورفرف بعينيه نحو الولد الافاق .

وقال لوى « أظن أنهم دبروا هذه اللعبة ضدنا . فالشخص قال
ورقتين من فئة الخمسين دولارا والموجود هنا ورقتان فعلا » ثم استخرج
الورقتين والشيك على نحو يمكن الولد الافاق الذى كان ينظر من خلال
النافذة من رؤيتهم . ثم استطرد لوى قائلا « أتمنى لك حظا أفضل في
المرّة القادمة يا جورج » .

فقال جورج « أظن أن الشخص سيدفع مكافأة » فقال لوى
« ستحصل على نصف المكافأة . واذا كانت أقل من دولار ستحصل
عليها كلها » .

وتحرك لوى خارجا من الاتوبيس الى صالة الانتظار وسلم حافظة

النقود الى المكتب وقال « وجدها جورج » وكان علي وشك احضارها الى هنا . فهو زنجي طيب . »

وأدرك لوى أن صاحب حافظة النقود كان موجودا بجواره مباشرة ولذلك قال مخاطبا الصراف « لو كنت أنا الذى فقدت هذه المحفظة لاعطيت جورج هدية صغيرة مناسبة . فلا شيء يجعل الشخص سيئا مثل عدم التقدير . وأذكر أن شخصا عثر على ألف دولار وسلمها فلم يحصل على أى شيء ولا حتى كلمة شكر . فكان أول شيء فعله بعد ذلك هو السطو على بنك وسرقته وقتل اثنين من الحراس . » وكان لوى يكذب بكسل سهولة وبدون أن يبذل أى مجهود .

وتساءل لوى « كم عدد الركاب المتجهين جنوبا ؟ » فقال الكاتب . العدد كامل عندك . وعندك فرد واحد سينزل فى الريبيل كورنرز . ولا تنسى الفطائر مثلما فعلت فى الاسبوع الماضى . فلم يحدث فى حياتى أن تضايقت كثيرا مع خمسين فطيرة . هاهى حافظة نقودك ياسيدى . يمكنك أن تفحصها للتأكد من أن كل شيء على مايرام ؟ »

ودفع صاحب حافظة النقود مكافأة قدرها خمسة دولارات . فقرر لوى اعطاء جورج دولارا واحدا فى أى وقت . وهو كان يعرف أن جورج لن يصدق له ولكن ماذا يضسىر ؟ لقد كانت لعبة قدرة وطريقا مليئا بالاحوال . وعلى كل شخص أن يأخذ فرصته . وكان لوى ضخما وكان جريئا بعض الشيء ولكنه كان حسن الهندام . وكان أصدقاؤه يسمونه « الوجه المكتظ باللحوم » وكان سريع البديهة وأنيقا ومهندما وكان يحب أن يعرف الناس عنه أن هزازه سمج . فكان يسمى خيول السباق كلابا وكان يتحدث عن جميع المواقف على أنها مراهنات . وكان يرغب فى أن يكون بوب هوب أو افضل من ذلك أن يكون بنج كروسبى .

وشاهد لوى جورج وهو ينظر الى المسكتب عبر أبواب رصيف التحميل . فتملكته دوافع من الكرم فسار نحو جورج وأعطاه ورقة من فئة الدولار وقال « ابن الكلب بخيل » وأردف قائلا « خذ أنت الدولار . انه يسترد ما يزيد على ٥٠٠ دولار ولا يدفع سوى دولار واحد . »

فنظر جورج الى وجه لوى . مجرد ومضة واحدة سريعة بنية اللون من عينيه . اذ أدرك انها كذبة كما أدرك انه لا يستطيع أن يفعل شيئا ازاء ذلك الموقف . فلو غضب منه لوى لجعل الامر متسما بالقسوة والعناد . ثم ان جورج كان يرغب فى ذلك المرح النجاجم عن تناول الخمر . وكان يشعر بالخمر وهى تمسك به وتسيطر عليه . آه . لو

أن ذلك الولد الافاق لم يدس أنفه الكبير فى هذا الموضوع .
وقال جورج « أشكرك »

ومر الولد الافاق بالقرب منهما ومعهم الدلو والاسفنج . فقال جورج
« وتسمى تلك النوافذ نظيفة ؟ » وأراد لوى أن يتودد ويتقرب لجورج
فقال هو الآخر للولد « اذا أردت أن تكون سيدا فى أى مكان يحسن بك
أن تكون على قدر من الكفاءة . فتلك النوافذ ليست على مايرام . نظفها
مرة أخرى » .

« اننى لا أتلقى الاوامر منكما . سأنتظر لحين تلقى بعض الشكاوى
من المراقبين والملاحظين » .

فتبادل كل من لوى وجورج النظرات . لقد كان مجرد ولد افاق
لا أهمية له . ويمكن أن يلقي به بعيدا على مؤخرته فى أقل من أسبوع
لو فكر لوى فى ذلك .

وكانت أتوبيسات الجريهاوند الضخمة تدخل الى مظلة نقل الركاب
المغطاة وتخرج منها ثقيلة وعالية كالمنازل . وكان السائقون ينزلقون
بها فى نعومة وسلاسة وجمال الى داخل المكان . . وكانت المحطة تنبعث
منها رائحة الزيوت ودخان العادم الناجم عن ماكينات الديزل ورائحة
قضبانات الحلوى ورائحة منظم قوى للأرضية تنفذ الى الانوف .

وعاد لوى الى الواجهة . فقد لمحت عيناها فتاة قادمة من الشارع نحو
المحطة . وكانت تحمل حقيبة سفر صغيرة . لمحها لوى فى ومضة بصر
واحدة . طبق لذيذ . طبق شهى . ويمكنه أن يجلسها على مقعد خلف
كرسى السائق المرتفع مباشرة أى خلف الكرسى الخاص به حيث يكون
باستطاعته أن يرقبها فى مرآة الاتوبيس التى تكشف المنظر الداخلى
ويتعرف على شخصيتها الحقيقية عن كثب . فلربما هى تقطن فى مكان
ما على الطريق الذى يسلكه . ولقد سبق له أن قام بقدر كبير من
المغامرات التى بدأت على هذا النحو .

وكان الضوء المنبعث من الشارع منيرا خلف الفتاة ولذلك فهو لم
يتمكن من رؤية وجهها ولكنه أدرك أنها امرأة جميلة . وهو لم يعرف
كيف أدرك أنها جميلة . اذ كان بالمستطاع أن تجيب خمسون فتاة مع
أضواء خلفهن . ولكن كيف بدت له هذه الفتاة بالذات جميلة ؟ كان
بإمكانه أن يرى قواما جميلا وساقين جميلتين . ولكن هذه الفتاة بالذات
كانت تنبعث منها رائحة الجنس بطريقة ما تتسم باللباقة والذكاء . .

ولاحظ أنها حملت حقيبة سفرها معها الى نافذة صرف التذاكر
ولذلك لم يذهب نحوها مباشرة . وانما ذهب الى حجرة الاغتسال وهناك
وقف عند حوض الغسيل وغمر يديه فى الماء وجرى بهما بين شعره .
واستخرج من جيبه الجانبى مشطا صغيرا ومشط شعره للخلف برفق
وربت عليه من الخلف حيث برزت كمية من الشعر على شكل ذيل بطة .
ثم مشط شاربته رغم أن شاربته لم يكن فى حاجة للتمشيط حيث كان
قصيرا للغاية . وسوى من شأن الجساكيت الرمادى الذى يرتديه
والمصنوع من نسيج يشبه القطيفة . ثم زاد من تضيق الحزام حول
وسطه بعد أن دفع ببطنه للداخل بعض الشيء .

وأعاد المشط الى جيبه وفحص نفسه فى المرآة مرة ثانية . ثم جرى
بيده على جانبى شعره . وتحسس رأسه من الخلف ليتأكد من أنه
لا توجد أية كتل من الشعر خارجة عن مكانها وليتأكد من أن ذيل البطة
متجه الى أسفل . وعدل من وضع الفيونكة السوداء الجاهزة التى تلازمه
دائما لتكون فى المنتصف تماما . ثم أخرج حبات قليلة من السنسن
من جيب قميصه الداخلى وألقى بها فى فمه . وبعدئذ بدا عليه كأنه يهز
نفسه لاسفل فى معطفه .

وما أن ذهبت يده لوى اليمنى الى الاكورة النحاسية لباب غرفة
الغسيل حتى حركت يده اليسرى أصابعها حركة سريعة لأعلى ولأسفل
على حاشية الازرار ليتأكد من أن أزراره كلها موضوعة فى العراوى
الخاصة بها . ووضع على وجهه ابتسامة ملتوية مفرضة بعض الشيء
نصفها يعبر عن الاهتمام بالامور الدنيوية ونصفها الآخر عن السذاجة
والبساطة ، وهو تعبير على الوجه أثبت نجاحه معه فى حالات سابقة .
وهو قد قرأ فى موضع ما أنك لو نظرت فى عيني فتاة نظرة مباشرة
وابتسمت لها فان ذلك يحدث تأثيرا . ويجب عليك أن تنظر اليها كأنها
أجمل شيء فى العالم بل وعليك أيضا أن تظل مستمرا فى النظر الى
عينيها الى أن تنظر هى بعيدا . وكانت هناك خدعة أخرى أيضا . فلو
كان النظر فى عيون الناس الآخرين يضايقك ينبغى عليك أن تنظر الى
موضع على كوبرى الانف فيما بين العينين تماما . اذ يبدو للشخص
الذى تنظر اليه أنك تنظر الى عينيهِ وحقيقة الامر أنك لا تنظر اليهما .
وقد وجد لوى فى ذلك طريقة ناجحة للغاية للتقرب للفتيات .
وكان لوى يفكر فى الفتيات طوال ساعات قيادته للاتوبيس

تقريبا • اذ كان يرغب فى الاعتداء عليهن وانتهاكهن • وكان يحلو له أن يوقعهن فى حبه ثم يتخلى عنهن ويتركهن للعذاب • وكان يسميهن « الخنزيرات » فيقول مثلا « سأحصل على خنزيرة • وتحصل أنت على خنزيرة • ونخرج للهو والمرح » •

وسار عبر باب حجرة الاغتسال فى نوع من العظمة والاعتزاز بالنفس • ثم اضطر للتراجع للخلف لان رجلين دخلا بين المقاعد حاملين سلة طويلة بها شقوق تسمح بدخول الهواء • وعلى جانب السلة كتبت هذه العبارة بحروف بيضاء كبيرة « فطائر الأم ما هو فى المعدة بالمنزل » وتقدم الرجلان أمام لوى وعبرا الى رصيف التحميل •

وكانت الفتاة جالسة على مقعد آئذ ، وحقيبة سفرها بجانبها على الأرض • وأثناء مرور لوى عبر الغرفة ألقى نظرة سريعة على ساقها ثم نظر الى عينيها بشكل مستمر أثناء سيره • وابتسم ابتسامته الملتوية وتحرك نحوها • فالتفتت اليه دون أن تبتسم ثم حولت عينيها بعيدا عنه •

فشعر لوى بخيبة الأمل • لأنها لم يعترها أى ارتباك وكان ينبغي أن يصدر عنها شيء من هذا القبيل • انها بكل بساطة قد فقدت الاهتمام به • وكانت جميلة للغاية - ساقان جميلتان ممتلئتان امتلاء حسنا وفخذان ملفوفان • وخصر نحيل بدون كرش وثديان ناهدان استفادت منهما أعظم استفادة فى اظهار جمالها • وكانت شقراء • وكان شعرها خشنا وبه شيء من التكسير فى نهاياته بسبب استخدام مكواة للشعر ساخنة للغاية ولكنه شعر منسق بالفرشاة بشكل جيد وبه أضواء جميلة وبه خصلة طويلة متجمعة من النوع الذى يحبه لوى وكانت عيناها مزدائنتين بكحل العيون الازرق اللون ولبعض الكريم البارد على الجفون وبقدر كبير من الماساكر فوق الرموش • لم تضع روجا على وجهها وانما اكتفت بوضع قدر من أحمر الشفاه على شفتيها على نحو يجعل فيها مستديرا مثل بعض ممثلات السينما • وكانت ترتدى طاقما: عبارة عن جونلة ضيقة وجاكيت لها ياقة مستديرة • أما حذاؤها فكان من جلد أحمر قائم تتخلله غرز بيضاء •

ودرس لوى وجهها أثناء سيره • وتملكه شعور بأنه سبق أن رآها من قبل • وربما كانت تشبه فتاة ما عرفها من قبل أو ربما قد شاهدها من قبل فى فيلم سينمائى • فقد حدث له ذلك فيما مضى • وكانت عيناها متسعيتين ، تكاد تكون متسعيتين بشكل غير طبيعى • وكان لونها

أزرق مع قدر ضئيل من البقع البنية بهما ومع خطوط مظلمة محددة بشدة من حدقة العين الى الحافة الخارجية لقزحية العين . وكان حاجبا عينيها منتوفين ومرسومين بالقلم فى شكل قوس حتى أنها بدت كأنها مندهشة بعض الشيء .

ولاحظ لوى أن يديها الموضوعتين فى القفاز لم يعتريهما القلق . فهي لم تكن غير صبورة ولم تكن عصبية . وهذا سبب له الضيق . كان خائفا من رباطة جأشها . وشعر بالفعل أنه سبق له أن رآها فى مكان ما . وكانت ركبتيها مكسيتين باللحم بطريقة ممتازة فعظامها لم تكن بارزة . وجعلت جونلتها تتجه لاسفل بدون أن تجذبها .

وعندما تجول لوى بجانبها عاقبها على تحويل عينيها عنه بأن حلق فى ساقها . وهذه الحركة غالبا ما تجعل أى فتاة تشد جونلتها الى أسفل حتى ولو لم تكن مرتفعة للغاية . ولكن هذه الحركة لم تحدث أى تأثير على هذه الفتاة . ف شعر لوى بالقلق وعدم الارتياح لعدم تجاوبها مع حيله وأساليبه وقال لنفسه انسائة شرسة تنجز أمورها بسرعة ، انسائة شرسة بائنين من الدولارات . وبعدئذ سخر من نفسه . لا يمكن أن تكون بائنين من الدولارات مع كل تلك الملابس التى ترتديها . واستمر لوى فى مشيته نحو نافذة صرف التذاكر وابتسم ابتسامته التهكمية وهو ينظر الى ادجار الكاتب الذى يقوم بصرف التذاكر . وكان ادجار معجبا بلوى ويتمنى أن يصبح مثله .

وتساءل لوى « الى أين الخنزيرة ذاهبة ؟ »

« خنزيرة ؟ »

« أوه . نعم ، » وتبادل ادجار نظرة خفية لها طابع الرجولة مع

لوى وقال « الى الجنوب ، »

« فى عربتى ؟ »

« نعم ، »

فراح لوى يقرع بخفة على الكاونتر باصبعه . لقد ترك ظفر اصبعه الصغير ليده اليسرى ينمو ليصير طويلا للغاية . وكان مقوسا مثل نصف أنبوبة ومرملا لمسافة ضحلة . ولم يعرف لوى السبب الذى جعله يفعل ذلك . ولكنه كان مسرورا عندما لاحظ أن بعض سائقى الاتوبيس الآخرين قد تركوا أظافر أصابعهم الصغرى تنمو أيضا . لقد كان لوى يبتكر أسلوبا وشعر بالارتياح لذلك . وكان هناك ذلك السائق للعربة

الذي ربط ذيل حيوان الراكون على غطاء الردياتير في عربته ولم يجرى الليل الا وكان كل شخص قد حصل على قطعه من الفراء ترفرف مع النسيم . فصنع تجار الفراء اذيال تعالب صناعية واصبح لا يمكن رؤيه اولاد المدارس العليا في سيادة بدون ذيل يلف ويدور حولهم . وامكن لذلك السائق أن يجلس مضطجعا للخلف وهو مسرور لانه اول من ابتكر الفكرة . وها هو لوى قد ترك ظفر اصبعه الصغير ينمو لمدة خمسة شهور ثم رأى بالفعل خمسة أو ستة من السائقين الآخرين يفعلون ذلك . وقد تكتسح هذه الظاهرة الدولة فيكون لوى بذلك هو الذي ابتكر الفكرة بأسرها .

وطرق على الكاونتر بظفره الطويل المنحنى . ولكن في رفق لانه عندما يطول ظفر أكثر من اللازم يتعرض للكسر بسهولة . ونظر ادجار الى الظفر . وظل مبقيا يده اليسرى أسفل الكاونتر . فقد كان يربى ظفرا هو الآخر ولكن ظفره لم يكن قد أصبح طويلا للغاية . وأراد أن يخفى ذلك عن لوى الى أن يصبح الظفر أطول من ذلك بكثير . وكانت أظافر ادجار من النوع الهش سهل الانكسار بما كان يضطره الى وضع ورنيش للاظافر عديم اللون لمنع من الانكسار بسرعة . اذ سبق أن انكسر في احدى المرات أثناء نومه في السرير .

وحملق ادجار نحو الفتاة . وقال « أعتقد أنك ستسارع الى التفاهم مع الخنزيرة ؟ »

فقال لوى « لا ضرر من المحاولة » واستطرد « ربما تكون انسائة شرسة من النوع العمل الذي ينجز أموره على وجه السرعة » .
« حسنا ، وهل هناك مانع من أن تجرب حظك مع انسائة شرسة وجميلة ؟ »

وانتفضت عينا ادجار . فقد وضعت الفتاة ساقا على ساق من جديد . وقال متأسفا « لوى . قبل أن أنسى . يحسن بك أن تشرف بنفسك على تحميل تلك السلة المليئة بالفطائر . فقد جاءت لنا شكوى في الاسبوع الماضى . ففي مكان ما على طريق الاتوبيس أوقع شخص ما السلة فاختلطت فطيرة توت مع فطيرة ليمون فأصبح هناك زبيب عنب في كل مكان . وكان علينا أن ندفع التعويض » .

فقال لوى في شراسة ووحشية « لم يحدث ذلك في رحلاتى على الإطلاق . ان الاتوبيس يذهب الى سان جوان . أليس كذلك ؟ ولا بد أن

الطريق المنحنى عند ريبيل كورنرز هو الذى تسبب فى ذلك » .
فقال ادجار « حسنا . نحن دفعنا التعويض . مجرد نوع من
المراجعة والاشراف . ممكن ؟ »
فقال لوى وقد تملكه الاحساس بخطورة الموقف « لم تسقط أية
فطائر أثناء رحلاتي » .

« أعرف ذلك . أعرف أنك لم تسقط شيئا . ولكن المكتب الامامى
أخبرنى بأن أقول لك بأن تراجع على الفطائر للتأكد » .
فتساءل لوى « ولماذا لم يجيئوا هم الى ؟ » واستطرد : « هم وصلتهم
شكاوى . فلماذا لم يستدعوني بدلا من ارسال رسائل ؟ » وتصاعد
الغضب فى داخله . ولكنه كان فى الحقيقة غاضبا من الفتاة الشقراء .
الانسانة الشرسة الملعونة . ونظر الى ساعة الحائط الضخمة المعلقة على
الحائط . وكان هناك عقرب طوله قدمان يجرى بالثوانى على الميناء .
وفى انعكاس المراة شاهد لوى الفتاة جالسة وقد وضعت ساقا على
ساق . وظن أنها كانت تنظر الى مؤخرة رأسه وان كان لم يستطع
التأكد من ذلك بسبب الانحناء فى المراة . فتبدد غضبه .

وقال « سأقوم بالمراجعة على الفطائر وأخبرهم بأنه لن يكون هناك
اختلاط بين فطائر التوت وفطائر الليمون . أظن أننى سامضى قليلا من
الوقت مع الخنزيرة » . ورأى الاعجاب فى عيني ادجار عندما التفت
ببطء وواجه غرفة الجلوس .

وكان على حق . فقد كانت الفتاة تنظر الى مؤخرة رأسه . لانه
عندما استدار رآها تنظر الى وجهه . ولم يكن هناك اهتمام أو أى تعبير
آخر فى نظرتها ولكنها كانت لها عينان جميلتان . يا للملعونة . لقد
كانت جميلة . وكان لوى قد قرأ فى إحدى المجلات عن أن العيون
الواسعة تعنى الاثارة الجنسية . ولم يكن هناك أدنى شك فى أن هذه
الفتاة تشع من كيانها حالات جنسية مثيرة للغاية . كانت فتاة من
النوع الذى يسير بجوارها أى شخص يراها . وهامى قد سارت فى
هذا المكان فاستدار نحوها كل شخص ونظر اليها . وكان باستطاعتك
ان ترى رؤوسهم تدور وتلتفت كأنهم يشاهدون سباقا للخيل .
والسبب هو وجود شيء ما فى هذه الفتاة . ولم يكن هذا الشيء هو
المكياج ولم يكن طريقة مشيتها . وان كان المكياج وطريقة المشى جزءا
من ذلك الشيء . ومهما كان أمر هذا الشيء فانه كان منشورا ومنتشرا
فيما حولها . وقد شعر لوى بذلك الشيء عندما قدمت من الشارع
مع وجود الضوء خلفها فى أنه لم يستطع أن يراها حينئذ رؤية حقيقية

واضحة . وهي الآن كانت تنظر في وجه لوى دون أن تبترسم ودون أن يعبر وجهها عن أى شيء . كانت تنظر اليه فقط ، وظل يشعر بذلك . فأصيب بضيق وتوتر في حلقه وبزغ من ياقته أحمر خفيف . وأدرك أن نظرتة قد تنزلق بعيدا بعد برهة وجيزة . وكان أذجار منتظرا . وكان أذجار مؤمنا بلوى واثقا منه .

وكانت هناك بعض الأكاذيب والمبالغات حول سمعة لوى . ولكنه فى الحقيقة كان له أسلوب خاص به وهو سبق له بالفعل أن قضى بعض الوقت مع الخنزيرات . ولكنه فى تلك اللحظة فقط لم يكن يشعر بالارتياح . فهذه الخنزيرة كانت تقلل من شأنه . فأراد أن يصفع وجهها بكف يده . وكانت أنفاسه تتصاعد فى صدره فى ألم . كانت الفرصة على وشك الضياع اذا لم يفعل شيئا . واستطاع أن يرى الخطوط المعتممة التى تشبه الأشعة فى قزحية عينيها كما تمكن من رؤية امتلاء خديها . ورسم على وجهه نظرتة المعانقة المقبلة واتسعت عيناه قليلا وابتسم كما لو كان قد تعرف عليها فجأة . وفى نفس الوقت تحرك نحوها .

وحرص على أن يجعل ابتسامته مليئة بالاحترام بعض الشيء . فتعلقت عينها بعينه وزال عنها قدر ضئيل من البرود . فخطا بالقرب منها وقال لها « يقول الرجل أنك متجهة جنوبا على الاتوبيس الخاص بى . يا ماما » . وهو غالبا ما كان يضحك على كلمة « ماما » هذه ، ولكنها كانت عادة تأتي بالنتيجة المرجوة . وقد أتت هذه الكلمة بنتيجة مع هذه الفتاة . اذ ابتسمت قليلا .

فاستطرد لوى قائلا « سأهتم بحقيبتك . نحن سنتحرك فى خلال ثلاث دقائق » .

فقالت الفتاة « شكرا » . وخيل للوى أن صوتها جاء نابعا من الحلق ومفعما بالجنس .

« دعينى آخذ حقيبتك . سأضعها الآن فى الاتوبيس . وبعدئذ ستحصلين على مقعد » .

فقالت الفتاة « انها ثقيلة » .

وقال لوى « لست قزما تماما » ثم حمل حقيبتها وخرج بها مسرعا الى رصيف التحميل ، وصعد الى داخل الاتوبيس ووضع الحقيبة أمام المقعد الذى يقع خلف مقعده مباشرة . . حتى يمكنه أن يرقب الفتاة فى مرآته ويتحدث اليها قليلا عندما يمضون فى طريقهم . ثم خرج من

الاتوبيس ورأى الولد الافاق مع افاق آخر يضعان سلة الفطائر على سطح الاتوبيس .

فقال لوى بصوت مرتفع « اعتنوا بتلك الاشياء . لقد أوقعتم يا أولاد الحرام واحدة فى الاسبوع الماضى وأنا تلقيت الشكاوى والاحتجاجات » .

فقال الولد الافاق « لم أوقع شيئا على الاطلاق » .
وقال لوى « لم تفعل بحق الجحيم » واستطرد « عليك بمراقبة خطواتك » .

ومر عبر الابواب المتحركة الى غرفة الانتظار .
فتساءل الافاق الآخر « ما الذى جعله تعيسا متضايقا ؟ » فقال الولد الافاق « أوه . اننى ضايقتة بشكل ما . فالزنجى وجد حافضة نقود وأنا رأيتها . ولذلك فقد قررا تسليمها للمكتب . كانت بمثابة قربة مليئة بأوراق البنكنوت . وهما الاثنان غضبا منى لانى رأيتها . وكان لوى وذلك الزنجى سيقتمسون المبلغ بحيث يحصل كل منهما على خمسين دولارا ولكنى وضعتهما فى موقف حرج مما اضطرهما بالطبع الى تسليمها للمكتب عندما لاحظا أننى رأيتها » .

فقال الافاق « كان باستطاعتى استثمار هذا المبلغ »
« ومن الذى لا يستطيع »

« اذا أخذت مائة دولار يمكننى الانطلاق الى مكان آخر واشترى ممتلكات شخصية جميلة للغاية بهذا المبلغ » واستمر لبعض الوقت فى حديث له طابع الطقوس الدينية .

ودب قدر ضئيل من الحركة والنشاط فى صالة الانتظار . اذ أخذ يتجمع جمهور الاتوبيس المتجه جنوبا . وكان ادجار مشغولا خلف الكاونتر الخاص به الا أنه كان يراقب الفتاة فى نفس الوقت . وقال لنفسه فى همس « خنزيرة » فهذه كلمة جديدة بالنسبة له وباستطاعته أن يستخدمها من الآن فصاعدا . وحملق فى ظفر الاصبع الصغير فى يده اليسرى . قد يمضى وقت طويل قبل أن يصير له ظفر فى مثل جودة ظفر لوى . ولكن لماذا يضايق نفسه ؟ فهو لا يمكنه أن يعوض الوقت الضائع ويلحق بلوى فى هذا المجال . فهو كان ينهزم دائما فى جولة السباق .

وكان هناك الهرج والمرج الذى يصدر عن الزبائن فى الدقيقة الاخيرة عند ماكينات بيع الفول السودانى وآلات بيع اللبان . واشترى

رجل صيني نسخة من « التايمز » وأخرى من « النيوزويك » • وطواهما في حرص ووضعهما في جيب معطفه الاسود ذي القماش السسميك • وقامت سيدة عجوز بتصفح المجلات الموجودة على رف المجلات دون أن تكون لديها النية لشراء واحدة منها • وكان اثنان من الهنود يرتديان عمامتين ناصعتي البياض ولهما لحيتان سوداوتان لامعتان مجعدتان يقفان بجانب بعضهما البعض عند نافذة صرف التذاكر • وكانا يحملقان في وحشية فيما حولهما كما لو كانا يخاولان فهم ما يقال لهما •

ووقف لوى بالقرب من المدخل المؤدى الى رصيف التحميل وحملق في الفتاة باستمرار • وتلاحظ له أن كل رجل في الغرفة كان يفعل نفس الشيء • فهم جميعا كانوا يختلسون النظر اليها ولم تكن لديهم الرغبة في أن يلحظهم أحد وهم يفعلون ذلك • والتفت لوى ونظر من خلال الابواب الزجاجية المتحركة وتأكد له أن الولد الافاق والافاق الآخر قد وضعوا سلة الفطائر في أمان فوق سطح الاتوبيس وأن القماش المشمع قد جذب عليها لأسفل لحمايتها • وصار الضوء معتما في صالة الانتظار الى درجة الغسق • لابد أن سحابة قد حجبت الشمس • ثم أشرق الضوء مرة أخرى كما لو كانت تتحكم فيه مقاومة متغيرة • ودق الجرس فوق الابواب الزجاجية بصوت مرتفع • فنظر لوى الى ساعته وذهب عبر الباب الى أتوبيسه الضخم ونهض المسافرون في غرفة الانتظار وساروا في تضاقل نحو الباب •

وكان ادجار مازال يحاول معرفة المكان الذي يريد أن يذهب اليه الهنديان • وقال لنفسه « تلك الرسوم البالية • لماذا لم يتعلما اللغة الانجليزية قبل البدء في الجرى والسفر ؟ » •

وصعد لوى الى المقعد العالى المحاط بقضيب من الصلب الذي لا يصدأ وراح يفحص التذاكر لدى دخول المسافرين الى الاتوبيس • واتجه الرجل الصيني المرتدى معطفا أسود مباشرة الى المقعد الخلفى وخلع معطفه ووضع مجلتي التايم والنيوزويك في حجره • وتشعبطت المرأة العجوز متسلقة الدرج في الاتوبيس وهي لاهثة الانفاس ثم جلست في المقعد الذي يقع خلف لوى مباشرة •

فقال لها لوى « معذرة يا ماما • فقد أخذ هذا المقعد » •

فقالت في تحد سافر « ماذا تقصد بكلمة أخذ ؟ اذ لا توجد أية مقاعد محجوزة » •

فكرر لوى القول « لقد أخذ هذا المقعد يا ماما • ألا ترين حقيقة

السفر بجانبه ؟ » • ولقد كان لوى يكره النساء الكبيرات فى السن •
كان يحس بالاختناق لدى رؤيتهن • اذ كانت هناك رائحة خاصة بهن
تسبب له التوتر والضيق • وكان يعتقد انهن يملن للشراسة والقسوة
وعدم الاعتزاز بالنفس وعدم المبالاة • بما قد ينجم عن تصرفاتهن من
مناظر مؤلمة • والاصرار على الحصول على ما يردنه • ولقد كانت جدة
لوى امرأة طاغية مستبدة وكانت تحصل على كل ماتريده وذلك باللجوء
للقسوة والوحشية • وبزاوية من عينه استطاع أن يرى الفتاة على أسفل
سلمة للاتوبيس منتظرة دورها للصعود خلف الرجلين الهنديين • فوجد
نفسه فى موقف حرج للغاية • فتملكته مشاعر الغضب على الفور •
وقال « يا ماما • اننى السيد المهيمن على الاتوبيس الخاص بى •
ويوجد عدد كبير من المقاعد الملائمة • والآن هل لك أن تتحركى للخلف
الى مقعد آخر ؟ » •

فشمخت المرأة العجوز بذقنها فى صرامة ونظرت اليه فى تعجبهم •
وحركت مؤخرتها بعض الشيء لكى تزيد من استقرارها فى المقعد •
وقالت « أنت تريد أن تضع هذه الفتاة فى هذا المقعد • هذا هو
ما تريده • وسأقدم تقريراً عنك الى الادارة » •

فازدادت حدة غضب لوى • وقال « وهو كذلك يا ماما • أخرجى
الآن وأبلغى تقريراً عنى • فالشركة لديها أعداد كبيرة من المسافرين
ولكنها ليست لديها الكثير من السائقين الممتازين • وتلاحظ له أن الفتاة
كانت مصغية فشعر بالارتياح لذلك بعض الشيء • ولاحظت المرأة أنه
غاضب للغاية فقالت « لن أقدم تقريراً عنك » •

فقال لوى بصوت مرتفع « حسنا • قدمى تقريراً عنى • يمكنك
أن تخرجى من الاتوبيس ولكنك لن تجلسى فى هذا المقعد • فالمسافرة
على هذا المقعد معها توصية من الطبيب » •

وكان هذا مجرد عذر للتخلص من المأزق ولكن المرأة العجوز
أمسكت عليه هذه الغلطة وقالت « ولماذا لم تقل ذلك منذ البداية ؟ اننى
لا ينقصنى الذوق والادراك السليم • ولكننى سأقدم تقريراً عنك بسبب
قلة أدبك وقلة ذوقك » •

فقال لوى فى اعياء « وهو كذلك يا ماما • اننى معتاد على ذلك » •
وتحركات المرأة للخلف الى المقعد التالى مباشرة • وراح لوى يفكر •
انها ستصغى بأذنيها الكبيرتين وتتصيد الاخطاء لى • وقال لنفسه
« حسنا • فلادعها تفعل ذلك • فعدد المسافرين عندنا أكثر من عدد

السائقين » . وكانت الفتاة قد وصلت الى جانبه حينئذ وقد أبرزت تذكرتها . فقال لها لوى بطريقة لا ارادية « أسستذهبن فقط الى الكورنرز ؟ » .

فقالت الفتاة « نعم . وعلى أن استقل أتوبيسا آخر من الكورنرز » وابتسمت بسبب نغمة الشعور بخيبة الامل التي ظهرت لدى تساؤله . فقال لها « هذا هو مقعدك . هنا مباشرة » ثم راقبها عندما جلست ووضعت ساقا على ساق وجذبت جونلتها الى أسفل ووضعت حقيبة يدها الى جوارها وانتصبت في جلستها وأصلحت من شأن ياقتها . وكانت الفتاة تدرك أن لوى يرقب كل حركة تأتي بها . فهذا هو ما كان يحدث لها دائما . وهي كانت تعرف أنها تختلف عن الفتيات الاخريات ولكنها لم تعرف تماما كيف كان ذلك الأمر . ومن ناحية اخرى كان شيئا لطيفا أن تحصل على أحسن مقعد وأن تجد من يشتري لها الطعام وأن تجد يدا ممسكة بذراعها لدى عبورها الشوارع ، اذ لم يكن بمقدور الرجال أن يمنعوا أنفسهم من وضع أيديهم عليها ولكن كانت هناك دائما المتاعب مما كان يضطرها لان تتملق أو تسب أو تقاقل لكي تخلص نفسها من مأزق اذ كان جميع الرجال يريدون منها نفس الشيء وكان ذلك هو ما يحدث بالضبط . وكانت تسلم بالامر الواقع وكانت تلك حقيقة واقعة .

وهي قد عانت من ذلك الامر عندما كانت صغيرة في السن . فقد كان عندها احساس بالشعور بالذنب بسبب عدم الالتزام بالاخلاق الحميدة . ولكن ما أن أصبحت أكبر سنا حتى تقبلت هذا الامر وطورت من وسائلها وطرائقها وحيلها . وهي أحيانا كانت تستسلم وأحيانا أخرى كانت تحصل على النقود أو الملابس . وكانت تعرف معظم المحاولات التي يقوم بها الناس للتودد اليها وكسب رضاها . حتى أنه كان باستطاعتها أن تتنبأ بكل شيء سيقوله لوى أو سيفعله في نصف الساعة التالية . وهي من خلال حاسة توقع الامور قبل حدوثها كان باستطاعتها في بعض الاحيان أن تحسول دون وقوع المواقف المؤلمة . فالرجال الاكبر سنا كانوا يريدون تقديم العون والمساعدة لها وادخالها في المدرسة أو وضعها على المسرح . أما الشبان فكان بعضهم يريدون الزواج منها أو تقديم الحماية لها . ولكن عددا قليلا للغاية من الشباب كان يريد بكل صراحة وأمانة أن يذهب معها الى الفراش مع التعبير عن ذلك لها .

وهؤلاء كانوا أسهل الفئات ، حيث كان باستطاعتها أن توافق أو ترفض وتحسم الامر على النحو الذى تراه . أما أبغض الامور الى نفسها فيما يتعلق بموهبتها أو بنواحي الضعف فيها هو المشاجرات التى كانت تدور من حولها . اذ كان الرجال يقاتلون بعضهم البعض فى وحشية عندما تسافر من مكان لآخر . كانوا يقتتلون مثل كلاب الصيد . وكانت أحيانا تتمنى أن تجد الحب والتعاطف فى قلوب النساء نحوها . الا أن النساء كن يكرهنها . وأدركت بذكائها السبب فى عدم حب النساء لها ولكن لم يكن فى استطاعتها أن تفعل شيئا ازاء هذا الامر . فكل ما كانت تريده فى الحقيقة هو منزل جميل فى مدينة جميلة وطفلان ومجموعة من السلالم تقف عليها بالاضافة الى ارتدائها للثياب الانيقة وحضور الضيوف الى منزلها لتناول العشاء وبالطبع سيكون لها زوج ولكنها لم تستطع رؤيته فى مخيلتها لان الاعلانات فى المجلات النسائية والتى نبع منها حلمها لم تكن تشتمل على أى رجل على الاطلاق . مجرد امرأة محببة للنفس فى ملابس لطيفة تهبط الدرج وضيوف فى صالة الطعام وشموع ومنضدة للطعام داكنة اللون ومصنوعة من الخشب وأطفال يتميزون بالنظافة قبلهم وهى تقول لهم تصبحون على خير . ذلك هو ما كانت تريده فى الحقيقة وهى كانت تدرك أن ذلك أمر لن يتحقق شأنه فى ذلك شأن أى شىء آخر .

وكان يوجد قدر كبير من الحزن فى داخلها . وكانت تتعجب من أمر النساء الاخريات . هل كن مختلفات عنها ؟ اذ تلاحظ لها أن استجابات الرجال مع معظم النساء مختلفة عن استجاباتهم معها . ان رغباتها لم تكن قوية ومستمرة بشكل هائل ولكنها لم تكن تعرف الحالة التى عليها النساء الاخريات . اذ لم تناقش هذا الامر مع احدهن من قبل لانهن جميعا لا يشعرن بالارتياح اليها . وذات مرة ذهبت الى طبيب شاب لتخفيف حدة الآلام الشهرية عندها فقام بالاضطجاع معها وعندما تحدثت معه بصراحة ووضوح فى ذلك الامر فقال « كل ما فى الامر انك تنشرين الرغبة فى الهساء . ولست أدري كيف يتم ذلك . وبعض النساء لديهن نفس الظاهرة . ونحمد الله على أنه لا يوجد عدد كبير من هذا النوع لكى لا يجن جنون الرجال » .

وحاولت أن ترتدى ملابس بسيطة خالية من الزينة ولكن ذلك لم ينفع كثيرا . ولم يكن باستطاعتها الاحتفاظ بوظيفة عادية الا وهى الكتابة على الآلة الكتابة . لان المكاتب كانت تتحطم تماما عندما تذهب

لتأدية عملها • فاضطرت في الآونة الأخيرة أن تحصل على النقود بطريقة غير شرعية • طريقة تدر عليها مبالغ كثيرة ولا تعرضها لكثير من المتاعب • اذ كانت تخلق ملابسها في بيوت اللهو • وكانت هناك وكالة تصرف لها أمورها وفقا للنظم المرعية • وهي لم تكن تفهم بيوت اللهو ولا نوع الاشباع الذي يحققه الرجال من ورائها ولكن ها هم كانوا هناك وكانت تحصل على خمسين دولارا كأجر لها نظير خلق ملابسها • وكان ذلك أفضل لها من أن تتمزق ملابسها في أحد المكاتب • وهي على أية حال قد قرأت عن شبق النساء بما فيه الكفاية فأدركت أنها ليس لديها هذه الحالة • وكثيرا ما تمنى أن تكون لديها حالة الشبق هذه • وأحيانا كانت تعتقد أن عليها أن تدخل في أحد البيوت وتوفر قدرا كبيرا من النقود ثم تعتزل العمل وتذهب للريف أو تتزوج رجلا كبيرا في السن بحيث تستطيع السيطرة عليه • وقد يكون ذلك هو أسهل الطرق • فالشباب الذي يمثل اغراء بالنسبة لها كانوا يميلون للشراسة والبذاءة ويشكون فيها ويتهمونها بالفسق والخداع • وكانوا اما ان يتجهموا في وجهها واما أن يحاولوا اعطاءها علفة ساخنة واما أن يتفجر غضبهم ويلقون بها بعيدا •

وبدأت تصون نفسها وذلك هو ما انتهت اليه الامور • ولكن ربما كان المخرج الحاسم لها هو الاقتران برجل عجوز يمتلك بعض الاموال • وستكون هي طيبة معه وستجعله يشعر فعلا أنها تستأهل أمواله ووقته • وكان لها صديقتان فقط • وكانتا تسكنان معها في منزل واحد • ولم يحدث أبدا أن شعرتا نحوها بالحققد أو الغيرة أو الاستياء أو الاستنكار • ولكن احدهن قد غادرت المنطقة ولم تعرف المكان الذي ذهبت اليه فهي سارت مع مجموعة من الناس الى مكان ما • أما الفتاة الأخرى فكانت تعيش مع رجل يعمل في مجال الاعلانات ولم ترد لها أن تكون بالقرب منها •

كانت تلك هي لورين • وكانتا تعيشان سويا في شقة واحدة • ولم تهتم لورين كثيرا بالرجال ومع ذلك فهي لم تحب النساء بقدر كبير للغاية ولكن لورين بعدئذ ارتبطت فجأة مع رجل الاعلانات هذا وطلبت منها أن تترك الشقة وشرحت لورين لها كل شيء عندما طلبت منها عدم الإقامة معها •

لقد كانت لورين تعمل في أحد البيوت ووقع في حبها رجل الاعلانات وكانت لورين قد أصيبت بمرض السبيلان وحتى قبل أن

تظهر عليها أعراض المرض فأنها نقلت هذا المرض الى رجل الاعلانات .
وكان هو من النوع العصبى فقد أعصابه الى حد الجنون وفقد وظيفته ،
وجاء الى لورين شاكيًا لها مما حدث . فشعرت على نحو ما أنها مسئولة
عما حدث له ولذلك فأنها لمت شمله وأطعمته أثناء تناولهما العلاج .
وكان ذلك قبل ظهور طرق العلاج الجديدة ولذا كان العلاج قاسيا
وعنيفا الى حد ما .

وبعدئذ داوم رجل الاعلانات هذا على تناول الحبوب المنومة . وكان
يتعرض لنوبات من الاغماء وفقد الوعي وكان غامضا بعض الشيء وكان
يشعر بحدة المزاج ما لم يتناول الحبوب الخاصة به وراح يتناول
الكثير والكثير منها حتى أن لورين اضطرت لان تجرى له غسيل معدة
مرتين .

وكانت لورين فى الحقيقة فتاة طيبة وكانت الامور صعبة بالنسبة
لها لانه لم يكن باستطاعتها العمل فى المنزل الى أن تشفى من مرضها
فهى لم ترغب فى نقل العدوى لاي شخص تعرفه . وفى نفس الوقت كان
عليها أن تحصل على النقود لكى تدفع ثمن روشتات الاطباء والعلاج
والطعام وقيمة ايجار الشقة . فكانت مضطرة للعمل فى الشوارع فى
« جليندال » لتحصل على النقود ولم تكن هى نفسها تشعر بالارتياح
لذلك . وبعدئذ أصبح رجل الاعلانات هذا يشعر بالغيرة عليها ولا يريد
لها أن تعمل على الرغم من أنه هو نفسه أصبح بدون وظيفة يكسب
منها قوته . وتمنت لو أن الامر كله قد نسف من أساسه فى هذا الوقت
بحيث تحصل هى ولورين على الشقة وتعيشا سويا فقد كانتا ثنائى
لطيف مع بعضهما البعض . اذ كانتا تعيشان فى مرح هادى وجميل .
ولقد كانت هناك سلسلة كاملة من الارتباطات فى شيكاغو ووفرت
بعض النقود من العمل فى بيوت اللهو وكانت تستقل الاتوبيسات عند
عودتها الى لوس أنجلوس توفيراً فى النفقات وكانت تريد أن تعيش فى
هدوء لبعض الوقت . وهى منذ فترة طويلة لم تصلها أخبار عن لورين
لان الخطاب الاخير جاء فيه أن رجل الاعلانات هذا كان يقرأ خطاباتها
وأن عليها ألا ترسل خطابات لها .

وكان آخر المسافرين يمرون من الابواب ويدخلون الى الاتوبيس .
ووضع لوى ساقا على ساق . وكان متهيبا وخجولا بعض الشيء من
هذه الفتاة وقال لها « أظنك ذاهبة الى لوس أنجلوس . هل تعيشين
هناك ؟ »

« بعض الوقت » .
« اننى أحاول استكشاف الناس وفهم اتجاهاتهم » فانا بحكم مهنتى أشاهد عددا كبيرا من الناس » .
وتنفس موتور الاتوبيس تنفسا هادئا وكانت المرأة العجوز تحملق فى لوى . وكان باستطاعته رؤيتها فى المرأة . ربما سترسل خطابا للشركة .

وقال لنفسه « حسنا » فلتذهب الشركة للجحيم » اذ كان باستطاعته دائما أن يحصل على وظيفة . والشركة على أية حال لا تهتم بخطابات النساء المسنات كثيرا . وحملق فى الجزء الاخير من الاتوبيس وبدأ الامر كأن الرجلين الهنديين قد وضعا أيديهما فى حالة سكون تام أما الرجل الصينى فقد فتح مجلتى : التايم والنيوزويك فى حجره وراح يقارن المقالات الاخبارية فى كل منهما . وكان رأسه يتأرجح من مجلة لآخرى وكانت هناك تبجيدات فوق المساحة التى تعلو أنفه فيما بين حاجبيه مما يدل على الحيرة والارتباك . ولوح العامل الذى يعطى اشارة البدء فى المسير للوى ايذانا بالمسير .

وحرك لوى العتلة فأغلقت الباب ونقل ترس التعشيق الى التشغيل المعكوس وزحف خارجا من المزلقان المصنوع من الخرسانة ثم تحرك فى خفة وعلى اتساع حتى أن الاكصدام الامامى تفادى الحائط الشمالية بجزء من البوصة ، وتحرك على اتساع مرة أخرى بالتشغيل المنخفض وتفادى الجانب الآخر من الزقاق بجزء من البوصة . وتوقف عند التقاء الزقاق بالشارع وتأكد من أن الشارع خال أمامه . ثم دار بالاتوبيس فانتقل الى الجانب الآخر من الشارع . لقد كان لوى سائقا ممتازا وله سجل حافل . وتقدم الاتوبيس فى الشارع الرئيسى لسان سيسيدرو ووصل الى ضواحي المدينة ومنها الى الطريق الرئيسى الخالى أمامه .

وكانت السماء والشمس مغسولتين ونظيفتين . وكانت الالوان ناصعة بشدة . وكانت الحفر مليئة بالمياه الجارية . وفى بعض الاماكن التى توجد بها حفر مسدودة كانت المياه تمتد فوق الطريق الرئيسى . وكان الاتوبيس يضرب المياه فى حفيف هائل حتى أن لوى كان يشعر بالشد والجذب فى عجالات الاتوبيس . وكان العشب متموجا فى تداخل كالحصيرة بسبب قوة الامطار ولكن دفء الشمس بدأ يعيد

القوة الى العشب الخصيب حيث أخذ يرتفع بهامته من جديد على الاماكن المرتفعة .

وحملق لوى فى مرآة الاتوبيس الداخلية نحو الفتاة مرة أخرى . وكانت هى تنظر الى مؤخرة رأسه . ولكن شيئاً ما جعلها تنظر لاعلى فى المرآة ثم تنظر مباشرة فى عينى لوى فانطبعت العينان ذات الخطوط السوداء والانف الجميل المستقيم والفم الذى يبدو مستديراً بسبب وضع الروج بأسلوب معين انطبع كل ذلك كالصورة الفوتوغرافية فى ذهن لوى بشكل دائم . وعندما نظرت فى عينيه ابتسمت كما لو أنها شعرت بأنها على ما يرام .

وأدرك لوى أن الانسداد بدأ يزحف الى حلقه ، وأن ضغوطاً أخذت تتصاعد فى صدره فاعتقد أنه فى حالة من الحب والغرام الشديد . وهو كان يعرف عن نفسه أنه خجول ولكنه فى معظم الاحيان كان يقنع نفسه بأنه ليس خجولاً . وكان يمر بجميع الاعراض الموجودة لدى شاب فى السادسة عشرة من عمره . وانتقلت عيناه من الطريق الى المرأة ومن المرأة الى الطريق وهكذا . وأدرك ان حدوده حمراء فقال لنفسه : « ما هذا بحق السماء ؟ هل سأشعر بالخجل والارتباك أمام عاهرة ؟ » ونظر اليها فى مزيد من الدقة لعله يجد شيئاً ينقذ به نفسه ، وعندئذ شاهد آثاراً عميقة ناجمة عن استخدام الملقط على طول فكيها ، فادى ذلك الى شعوره بشئ من الارتياح لأنها اذا أدركت أنه شاهد آثار الملقط ستكون أقل جسارة أقل ثقة بنفسها . اثنان وأربعون ميلاً . ودخلت الارقام الى رأسه . انها ستنزل عند الميل ٤٢ وكان عليه أن يستغل الوقت القصير المتبقى . عليه ألا يضيع دقيقة واحدة اذا أراد التوافق مع هذه الانسانة الصغيرة الشرسة ذات الطابع العلى . وعندما حاول التكلم جاء صوته مبجوحاً .

فانحنى خلفه مباشرة وقالت « لم أسمع ما تقول » فكح لوى وقال « كنت أقول أن منظر الأرض يبدو جميلاً بعد المطر » .

« نعم . انها تبدو جميلة » .

وحاول أن يعود الى الطريقة التى يستخدمها عادة فى اصطیاد الفتيات . ولاحظ فى المرأة أنها مازالت منعنية للامام لتصفى له . فقال « سبق أن قلت فانتى أحاول أن استكشف الناس . مع فهم اتجاهاتهم . ويمكننى القول أنك ظهرت فى الافلام السينمائية أو على المسرح » .

فقلت الفتاة « لا • أنت مخطيء في استنتاجك »
« ألسنت مشتركة في عروض جماهيرية ؟ »

« لا »

« حسنا • هل لك عمل معين ؟ »

فضحكت • وكان وجهها جذابا للغاية عندما ضحكت • ولكن لسوى
لاحظ أن احدى أسنانها العليا الامامية ملتوية • اذ كانت تلك السنة
مستندة على السنة المجاورة لها ومتداخلة معها • وتوقف ضحكها
فغطت شفتها العليا السنة • فقال لوى لنفسه « انها مدركة لهذا
العييب »

وسبقته في أفكاره • حيث عرفت مقدما ما سيقوله • وقد حدث لها
ذلك مرات عديدة من قبل • فهو سيحاول معرفة عنوان مسكنها ورقم
تليفونها • وكانت هذه مسألة سهلة • فهي لم تقطن في أى مكان •
وكانت قد استبقت حقيبة كبيرة مع لورين بها بعض الكتب : الكابتن
النافخ في الصور - حياة يتهوفن - وبعض القصص القصيرة من تأليف
سارويان ، بالإضافة الى بعض ثياب السهرة القديمة لكي تستبدل بأخرى
جديدة • وأدركت ان لوى بدأ يواجه المتاعب فهي كانت تعرف جيدا
ذلك الاحمرار الذى يعلو ياقة قميص الرجل وكانت تعرف سسماجة
الحديث المفتعل • وشاهدت لوى وهو يحملق فى قلق فى المرأة الى
مؤخرة الاتوبيس •

كان الهنديان يبتسمان قليلا لبعضهما البعض • وكان الرجل
الصينى يحملق لاعلى فى الهواء محاولا معرفة بعض أوجه التباين فى
القصص والموضوعات التى كان يقرأها • وكان هناك رجل يونانى فى
المقعد الخلفى يقطع سيجارا ايطاليا الى نصفين بواسطة منطواة جيب •
وكانت المرأة العجوز تؤجج ثورة الغضب فى صدرها ضد لوى حيث
وجهت نظرة حديدية قاسية الى مؤخرة رأسه وارتعش ذقنها بفعل ثورة
الغضب وابيضت شفتاها بسبب التوتر الناجم عن الضغط عليها •
وانحنى الفتاة مرة أخرى للامام وقالت « سأوفر عليك الوقت •
اننى أعمل ممرضة أسنان • ولذلك فأنا أفعل كل تلك الامور فى عيادة
الاسنان » • وهى غالبا ما كانت تستخدم هذه العبارة ولم تعرف السبب
فى ذلك • ربما لانها توقفت التفكير فى الجوانب المختلفة لهذا الموضوع
حيث لا تكون هناك أسئلة أخرى عقب قولها تلك العبارة • فالناس لم
تكن لديهم الرغبة فى التحدث كثيرا عن طب الاسنان •

وتقبل لوى هذا القول • ووصل الاتوبيس الى مزلقان للسكة الحديد • فدفع لوى بطريقة آلية فرملة الهواء فى أتوبيسه فتوقف عن المسير • وما أن رفع يده عن الفرملة حتى أحدثت صغيرا وأزيزا فقام بالتعشيق وانطلق بسرعه المعهودة مرة أخرى • وأدرك أن الامور تطبق عليه • فهذه الكلبة العجوزة كانت على وشك اثاره المتاعب فى أية لحظة • وهو لن يحصل على ٤٢ ميلا بالمرة • فما أن تدخل هذه الكلبة العجوزة حتى ينتهى الامر • وأراد الاستفادة من الوقت بقدر المستطاع ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لتطبيق الاساليب التى يستخدمها • فلا ينبغي استخدام فنونه لمجرد الفوز بأعجابها على مدى نصف ساعة ثمينة • ولكن هذه الكلبة العجوز كانت تضطره لأن يفصح عن نواياه للفتاة قبل أن يقوم بالتمهيد اللازم لذلك •

فقال للفتاة « اننى أحيانا أذهب الى لوس أنجلوس • أهنالك مكان ما يمكننى أن أقابلك فيه وربما يكون باستطاعتنا تناول طعام العشاء والذهاب الى عرض ترفيهى سويا ؟ »

فشعرت بارتياح لقوله • اذ لم يبد عليها أى قدر من الوقاحة أو السفالة • وردت قائلة « لست أدري • فانا فى الحقيقة لا أسكن حاليا فى أى مكان • وأريد الحصول على شقة بأسرع ما يمكن • »
فقال لوى « ولكنك تعملين فى مكان ما • ولربما أستطيع الاتصال بك هناك »

وكانت المرأة العجوز تتنفس وترتعد وتتلوى فى مقعدها • كانت غاضبة لان لوى ركلها من المقعد الامامى • وقالت الفتاة « حسنا • لا • أنظر • اننى لم أحصل على عمل ولكنى بالطبع سأحصل على عمل على وجه السرعة لان من يعمل فى نفس مهنتى يحصل على عمل بسرعة • »
فسألها لوى « أليس فى قولك هذا نوع من التملص ؟ »
« لا »

« حسنا • ربما تستطيعين الكتابة الى عندما يستقر بك الحال • ربما »
« لائنى أحب أن أعرف فتاة أرتاد معها الاماكن العامة فى لوس أنجلوس • »

وهنا جاء الصوت مجلجلا وحادا كعجر المسن « يوجد قانون فى هذه الولاية بشأن التحدث مع المسافرين • عليك بمراقبة الطريق • ثم وجهت المرأة العجوز الحديث الى جميع الركاب قائلة « ان هذا السائق

يعرض حياتنا جميعا للخطر • وسأطلب النزول من الاتوبيس اذا لم يركز انتباهه على قيادته للاتوبيس •

فتوقف لوى عن الحديث تماما • فهذا الكلام الذى قالته المرأة العجوز كان خطيرا • كان باستطاعتها فعلا أن تخلق المتاعب • ونظر فى المرأة وعثر على عيني الفتاة فقال وهو يحرك شفثيه فقط « الكلبة العجوز الذابلة الملعونة » •

فابتسمت الفتاة ووضعت أصابعها على شفثيها • وهى من ناحية قد استراحت ومن ناحية أخرى شعرت بالأسف وأدركت أنها ربما تتعرض للمتاعب مع لوى ان عاجلا أو آجلا • ولكنها أدركت أيضا من نواح عديدة كان شخصا لطيفا يمكنها أن تتعامل معه الى حد معين • وأدركت من الأحمرار والخجل اللذين يعلواه أنه باستطاعتها إيقافه عند حذره بمجرد ان تقوم بجرح مشاعره •

ولكن المسألة انتهت • وأدرك لوى ذلك • فالفتاة لم تكن على استعداد لايقاع نفسها فى ورطة • ولقد كان عليه الاستفادة بالوقت أثناء سير الاتوبيس لأنه بمجرد أن يصل الاتوبيس الى محطة من المحطات حتى يرغب المسافرون فى الخروج بأسرع ما يمكن • وهو آتئذ قد خسر الجولة • وفى الريبيل كورنرز سيتوقف لفترة تسمح فقط بنزول هذه الفتاة وانزال سلة الفطائر الملعونة • وانحنى فوق عجلة القيادة • أما الفتاة فقد طوت يديها فى حجرها ولم تعد عيناها تنظران لاعلى لتتلاقى مع عينيها فى المرأة • كان هناك الكثير من الفتيات الاكثر جمالا من هذه الفتاة • فتلك الندبات الغائرة الناجمة عن استخدام الملقط كانت قبيحة للغاية • وهى من شأنها أن تجعل الشخص الذى يراها يرتعد خوفا • ولذلك كان من الطبيعى أن تصفف شعرها بحيث يكون طويلا من الامام لكى تغطى هذه الندبات • ولم يكن باستطاعة هذه الفتاة أن تصفف شعرها لاعلى وكان لوى يحب الشعر المصفف لاعلى • وبحق السيد المسيح فلنفرض أنه استيقظ فى السرير ورأى تلك الندبات الغائرة ! ان العالم مليء بأعداد كبيرة من الخزيرات مما يتيح الفرصة للوى لان يدبر أموره بنجاح ولكن كانت توجد أثقال من الهم والحزن فى صدره وفى معدته • وحاول التغلب على تلك الاثقال والتخلص منها تدريجيا ولكنها كانت راسخة فقد رغب فى هذه الفتاة أكثر من أى فتاة أخرى سبق له أن عرفها • وشعر بأحسيس الضياع الجافة البغيضة الى النفس لأنه لم يتمكن من معرفة اسمها ولم يعد هناك أمل فى التوصل الى أى

نجاح معها • واستطاع أن يرى عيني ادجار المتلهفتين وهو يستجوبه عقب عودته الى سان يسيدرو • وساءل نفسه عم اذا كان ينبغي عليه ان يكذب على ادجار •

وغنت الاطارات العظيمة الضخمة على الطريق أغنية عالية مولولة واختلج الموتور بضربات ثقيلة • وكانت توجد مساحات من السحب الضخمة المشبعة بالمياه ملقاة في السماء سوداء كالهباب في الوسط وببيضاء لامعة عند الاطراف • وكانت احداها تزحف آتشد لأعلى فوق الشمس • وكان باستطاعة لوى أن يشهد ظلها أمامه على الطريق الرئيسي مندفعاً في اتجاه الاتوبيس • والى الامام بعيداً على الطريق الرئيسي استطاع أن يرى الربوة الخضراء الشاهقة من أشجار البلوط التي نمت بالقرب من صالة الطعام في الريبيل كورنرز فتملكته مشاعر خيبة الامل • وجاء جوان شيكوى الى جانب الاتوبيس عندما كبح جماعه • وعندما فتح الباب تساءل « ماذا أحضرت لي ؟ » فقال لوى « مسافرة واحدة وعددا كبيرا من الفطائر » ونهض عن مقعده وتحسس فيما حوله ثم رفع حقيبة سفر الفتاة ، وتشعبط هابطاً الى الارض ثم رفع يديه ووضعت الفتاة يدها على ذراعيه وهبطت الدرج • وسارا سويا نحو صالة الطعام • وقالت « مع السلامة »

فقال لوى « مع السلامة » ووقف ينظر اليها وهي تدخل الى صالة الطعام •

وكانت المرأة العجوز قد تحركت الى المقعد الامامى • وحرك لوى العتلة فأغلق الباب • ونقل الاتوبيس الى السرعة الاعلى وانطلق بعيداً • وعندما أخذ الاتوبيس سرعته المناسبة وصارت الاطارات تدوى في رنين على الطريق الرئيسي نظر في المرأة • لقد أظهرت المرأة العجوز تعبيرات النصر الوضيع على وجهها •

فقال لوى لنفسه « لقد أضعت على الفرصة • لقد قمت باغتتيال الفرصة وقتلها » •

فنظرت المرأة العجوز لأعلى والتقت عينها بعينه في المرأة • فقال لوى كلمات صامتة بشفتيه في شيء من التعمد : « أيتها الكلبة الملعونة العجوز !! » وعندئذ رأى شفتيها تتوتران وتتخذان لونا أبيض • فقد أدركت ما كان يعنيه •

وغنى الطريق الرئيسي على طول المسافة أمام الاتوبيس •

الفصل الثامن

وحمل جوان وبيميلز سلة فطائر « الأم ماهوني المعدة بالمنزل » الى مكان بالقرب من صالة الطعام ووضعها على الارض . وراقب كلاهما الفتاة الشقراء وهى تدخل من الباب . فأطلق بيميلز صغيرا يشنّبه خريز الماء المنخفض . وتصببت راحتا يديه فجأة بالعرق . وضاعت عينا جوان الى أن سطع بريق ضئيل فقط بين رموش عينية ، ولحق شفتيه فى سرعة وعصبية .

وقال جوان « أعرف ماذا تعنى . أتريد أن تمضى بعض الوقت فى الخارج وترفع ساقك فوق شجرة ؟ »

فقال بيميلز فى دهشة « يا الهى » .

وقال جوان « نعم » وانحنى الى الامام وأدار المزلاج على السلة ورفع الجانب الذى يتحرك على مفاصل وقال « سأتراهن معك رهانا بسيطا يا كيت »

« ما هو ؟ »

فقال جوان « أراهن . أراهن اثنين لواحد أنك قد وضعت فى ذهنك أنك لم تحصل على يوم أجازة منذ أسبوعين وأنت ترغب فى أن تحصل اليوم على أجازة وتسافر الى سان جوان معى . وربما نستفيد من ذلك اذا تعطل الاتوبيس مرة أخرى » .

فشعر بيميلز بالخجل وظهر الاحمرار من حول البشور والطفح الجلدى . ورفع عينيه فى قلق ونظر الى جوان . وكان يوجد قدر كبير من البشاشة بدون سُموم فى عيني جوان حتى أن بيميلز شعر بالتحسن . وفكر « يا الهى . انه لرجل عظيم . فلماذا أقدم على لاي انسان آخر فى أى وقت ؟ »

ثم قال بيميلز بصوت مرتفع « حسنا » وشعر أنه يتحدث كرجل الى رجل . وكان جوان يفهم الطريقة التى ينظر بها الشباب الى الامور . فعندما كانت تمر فتاة ناعمة مثل « كعكة الغريبة » كان جوان يعرف المشاعر التى يحس بها أى شاب .

وقال بيميلز مرة أخرى « حسنا » .

ورد عليه جوان متمتما « حسنا . ولكن من الذى سيشرف على مضخات البنزين ويركب اطارات السيارات ؟ » .

فتساءل بيميلز « ومن الذى كان يفعل ذلك من قبل ؟ »

فقال جوان « لا أحد . فقد اعتدنا على مجرد وضع لافتة على الجراج مكتوب عليها (مغلق للإصلاحات) . وآليس يمكنها أن تضخ البنزين ، ثم طرق على كتف بيميلز فى غير مبالاة .

وقال بيميلز فى نفسه « ياله من رجل . ياله من رجل !! » وكانت الفطائر ممسوكة بواسطة فتحات صغيرة تشبه الصينية بحيث كانت تمسك أطراف الأقسام وتجعل كل فطيرة منفصلة عن باقى الفطائر الأخرى . كان يوجد بها أربعة طوابق ويضم كل طابق ١٢ فطيرة - أى أن مجموع ما فى السلة ٤٨ فطيرة .

وقال جوان « فلنأخذ ٦ فطائر توت ، ٤ كريم بالليمون ، ٤ زبيب العنب ، ٢ كريم كاستارد بالكزامللا » واستخرج الفطائر أثناء تكلمه ووضعها على قمة السلة وقال « خذها الى الداخل يا بيميلز - أقصد يا كيت » .

وأخذ بيميلز فطيرة فى كل يد ودخل الى صالة الطعام . وكانت الشقراء جالسة على كرسي بدون مسند تحتسى فنجانا من القهوة . ولم يستطع أن يرى وجهها ولكنه أحس بالكهرباء أو شيء من هذا القبيل تسرى فى كيائها . ووضع الفطائر على الكاونتر .

وعندما استدار خارجا للمرة الثانية أحس بالصمت مهيما على صالة الطعام .

كان كل من المستر برتشارد والرجل العجوز المشاغب المتشائم والرجل الشاب هورتون فى حالة افتتان . ارتفعت عيونهم وفاضت على الشقراء ثم هبطت حدة نظراتهم . أما الانسة برتشارد وأمها فكانتا تسددان النظرات الى أكوام « نخالة الردة » الموجودة خلف الكاونتر . ولم تكن آليس هناك خلف الكاونتر ولكن نورما كانت هناك أمام الشقراء حيث كانت تمسح الكاونتر بخرقتها .

وتساءلت نورما « أتخمين أن تأخذى قوقعة من الحلوى ؟ » فتوقف بيميلز عن السير لكى يتمكن من سماع صوت الشقراء .

فقالت الشقراء « نعم . أعتقد ذلك » . وما أن سمع بيميلز صوتها الجميل المبحوح حتى تقلصت معدته وتشنجت لا اراديا .

وقال جوان « حرك نفسك وأسرع . ففى استطاعتك أن تنظر اليها

طوال الطريق الى سان جوان اللهم الا اذا كنت ستفضل أن تقود
الاتوبيس ،

ودفع بيميلز بالفطائر الى الداخل . ست عشرة فطيرة فقط في
الخارج . معنى ذلك أنه ترك اثنتين وثلاثين . وأغلق جوان جانب
السلة وأدار المزلاج . وعندما خرج بيميلز للمرة الاخيرة قام بمساعدة
جوان في وضع سلة الفطائر في الحقيبة السوداء الكبيرة الخاصة
بالاتوبيس « سويت هارت » . وكان الاتوبيس جاهزا في تلك
الآونة . كان مستعدا للانطلاق والمسير . ووقف جوان الى الخلف
وألقى نظرة عليه . صحيح أنه ليس من نوع الجريهاوند ولكنه لم يكن
رديئا . وحول نوافذه كان يوجد قدر ضئيل من الضدأ ظاهرا من خلال
طلاء المونيوم . سيكون عليه أن يعالج هذا الضدأ . ويمكن لاغطية
محاوِر العجل أن تتخذ طلاء جديدا أيضا .

وقال لبيميلز « فلنستعد للمسير . أغلق أبواب الجراج بالقفل .
وبين المقاعد أسفل توصيلات خرطوم الردياتير ستجد اللافتة التي
تضعها على الباب . وعليك بالقفز السريع الآن اذا كنت تريد استبدال
ملايسك » .

فقفز بيميلز نحو باب الجراج . واستقام جوان في وقفته ونشر
ذراعيه بعيدا عن جانبيه ثم تحرك نحو صالة الطعام .

وكانت ساق المستر برتشارد اليمنى موضوعة على ساقه اليسرى
بشكل متقاطع وأحدثت مقدمة حذائه المغلقة حركات تشنجية . فهو قد
أمعن النظر في وجه الشقراء عندما دخلت الى صالة الطعام ودبت فيه
متعة مثيرة . ولكنه كان حائرا . فقد خيل اليه أنه قد شاهد هذه الفتاة
من قبل في مكان ما . من المحتمل أن تكون قد عملت في أحد مصانعه
كسكرتيرة وربما في مكتب أحد أصدقائه . ولكنه قد رآها من قبل
وشعر أنه قد رآها بكل تأكيد . وكان يعتقد أنه لا ينسى أبدا وجهها من
الوجوه بينما كانت الحقيقة أنه نادرا ما كان يتذكر وجهها من الوجوه .
فهو لم يكن ينظر نظرة فاحصة الى أي وجه اللهم الا اذا كان قد وضع
خطة للدخول في عمل تجارى مع صاحب ذلك الوجه . وتعجب من
الشعور بالذنب الذي هبط عليه نتيجة لتذكره لهذه الفتاة . وسأل
نفسه في تعجب : ترى أين شاهد هذه الفتاة من قبل ؟

وكانت زوجته تنظر خفية الى قدمه التي تتحرك في اهتزاز وكان
اراسه هورتون يحمل بكل صراحة في ساقى الفتاة وشعرت نورما

بالارتياح نحو الفتاة . وكانت نورما تشبه لورين من زاوية واجدة .
فهي لم تكن تحب سوى شخص واحد فقط ولذلك لم يكن لديها أي
شيء يمكن تفقده . وهذه الفتاة كانت لطيفة ومهذبة وكان حديثها شيقا
وعلى نحو يدخل السرور الى القلب . وهذه الفتاة قد شعرت هي الاخرى
بالارتياح نحو نورما لانها من النوع الذي يمكن أن يحوز اعجابها .
وقبل ان يصل أتوبيس الجريهاوند مباشرة قالت آليس لنورما
« راقبي الكاونتر . ممكن ؟ سأعود حالا » ثم انشغلت أفكار نورما مع
الاتوبيس والشقراء واحضار القهوة . الا أن فكرة هبطت عليها فجأة
مما جعلها تشعر بالغثيان في داخلها . فقد عرفت ما كان يحدث كما لو
كانت تراه . وما أن عرفت حتى قفزت الى رأسها حسابات عديدة تتعلق
بغضبها المريض . رزمة النقود الضئيلة في شكل أوراق بنكنوت
صغيرة . يمكنها استخدام تلك النقود لحين الحصول على وظيفة . ولماذا
لا تذهب من الآن طالما أنها ستذهب في وقت وظيفة . ولماذا لا تذهب
من الآن طالما أنها ستذهب في وقت ما ؟ وفتحت الدواليب تحت الارفف
الموجودة خلف الكاونتر ودفعت بالفطائر الى داخلها . دفعت بها جميعا
باستثناء واحدة من كل نوع . واحدة توت . وواحدة زبيب العنب .
واحدة كريم الليمون وواحدة كريم الكاستارد بالكاراميل ووضعتها في
صف على الكاونتر . وتسببت الرائحة المنبعثة من هذه الفطائر في
شعورها بمزيد من الغثيان . وكانت لا تزال لا تعرف تماما ماذا تفعل .
وجاء جوان عبر الباب الامامي ووقف ينظر الى مؤخرة رأس
الشقراء .

فقالت نورما « أيمكنك أن تراقب الكاونتر لمدة دقيقة يا مستر
شيكوي ؟ »

فتساءل جوان « أين آليس ؟ »

فقالت نورما « لا أدري » ولكنها كان باستطاعتها أن ترى آليس في
ذهنها . لم تكن عينا آليس على ما يرام تماما . وقد تأخذ الخطاب الى
النافذة وترفعه في اتجاه الضوء . وهي لم تكن في الحقيقة شاعرة
بالتسلية . فقد كان نوعا من حب الاستطلاع الفجائي المبهم . وهي قد
تميل بعض الشيء نحو الضوء وقد يسقط شعرها في عينيها مما يجعلها
تزيحه عنها وقد تخربش أصابعها في الصفحات . وارتجفت نورما . اذ
رأت نفسها تندفع في عنف الى داخل الغرفة ورأت نفسها وهي تختطف
الخطاب والتوت أصابعها وشعرت ببشرة آليس تحت أظافرها وشعرت

بأظافرها تضرب وتخدش مستهدفة عيني آليس . . . تلك العينين
الرهيبتين المبللتين المليئتين بالعصارات . وقد تسقط آليس على ظهرها
فتهجم نورما على تلك البطن الهائلة الطرية بركبتيها وتنزل خدشا
وتمزيقا في وجه آليس وتسيل الدماء من الخدوش .
وقال جوان الذي كان ينظر الى نورما « ماذا دهاك ؟ هل أنت
مريضة ؟ »

ف قالت نورما « نعم » .

« اذهبي قبل أن تصابي بالغثيان هنا » .

فسارت نورما بحداء الكاونتر وفتحت باب غرفة النوم برفق .
وكان باب غرفتها الخاصة بها مفتوحا فتحة بسيطة للغاية فأغلقت باب
صالة الطعام وتحركت في صمت نحو باب غرفتها . وكانت نورما آنثذ
تشعر بالبرودة والقشعريرة . كانت باردة كالثلج . وبدون أن تحدث
صوتا دفعت بابها وهناك كانت - آليس عند النافذة وقد أمسكت
بالخطاب المرسل الى كلارك جيبيل ورفعته لاعلى أمام عينيها تاركة شعرها
يتهدل على الجانبين .

وأزاحت آليس شعرها ورفعت عينيها ورأت نورما واقفة عند
المدخل . كان وجهها مليئا بالشغف الشديد وكان فمها مفتوحا . ولم
تستطع أن تغير من تعبيرات وجهها . وتقدمت حتى أن الغضون انحسرت
عن فمها . ومدت آليس يدها بالخطاب نحو نورما في غباء . فأخذته
نورما وطوته في عناية ووضعته في الصديري الخاص بها . ثم ذهبت
نورما الى صوان الملابس الخاص بها . وسحبت من تحته حقيبة
سفرها . وفتحت الدبوس من الجانب الداخلي لردائها وأخرجت المفتاح
من الدبوس وفتحت به القفل الخاص بحقيبة سفرها وبدأت تعبئ
الحقيبة في ثاقل وأفرغت محتويات صوان الملابس في الحقيبة وضغطت
كومة الملابس الى أسفل بجماع يدها واستخرجت من غرفتها فساتينها
الثلاثة ومعطفها الذي له ياقة من فراء الارنب ووضعت المعطف على
السرير ولفت الفساتين حول المشاجب ووضعته أيضا في الحقيبة .

ولم تستطع آليس أن تتحرك . أخذت ترقب نورما ورأسها يدور
من اتجاه لآخر وهي تتابع تحركات الفتاة . وفي ذهن نورما كانت
توجد صرخة انتصار صامتة . لقد كانت في القمة بعد حياة عانت فيها
من الاندحار . أصبحت في القمة وكانت صامتة . وشعرت بالارتياح
لذلك . ولا كلمة واحدة قالتها ولا كلمة واحدة يمكن أن تقولها . وألقت

بزوجين من الاحذية فى الحقيبة وأنزلت الغطاء فى احكام الى اسفل وأغلقتها بالقفل .

وتساءلت آليس « هل ستذهبين الآن على الفور ؟ » فلم ترد نورما عليها . اذ لم ترغب فى أن تقطع لذة الانتصار . لا شيء يمكن أن يجبرها على ذلك .

فقالت آليس « اننى لم أقصد القيام بأى شيء خاطيء » فلم تنظر نورما لاعلى نحوها . فقالت آليس فى قلق : « يحسن بك ألا تخبرى أحدا والا سأنتقم منك » فظلت نورما على موقفها من عدم الكلام . ثم ذهبت الى السرير وأخذت معطفها الاسود الذى له ياقة أرنب ثم التقطت حقيبتها وسارت خارجة من الغرفة . وكانت أنفاسها تحدث صفيرا فى أنفها . وذهبت خلف الكاونتر ودفعت الزر المكتوب عليه « ليس للبيع » فى ماكينة تسجيل النقدية وأخذت منها عشرة دولارات عبارة عن ورقة من فئة الخمسة دولارات وأربعة من فئة الدولار وورقة من فئة النصف دولار وورقتين من فئة الربع دولار ودفعت بالنقود الى الجيب الجانبى لمعطفها الاسود . وكان فيها الضعيف صارما وصلبا ومجعدا . فقال جوان « ماذا تفعلين هنا ؟ »

فقالت نورما « اننى ذاهبة الى سان جوان معك »

فقال جوان « ينبغي أن تساعدى آليس . فهى لا تستطيع البقاء هنا وحدها »

فقالت نورما « لقد تركت العمل » ولاحظت أن الشقراء كانت ترقبها لدى مجيئها عند حافة الكاونتر . وخرجت نورما من الباب المزود بالشاشات لمنع الذباب . وحملت حقيبتها الى الاتوبيس وصعدت الى داخله واتخذت لنفسها مقعدا عند المؤخرة . وأوقفت حقيبتها على طرفها الى جوارها . وجلست منتصبة القامة تماما .

وكان جوان يرقبها وهى تخرج من الباب . فهز كتفيه وتساءل دون أن ينتظر الاجابة من أحد « ما هذا الذى حدث ؟ » وكان ارنست هورتون متجهما . وشعر بالكراهية نحو آليس شيكوى وقال « متى سنرحل على ما تظن ؟ »

فقال جوان « فى العاشرة والنصف . والساعة الآن العاشرة وعشر وقائق » . ونظر الى آل برتشسارد وقال : « اسمعوا . اننى ذاهب لاستبدال ملابسى . فاذا أردتم قهوة أو أى شيء آخر يمكنكم الدخول الى هنا والحصول على ما تريدون » .

ودخل نجوان الى غرفة النسوم . وفك أربطة الكتف فى الافرول الخاص به وترك البنطلون يسقط لاسفل حول حذائه . كان مرتديا « شورتا » مخططا بخطوط زرقاء ضيقة وخلع قميصه الازرق القطنى المخطط من فوق رأسه وركل الخف فخلع من قدميه وخطا خارجا من الافرول تاركا الحذاء والجورب والافرول فى كومة على الارض . كان جسده جافا وذا لون بنى . وهو قد اكتسب اللون البنى بالوراثة وليس بفعل الشمس . وتحرك نحو الحمام وطرق على الباب . فغسلت آليس التواليت بالماء وفتحت الباب . لقد كانت تقوم بغسل وجهها للمرة الثانية وكانت خصلة مبللة من شعرها ملتصقة على خدها . وكان فمها مرتخيا وكانت عيناها متورمتين وحمراوتين .

فسألها جوان « ماذا حدث ؟ أنت تواجهين وقتا عصيبا . آليس كذلك ؟ » .

فقالت آليس « اننى أعانى من ألم فى الاسنان . ولا حيلة لى فى ذلك . فقد هبط على ألم فجائى هنا بالضبط » .

فسألها جوان « ما هى حكاية نورما وماذا حدث معها ؟ »

فقالت آليس « دعها تذهب . كنت أعرف أننى سأصطدم بها »

« حسنا . ماذا فعلت ؟ »

فقالت آليس « انها فقط خفيفة اليد بعض الشيء »

« ماذا أخذت ؟ »

« هل تذكر زجاجة البلودجيا تلك التى أعطيتها لى فى عيد الكريسماس ؟ حسنا . لقد اختفت ثم وجدتها فى حقيبتها . ولقد دخلت لحظة عثورى عليها فتملكها الغضب فأخبرتها أن بإمكانها أن ترحل » .

وغمضت عينا جوان . وأدرك أنها تكذب ولكنه لم يهتم كثيرا بمعرفة حقيقة ما حدث . اذ لم يكن يهتم للمرة بما يجرى بين النساء من مشاجرات . ودخل الى الحمام وجذب ستارة الدش حوله .

وقال « منذ الصباح وأنت فى ورطة وارتباك . ماذا حدث لك ؟ »

فقالت آليس « حسنا . انه موعد العادة الشهرية عندى . والى

جانب هذا يوجد ألم الاسنان أيضا »

وأدرك جوان أن الحجة الاولى غير صحيحة ولكنه كان يشك فى زيف الحجة الثانية وقال لها « خذى لنفسك كأسا من الخمر عندما تذهب . فذلك سيفيد فى كلا الحالتين »

واستطرد جوان قائلا « عليك بالاعتناء بكل شيء . لان بيميلز سيذهب
معي اليوم » .

وشعرت آليس بالسرور . فقد كانت تريد أن يقترح عليها ذلك .
وماج صدر آليس بالانفعال والاثارة . انها ستكون وحيدة
وبمفردها . ولكنها لم تكن لتترك جوان يعرف أن ذلك هو ما كانت
تريده . فسألته « ولأى شيء سيذهب بيميلز ؟ »

« انه يريد احضار بعض الاشياء من سان جوان . اسمعى . لماذا
لا يغلق المكان ؟ ويمكنك الذهاب الى طبيب الاسنان فى سان جوان » .
فقالت آليس « لا . انها ليست فكرة حسنة . سأذهب الى سان
يسيدرو غدا أو بعد غد . انها ليست فكرة حسنة أن تغلق صالة
الطعام » .

فقال جوان « وهو كذلك . انها سنتك التى تؤمك » وفتح المياه .
وأطل برأسه من وراء الستارة وقال لها « اذهبي الى هناك واعتنى
بالمسافرين » .

وكان ارنست قد غير مكانه وذهب الى الفتاة الشقراء عندما دخلت
آليس الى صالة الطعام .

فقال ارنست « والآن . فلنأخذ فنجانين من القهوة »
وقال للشقراء « أتفضلين أن تشربى كوكاكولا ؟ »
« لا . أريد قهوة . فالكوكا تجعلنى ممثلة وسمينة »

وحاول ارنست الاستفادة من الوقت . فسألها عن اسمها . فقالت
له الشقراء أن اسمها هو كاميل أو كس . وبالطبع لم يكن ذلك هو
اسمها . وانما كان جميعا سريعا نبع من رؤيتها لاعلان معلق على الحائط
عن فتاة شقراء لها صدر ناهد كالبالون للدعاية عن نوع من الاسطوانات
تسمى Camel تستخدم فى رفع حطام السفن الفارقة ، ومن
رؤيتها لشجرة بلوط تمكنت من مشاهدتها من خلال النافذة .
ولكنها من الآن فصاعدا أصبحت تسمى كاميل أو كس خلال هذه الرحلة
على الأقل .

فقال ارنست « لقد سمعت هذا الاسم منذ فترة قصيرة فى مكان
ما » ثم دفع بوعاء السكر فى أدب اليها .

وكانت قدم المستر برتشارد تهتز اهتزازات قصيرة . وكانت المدام
برتشارد ترقب الموقف . فأدركت أن المستر برتشارد أخذ يفعل ازاء
شيء ما . ولكنها لم تدرك السبب فى ذلك . فهى لم تكن لديها خبرات

فى هذا النوع من الامور • ولم تكن صديقاتها من النساء من النوع الذى يجعل قدم المستر برتشارد تهتز وتتأرجح • وهى لم تكن تعرف شيئا عن حياته خارج نطاق تحركاتها الاجتماعية الخاصة بها •

وانزل المستر برتشارد ساقه من فوق الاخرى • ونهض واقفا وذهب الى الكاونتر • وقال مخاطبا ارنست « لقد خطر على ذهنك المحاكمة الخاصة باغتتيال الاوكس » ثم ضحك وأردف قائلا « وانى متأكد أن هذه الفتاة الشابة لم يقتلها أحد ولم تقم هى باغتتيال أحد » • وقال لآليس بطريقة مهذبة وجذابة للجنس الآخر « أريد قدرا يسيرا آخر من القهوة » •

وجذبت ابنته عينها اليمنى بالعرض لتنظر اليه • اذ كان هناك فى صوته خاصية لم تسمعها أبدا من قبل • كان فى صوته قدر من الابهة والعظمة حيث كان يوسع حرف « A » أثناء كلامه ويضفى على حديثه رسميات غير طبيعية وصدمت ابنته بسبب ذلك وحملت فى الشقراء فأدركت فجأة كنه ما يجرى • اذ كان المستر برتشارد متفاعلا ومتجاوبا مع كاميل أوكس • كان يستخدم حيله وفنونه لكى يظفر باعجاب الفتاة • وكان يستخدم حيله وفنونه بطريقة لها طابع الابوة ولم تحب ابنته ذلك •

وقال المستر برتشارد « لدى احساس اننى قد قابلتك من قبل • فهل حدث ذلك يا ترى ؟ » •

وفسرت ميلدريد السؤال فى رأسها على النحو التالى « ألم أشاهدك فى مكان ما ؟ » •

ونظرت كاميل الى وجه المستر برتشارد وخفقت عينها على بادج النادى الموجود فوق طية صدر جاكنته وعرفت المكان الذى رآها فيه • فهى عندما كانت تخلع ملابسها وتجلس فى كأس الخمر الكبير تحرص للغاية على عدم النظر فى وجوه الرجال • اذ كانت تخساف من شىء ما موجود فى عيونهم المبللة المنتفخة المتورمة وفى أفواههم الرخوة المترهلة التى تعلوها ابتسامات فاترة • وكان لديها احساس بأنها اذا نظرت مباشرة الى واحد منهم فانه قد يبادر بالهجوم عليها • وكان المتفرجون عليها من وجهة نظرها مجرد نقاط من الوجوه الوردية الحمراء ومئات من الياقات البيضاء وأربطة العنق الانيقة من نوع « البابيون » • اذ كان رواد نادى « توينتى ثرى ثاوزاند كلوب » يرتدون التوكسيديو • فقالت « لا أتذكر » •

فأصر المستر برتشارد قائلا « ألم تذهبي أبدا الى الغرب الاوسط ؟ »
فقالت كاميل « لقد كنت أعمل في شيكاغو »
فتساءل المستر برتشارد « أين ؟ فلدى احساس قوى للغاية بأننى
شاهدتك من قبل »

فقالت كاميل « اننى أعمل ممرضة فى علاج الاسنان »
فلمعت عينا المستر برتشارد خلف نظارته وقال « اسمعى • أراهن
على أنك اشتغلت عند الدكتور هوراس لهولتز ، انه طبيب الاسنان
الخاص بى فى شيكاغو • »

فقالت كاميل « لا • لا • لم أعمل اطلاقا عنده • وكان آخر عمل لى
عند الدكتور ت • س • شسترييلد » وقد حصلت على ذلك الاسم أيضا
من أحد المصقات على الحائط • ولم تكن لبقة فى ذلك الاختيار • وتمنت
ألا يلحظ الاعلان المعلق فوق كتفه مباشرة على الحائط والذي كتب عليه
« أنواع الشمسترفيلد : انها ترضى الجميع • »

فقال المستر برتشارد فى ابتهاج مما آثار اشمئزاز ابنته « حسنا •
سأتذكر ان عاجلا أو آجلا • فأنا لا أنسى أى وجه على الاطلاق • »
ووقع نظر المدام برتشارد على عيني ابنتها ميلدريد ورأت النفور
والبغض على تعبيرات وجهها • ثم رمقت زوجها بنظرة مرة أخرى •
فشاهدته وهو يقوم بتصرفات غريبة وشاذة فقالت « اليوت • • • يمكنك
أن تحضر لى قليلا من القهوة ؟ » •

فبدأ على المستر برتشارد كأنه يهز نفسه ليتخلص من الحالة التى
هو فيها ويعود الى الحقيقة الواقعة • وقال « أوه • نعم • بكل تأكيد »
وعاد صوته الى نبرته الطبيعية • ولكنه أصيب بالانفعال مرة أخرى :
وفتح الباب الذى تعلوه شاشات منع الذباب وأغلق بصوت مرتفع •
ودخل بيميلز كارسون • ولكنه كان متبدل الشكل والهيئة • كان وجهه
مليئا بكمية هائلة من المساحيق فى محاولة لتغطية البثور والدمامل ،
ونجحت هذه المساحيق فى تحويل لون البثور الاحمر الى لون قرمزي
شديد • وكان شعره ممشطا بطريقة جميلة الى الخلف ومثبتا بدهانات
الشعر العطرية • وكان يرتدى قميصا ذا ياقة ضيقة للغاية ورباط عنق
أخضر اللون معقودا عقدة صغيرة • وكانت ياقة القميص مثبتة تحت
العقدة الصغيرة بواسطة دبوس ياقة ذهبى • وبدأ على بيميلز كأنه
يعانى من الاختناق بعض الشيء لان ياقته كانت ضيقة للغاية • وكان
قميصه ورباط عنقه يرتفعان ويهبطان بعض الشيء عندما يبتلع ريقه •

وكانت حلته ذات لون بنى شيكولاته ومن نسيج ملىء بالشعر . وعلى جوانب بنطلونه كانت توجد انطباعات شسناير السرير التى لا يكاد يدركها المرء . وكان يلبس حذاء أبيضاً به لون بنى فى المنطقة التى تعلو مشط القدم . أما جوربه فكان صوفياً ومخططاً باللونين الأحمر والأخضر .

ورفعت آليس نظرها إليه فى دهشة وقالت « حسنا ! أنت تشبه حقيقة المنظر الذى تبدو عليه الآن !! »

فأحس بيميلز بالكراهية نحوها . وجلس على كرسى بدون مسند فى المكان الذى تركه توا المستر برتشارد ليأخذ القهوة ويناولها لزوجته وقال « أرغب فى تناول قطعة من فطيرة التوت الجديدة تلك » وأمعن النظر فى عصبية الى كاميل واختنق صوته بعض الشيء وهو يقول لها « ينبغى أن تتناولى قطعة من تلك الفطيرة يا آنسة » .

فنظرت كاميل إليه ودب الدفء فى عينيها . فعندما يتعرض انسان للتوتر والاضطراب كانت هى تدرك ذلك .

وقالت له فى رقة « لا . شكرا . فقد تناولت طعام الإفطار فى يسيدرو » .

فقال بيميلز فى حماس شديد « انها على حسابى الخاص »
« لا . شكرا . لا أستطيع »

فقالت آليس « انه بإمكانه أن يأكل فطائر وهو واقف على رأسه فى برميل من البيرة المجانية فى عيد أحد السعف »
وطوت فطيرة وتناولت سكينه .

فقال بيميلز « ضاعفى الكمية من فضلك »

فقالت آليس فى قسوة « لا أظن أن عندك الآن أى قدرة على دفع الثمن فأنت قد استنفدت رصيد راتبك عن هذا الاسبوع .

ففزع بيميلز . كم كان يكره آليس !! وكانت آليس ترقب الشقراء . وفهمت الموقف . اذ كان كل رجل فى الصالة يتجه بكل حواسه نحو هذه الفتاة . وشعرت آليس بالتوتر والضيق من ذلك . انها ستعرف كل شيء لدى دخول جوان الى الصالة . وهى منذ لحظة كانت تريد للاتوبيس أن ينطلق فى طريقه حتى تتمكن من احتساء قدر هائل من الخمور ولكنها الآن بدأت تشعر بالضيق والتوتر .

وقال ارنست هورتون « اذا استطعت الوصول الى حقيبة عيinatى

سأريك بعض المعدات والأشياء الشيقة الجذابة • أشياء جديدة وجذابة
للغاية » •

وتساءلت كاميل « منذ متى تركت الجيش ؟ »

فقال ارنست « منذ خمسة شهور »

وتركت عينيها تسقط على طية صدر جاكته التي يوجد عليه
القضيب الأزرق والنجوم البيضاء • ثم قالت « ذلك نادى لطيف • ذلك
هو النادى الحقيقى الكبير • أليس كذلك ؟ »

فقال ارنست « هذا هو ما يقولونه لى • وان كان ذلك لا يشتري لى
الاطعمة والمؤن التي يبيعها البقال » •
وضحكا سويا •

« هل الرئيس الاكبر هو الذى شبكه على جاكته بالدبوس ؟ »

فقال ارنست « نعم » •

وانحنى المستر برتشارد للامام • وضايقه أنه لم يكن يدري ماذا
يحدث •

وقال بيميلز « ينبغي عليك أن تجربى شيئا من فطيرة التوت هذه »
فقالت كاميل « لا أستطيع »

وقالت آليس « انك وجدت ذبابة فى تلك • وسأدعك تأخذ باقى
الفطيرة التي توجد على السطح مباشرة »

فأدركت كاميل أعراض المرض • فهذه المرأة أصبحت على استعداد
لان تناصبها العداء • وحملت كاميل فى قلق نحو المرأتين الاخريين فى
الصالة • وأدركت أن المدام برتشارد ليست من النوع الذى يمكن أن
يسبب لها الضيق أو الضجر • ولكن الموقف كان يختلف بالنسبة
للفتاة الموجودة هناك والتي كانت تحاول أن تنظر بدون الاستعانة
بنظارتها • كانت كاميل تأمل فى ألا تضايقها تلك الفتاة أو تعترض
سبيلها • فتلك الفتاة من النوع الجميل الذى يميل للقسوة • وصرخت
فى عقلها : « أوه • أيها السيد المسيح • ساعدنى فى أن تتخلص لورين
من ذلك الشخص السخيف الغامض لكى نعيش سويا فى الشقة مرة
أخرى » • وكان لديها شعور مخيف بالوحدة والاعياء • وتساءلت فى
نفسها : لو أنها تزوجت المستر برتشارد فكيف تكون الامور ؟ • لقد
كان يشبه بعض الشيء الرجل الذى تخيلته فى ذهنها ليكون زوجها لها •
ولربما لا يكون من الصعب للغاية أن تتزوجه • ومنظر زوجته يدل على
أنه لم يسبب لها متاعب كثيرة •

ولم تكن برنيس برتشسارد على علم بما يدور حولها . وهي لم تشعر بالكراهية تجاه كاميل . كل ما هنالك أنها أدركت في غير وضوح أن شيئاً من التغيير قد ران على الغرفة . ولكنها لم تدرك كنه ذلك الشيء على وجه الدقة . وقالت في انتعاش وابتهاج ومهارة « أظن أنه يحسن بنا أن نضم أمتعتنا الى بعضها البعض » . قالت هذا على الرغم من أن أمتعتهم كانت فعلاً مضمومة لبعضها البعض .

وخرج جوان من غرفة النوم . كان مرتدياً بنطلونا نظيفاً من قماش مثل القطيفة وكان البنطلون متيناً ومضلعاً . وكان يلبس قميصاً نظيفاً أزرق اللون وجاكيت سبور من الجلد للوقاية من الريح . وكان شعره الكثيف ممسطاً الى الخلف وكان وجهه لامعاً بفعل حلاقتة لذقنه . وقال « الكل جاهز ؟ »

وراقبته آليس عندما سار حول نهاية الكاونتر الخاص بالغذاء . انه لم ينظر الى كاميل على الاطلاق . فشعرت آليس بنذير الخطر . اذ كان من عادة جوان أن ينظر الى جميع الفتيات . وطالما لم ينظر الى كاميل فهذا يدل على وجود شيء غير طبيعي . ولم تشعر بالارتياح لذلك . وجاء المستر فان برانت ذلك الرجل العجوز ذو الرقبة المتصلبة الى الصالة من الخارج وظل ممسكاً بالباب المزود بالشاشات فاتحاً اياه فتحة بسيطة وقال « الجو يوحى بمزيد من الامطار » . فقال له جوان في اختصار « انت ستذهب بالجريهاوند التالى المتجه شمالاً »

فقال فان برانت « لقد غيرت رأيى . سأذهب معك . أريد أن أشاهد ذلك الكوبرى . ولكن السماء ستمطر مزيداً من المطر وأنا أخبرك بذلك » .

« ولكنك لم تكن ترغب فى الذهاب على ما أظن »
« من حقى أن أغير رأيى . أليس كذلك ؟ لماذا لا تقوم بالاتصال تليفونيا مرة أخرى للاستفسار عن ذلك الكوبرى ؟ »
« انهم قالوا أنه على مايرام »

فقال فان برانت « لقد كان ذلك منذ بعض الوقت . انك غريب على المنطقة هنا . وأنت لا تعرف السرعة التى يرتفع بها نهر سان يسيدرو . لقد سبق لى أن رأيته وهو يرتفع بمقدار قدم عن كل ساعة عندما غاصت فيه التلال . ينبغى عليك أن تتصل بالتليفون » .
فتضايق جوان الى حد الجنون وقال « اسمع . اننى أقود الاتوبيس »

وظلمت على هذه الحال لفترة لا بأس بها أتفهم ذلك ؟ عليك فقط بالصعود الى الاتوبيس والاعتماد على امكانياتنا . ويمكن لك أن تبقى هنا ولكن دعني أقود الاتوبيس » .

فأدار فان برانت وجهه من جانب لآخر وحملق ببرود في جوان « لست أدري ما اذا كنت سأذهب معك أم لا . وقد أبعت بمذكرة عنك الى لجنة النقل البرى . فما أنت الا سائق فى النقل العمومى . ولا تنسى ذلك » .

فقال جوان « هيا بنا أيها الناس » .

وأخذت آليس ترقبه فى خفية . انه لم ينظر الى كاميل ولم يعرض عليها أن يحمل لها حقيبتها . وكان ذلك أمرا سيئا . ولم ترغب آليس فى ذلك . اذ لم يكن من طبيعة جوان أن يتصرف على ذلك النحو . والتقطت كاميل حقيبته سفرها وخرجت بسرعة من الباب . فهي لم تكن ترغب فى الجلوس مع أى رجل من الرجال فى الاتوبيس . اذ كانت تشعر بالتعب والارهاق وتفحص عقلها بسرعة احتمالات الموقف . صحيح أن ميلدريد برتشارد كانت غير مرتبطة بأحد ولكن ميلدريد لم تكن تشعر بالارتياح نحوها . أما الفتاة التى كانت قد غادرت المكان فانها كانت هناك فى الاتوبيس . فأسرعت كاميل خارجة من الباب وتسلمت الى داخل الاتوبيس وتبعها كل من ارنست هورتون والمستر برتشارد بأسرع ما يمكن . ولكن كاميل كانت قد دخلت بالفعل الى الاتوبيس وكانت نورما جالسة فى صمت تام وكانت روح العداء تنبعث من عينيها وكان أنفها أحمر ولامعا . فقد كانت نورما خائفة تماما مما أقدمت عليه .

وقالت كاميل « أسمحين لى بالجلوس الى جوارك يا عزيزتى ؟ » فأدارت نورما رأسها فى تخشب ونظرت الى الشقراء وقالت لها « يوجد عدد كبير من الاماكن الشاغرة » .

« هل ستوافقين ؟ سأقول لك السبب فى ذلك فيما بعد »

فقالت نورما فى شموخ « تصرفى كما يحلو لك » . ولاحظت نورما أن هذه الفتاة مرتدية ملابس غالية الثمن . ولم يعنها ذلك على فهم الموقف . فالناس لم تكن لديهم الرغبة فى الجلوس مع نورما . ولكن كان هناك سبب ما . ربما سبب غامض . وكانت نورما تعرف الافلام السينمائية التى شاهدها . فأمور كهذه يمكن أن تتحول الى تسع بكرات من الاشرطة السينمائية المليئة بالمتعة الصافية . وتحركت الى

جوار النافذة • وأفسحت مكانا لكامل • وتساءلت نورما « الى أية مسافة أنت ذاهبة ؟ »

« الى لوس أنجلوس »

« شيء عجيب !! اننى ذاهبة الى هناك أيضا • هل تعيشين هناك ؟ »
فقالت كاميل « بشكل متقطع وفى غير انتظام » ولاحظت أن الرجال الذين هرعوا فى تكديس خارج صالة الطعام قد شاهدوها وهى تجلس الى جوار نورما • فهبط تدافعهم • اذ لم يعد هناك مجال للمنافسات • وتجمعوا عند مؤخرة الاتوبيس لكى توضح حقائبهم فى القسم الخاص بالامتعة •

وتريث جوان قليلا عند باب صالة الطعام بينما كانت آليس تنظر اليه عبر الشاشات • وقال لها « خذى الامور ببساطة • فقد عانيت طوال الصباح من المتاعب والارتباك • حاولى أن تتخلصى من ذلك قبل أن أعود للبيت »

وظهرت حدة الحزن والكآبة على وجه آليس • وكانت على وشك أن تجيب عليه ولكن جوان استطرد قائلا « والا فسوف لا أعود ذات يوم • فتلاحقت أنفاسها وقالت فى عواء « كل ما فى الامر أننى لا أشعر بأننى على مايرام »

« حسنا • ابدئى فى الشعور بالتحسن بعد الآن • ولا تفرطى فى العمل وتنهكى قواك • فلا أحد يحب المرضى لفترة طويلة للغاية • لا أحد • خذى ذلك كمعلومات وثيقة » ولم تكن عيناه تنظر اليها وانما من حولها ومن خلالها • فهبط الهلع والفرع على آليس واستدار جوان وسار بعيدا فى اتجاه الاتوبيس •

وأسندت آليس مرفقيها على حارضة الباب ذى الشاشات • وامتلات عيناهما بدموع كبيرة ناعمة وقالت فى هدوء « اننى ممثلة متهلة • اننى عجوز شمطاء • أوه • يا الهى • كم أنا عجوز شمطاء » وجرت الدموع فى أنفها • وشنت فسحبت الدموع من أنفها الى الخلف وقالت « باستطاعتك أن تحصل على الفتيات الصغيرات • ولكن ما الذى يمكننى الحصول عليه ؟ لا شيء • اننى امرأة عجوز شمطاء وخرقاء • وراحت تشن بأنفها مرات عديدة فى هدوء وهى واقفة خلف الشاشات •

وكان المستر برتشارد يرغب فى أن تتاح له فرصة الجلوس خلف الشقراء ليتمكن من مراقبتها ولكن المدام برتشارد اتخذت مكانا بالقرب من المقدمة مما اضطره الى الجلوس بجوارها • وجلست ميلدريد بمفردها

على الجانب الآخر خلفهما • وتسلق ييميلز الاتوبيس وحصل على المقعد الذى كان يريده المستر برتشارد وجلس الى جواره ارنست هورتون •

ولاحظ جوان فى فزع أن فان برانت أخذ المقعد الذى يقع خلف مقعد السائق مباشرة • وكان جوان عصيبا وحاد المزاج • فهو لم يحصل على قسط وافر من النوم علاوة على أن بعض التجارب غير المستحبة كانت تدوى منذ الصباح الباكر • وقام بترتيب حقائب المسافرين فى الحقيبة الخلفية للاتوبيس وجذب عليها القماش المشمع لاسفل ثم أغلق باب الحقيبة • ولوح بيده لآليس التى كانت مستندة فى الداخل على الباب المزود بالشاشات • وعرف من منظرها ووضعها أنها كانت تبكى وكان يدرك أنه ينبغى عليها أن تبكى وتعجب من السبب الذى جعله يقيم معها تحت سقف واحد • وكان يعتقد أن السبب هو مجرد الكسل المحض فهو لم يكن يرغب فى تحمل معاناة الاضطراب العاطفى الناجم عن تركه لها • وهو قد يشعر على الرغم منه بالقلق عليها والحزن من أجلها وكان ذلك فى حد ذاته يشكل متاعب جمة للغاية • فهو عندئذ سيصبح بحاجة لامرأة أخرى على الفور وبدون أى تأخير وذلك يستغرق قدرا من التحدث والمناقشة والاقناع • والمسألة كانت تختلف عن مجرد الممارسة مع فتاة فهو كان بحاجة الى امرأة تبقى الى جواره وتقاسمه الحياة وكان ذلك هو الفارق • وهو قد تعود على امرأة وكان ذلك أقل مشقة • والى جانب ذلك كانت آليس هى المرأة الوحيدة التى وجدها تستطيع أن تطهو الفول واللوبيا والفاصوليا خارج المكسيك • أمر يبعث على الضحك • إذ كان باستطاعة كل شخص هندي صغير السن فى المكسيك ان يطهو البقول بطريقة سليمة بينما لا أحد هنا يستطيع ذلك سوى آليس - مع أن طهى هذه الأشياء سهل للغاية : مجرد قدر كاف من العصارات والسوائل • مجرد الطعم الحقيقى للبقول بدون خلط أى تكةة أخرى معه • فالناس هنا يضسعون الطماطم والفلفل الاحمر الحار والثوم وأشياء من هذا القبيل فى البقول رغم أن البقول ينبغى أن تطهى لذاتها ووحدها • وضحك جوان وقال لنفسه « لأنها تعرف كيف تطهى البقول » •

ولكن كان هناك سبب آخر أيضا • فهى كانت تحبه • كانت تحبه حبا حقيقيا • وهو كان يدرك ذلك • ولا يمكن للمرء ان يترك شيئا مثل ذلك • أنه بنيان • بنيان له هندسة معمارية

ولا يمكن للمرء أن يتركه بدون أن يمزق جانبا من ذاته . لذلك اذا أراد المرء أن يظل محتفظا بكيانه فعليه بالبقاء على ما هو عليه بغض النظر عن مدى كراهيته للبقاء . ولم يكن جوان من الرجال الذين يخدعون أنفسهم بشكل كبير للغاية .

وما أن كاد يصل الى الاتوبيس حتى عاد أدراجه وسار على وجه السرعة الى الباب ذى الشاشات وقال : « عليك برعاية نفسك » . وكانت عيناه دافئتين ، واستطرد « احتسى كأسا واحدة من الخمر كعلاج لتلك السنة » . واستدار عائدا الى الاتوبيس . وهى قد تتناول الكثير من الخمور وتصبح ثملة اكثر من شخص حقير عندما يعود اليها من مشواره الا أن ذلك قد يصلح من شرايينها وأعصابها مما قد يجعلها تشعر بالتحسن . وهو قد ينام فى فراش نورما اذا أغمى على آليس وأصبحت فاقدة الوعى حيث لم يكن يتحمل الرائحة الخاصة بها عندما تكون مخمورة . اذ كانت تنبعث منها رائحة حمضية مرة .

وحمل جوان لأعلى نحو السماء . لقد كان الهواء ساكنا ولكن فى الارتفاعات العليا كانت الرياح تهب جالبة أعدادا هائلة من السحب الجديدة فوق الجبال ، وكانت هذه السحب منبسطة وتنضم لبعضها البعض وتتحرك متداخلة مع بعضها البعض لدى انطلاقها بسرعة عبر السماء ، وكانت أشجار البلوط الضخمة مازالت تقطر ماء متخلفا عن أمطار الصباح وكانت أوراق الخبيزة الافرنجية قد احتفظت بقطرات لامعة من الماء فى الأماكن الوسطى بها . لقد كان هناك سكون مطبق على الأرض ولكن كان هناك نشاط هائل فى الطبقات العليا .

ومع أن جوان كان يكره كثيرا اعطاء فان برانت أية فرصة لان يثق فى نفسه ، الا انه كان خائفا من هطول الأمطار مرة أخرى بعد فترة وجيزة . فتسلق صاعدا سلالم الاتوبيس فاصطاده فان برانت حتى قبل أن يجلس على كرسيه . اذ تساءل فى انتصار « أتعرف من أين الريح آتية ؟ من الجنوب الغربى . أتعرف من أين تلك السحب آتية ؟ من الجنوب الغربى . أتعرف من أين تأتي الأمطار الخاصة بنا ؟ من الجنوب الغربى » .

فقال جوان « وهو كذلك » ونحن جميعا سنموت فى يوم ما غير معلوم لنا . وبعضنا سيموت بطريقة مرعبة الى حد ما . وقد يدهمك جرار ، ألم يسبق لك أن رأيت جرارا يدهم رجلا ؟ .

فتساءل فان برانت « كيف تصورت ذلك ؟ »

فقال جوان « دعها تمطر »

فقال فان برانت « اننى لا املك جرارا ولكن عندى اربعة أزواج من الخيول فى هذه الولاية . كيف تأتى لك أن تتخيل ذلك الجرار ؟ »

وأدار جوان مفتاح التشغيل فى الاتوبيس وجاء الصوت عاليا ورفيعا وبه احتكاك ولكن الموتور بدأ يدور على الفور وكان صوته حسنا ومتوافقا وجميلا . فاستدار جوان فى مقعده ونادى قائلا : « يا كيت ، استمر فى الاصغاء لنهاية المؤخرة تلك » .
فقال بيميلز « وهو كذلك » وشعر بالثقة التى أولاها جوان اياه .

ولوح جوان بيده لآليس ثم أفلق باب الاتوبيس بأن حرك عتله . ولم يستطع أن يتبين ما كانت تفعله آليس من خلال الشاشات . انها قد تدعه يغيب عن البصر ويختفى بعيدا قبل أن تستخرج زجاجة الخمر ، وكان يأمل فى ألا تتورط فى أية متاعب .
وقاد جوان اتوبيسه من حول وأجهة صالة الطعام واستدار مباشرة نحن الطريق المرصوف الذى يؤدى الى سان جوان دى لا كروز . ولم يكن طريقا فسيحا للغاية ولكنه كان ناعما الى حد ما . وكان لجادة الطريق تقوس عال حتى انه كان يسكب المياه ويلقى بها بعيدا على نحو ملائم . وكانت التلال والوادي مليئا ببقع من ضوء الشمس ومحاطا بالظلال المتحركة للسحب المندفعة عبر السماء . وكان كل من البقع المشمسة والظلال لها لون رمادى معتم وكثيب ومنذر بالخطر .

وانطلق الاتوبيس « سويت هارت » يضرب الأرض فى اهتزاز وارتجاج بسرعة . ٤ كيلو مترا فى الساعة ، لقد كان اتوبيسا جيدا وكان صوت نهاية مؤخرته على مايرام أيضا .

وقال فان برانت « لم يسبق لى أن أحببت الجرارات » فقال جوان « وأنا لا أحبها أيضا » . وشعر جوان فجأة بأنه على مايرام . ولم يستطع فان برانت أن يترك هذا الموضوع يمر هكذا دون تمحيص . فقد نجح جوان على نحو يفوق توقعاته . وأدار فان برانت رأسه من جانب لآخر فوق رقبتة المتخشبة . وقال « اسمع . هل أنت واحد من هؤلاء العرافين أو أى شيء من هذا القبيل ؟ »
فقال جوان « لا » .

فقال فان برانت « لائنى لا اؤمن ولا اعتقد فى اى شىء من هذا القبيل »
فقال جوان « وانا ايضا لا اعتقد فى هذه الامور » .
« لا ينبغي ان امتلك جرارا فى المكان الخاص بى » وكان جوان على وشك ان يقول « كان لى اخ ركله حصان فارداه قتيلا » ولكنه راح يفكر « اوه . انه ابله ومعتوه . فهو شخص يمكن التأثير عليه بسهولة . لست ادرى ما الذى يخيفه ويملؤه بالدعر والهلع » .

الفصل التاسع

كان الطريق الرئيسي الى سان جوان دى لا كروز مرصوفا . وكانت مئات الأميال في العشرينات قد مهدت بالخرسانة على الطريق الرئيسي في كاليفورنيا . ثم جلس الناس مضطجعين للخلف وقالوا : « سيبقى ذلك بصفة دائمة هناك . سيعيش نفس المدة التي عاشتها الطرق في العهد الروماني بل وربما لفترة أطول . لأن الأعشاب لا تستطيع أن تنمو من خلال الخرسانة وتكسر الطريق » . ولكن لم يكن الأمر كذلك ، فاللوريات التي تجرى باطارات من المطاط والسيارات المتحركة بثقلها أثناء السير كانت تضرب وتندق في الخرسانة وبعد فترة انطفات منها الحياة وبدأت تتفتت وتكسر وبعدئذ انكسر جانب وتدفغت فيه حفرة وظهر شرخ وتسبب قدر ضئيل من الثلج في الشتاء في اتساع الشرخ وانتشاره ومن ثم لم تستطع الخرسانة الصامدة ان تتحمل ضربات المطاط فأصبحت بالانهيار .

وبعدئذ صبت فرق الصيانة بالاقليم قطرانا في الشقوق والكسور والشروخ لمنع المياه من النفاذ الى الداخل ، فلم تفلح تلك الطريقة ، وأخيرا قاموا بتغطية الطرق بخليط من القار والحصى . فنجحت هذه الطريقة بالفعل لأنها قدمت وجها غير جاف للاطارات الساحقة، اذ كان يفوص قليلا بفعل الاثقال التي تمر عليه ويعود الى حالته بعد برهة وجيزة ، وكان يلين في الصيف ويصير صلبا في الشتاء . فغطيت جميع الطرق تدريجيا بالمادة اللامعة السوداء التي تشبه الفضة من مسافات بعيدة .

وكان طريق سان جوان يمتد في خط مستقيم لمسافة طويلة عبر حقول منبسطة . وكانت الحقول غير محاطة بالأسوار لأن الماشية لم تعد تتجول . اذ أصبحت الأرض غالية الثمن للغاية بحيث لا يصح أن تكون مجرد مراعى للأغنام والماشية . وكانت الحقول مكشوفة أمام الطريق الرئيسي وكانت تنتهى في شكل حفر او اخاديد بجانب الطريق . وفي الحفر كانت تنمو بكثافة نباتات الخردل الشيطاني واللفت الشيطاني بأزهاره الصفيرة القرمزية

اللون . وكانت الحفر محاطة بنباتات الترمس ذات اللون الازرق ،
أما نباتات الخشخاش فكانت مبرومة بشدة لأن أزهارها المتفتحة
قد دقت أعناقها وتساقطت بفعل الأمطار .

وكان الطريق يجرى في خط مستقيم تجاه سفوح التلال
الصغيرة للسلسلة الأولى - وهي تلال تميل للامتلاء والاستدارة ،
وتشبه المرأة وناعمة وجنسية مثل جسد المرأة ، وكانت الأعشاب
الخضراء في نفس نضرة بشرة الفتاة الصغيرة . وكانت التلال غنية
بالمياه ، وعلى طول الطريق الناعم الجميل كان الأتوبيس يجرى في
تمايل واهتزاز وكانت جوانبه المفسولة اللامعة تنعكس على صفحة
المياه في الحفر .

وكانت الأشياء الصغيرة التذكارية : قفازيات الملاكمة الصغيرة وحذاء
الطفل تتأرجح وتهتز على الزجاج الأمامي للأتوبيس ، وكانت عذراء
جداليوب على هلالها فوق قمة لوحة الآلات تنظر للخلف نحو
المسافرين في رافة وشفقة .

ولم تصدر عن نهاية مؤخرة الأتوبيس أصوات خشنة أو غير
متوافقة اللهم باستثناء العواء الغريب الذي يصاحب تقل السرعات .
واضطجع جوان للخلف في مقعده متهيئا للاستمتاع بالرحلة .
كانت توجد امرأة ضخمة أمامه لكي يتمكن من مراقبة
المسافرين ، كان لديه مرآة طويلة خارج النافذة تمكنه من مشاهدة
الطريق خلفه . وكان الطريق مهجورا ، باستثناء الأعداد القليلة
من السيارات التي مرقت متخطية أياه ولكن لم تات سيارة واحدة
من اتجاه سان جوان مما جعله يشعر بالحيرة في بادئ الأمر من هذا
الوضع وبعدئذ ازداد قلقه بشكل كبير . ربما أصبح الكوبري غير
صالح للاستعمال . حسنا لو كان الأمر كذلك فإن عليه أن يعود
أدراجه . وعليه أن يأخذ جميع المسافرين الى سان يسيدرو ويطلق
سراحهم هناك .

فاذا كان الكوبري غير صالح للاستعمال فلن يكون هناك خط
أتوبيس الى أن يعاد إصلاحه من جديد . ولاحظ في مرآته أن أرنست
هورتون قد فتح حقيبته وراح يرى بيميلز نوعا من الاختراع يدور
ويلمع ثم يختفي ولاحظ أيضا أن نورما والشقراء قد اقتربتا
برأسيهما من بعضهما البعض وراحتا تتحدثان . وزاد جوان من
سرعة أوتوبيسه بعض الشيء .

وأعتقد أنه لن يتمكن من عمل أي شيء مع الشقراء ، إذ لم تكن

هناك أية وسيلة للتوصل اليها والتأثير عليها . وكان جوان كبيرا في السن بما فيه الكفاية بحيث لا ينبغي أن يعاني من أى شيء بعيد الاحتمال ولكن اذا أتاحت له الفرصة فليس هناك أدنى شك بشأن ما سيقدم عليه لأنه قد شعر بالاثارة الشديدة عندما وقع نظره على الشقراء لأول مرة .

وكانت نورما قاسية اللهجة مع كاميل الى حد بعيد ، كانت متجمدة للغاية حتى أنه كان يلزمها بعض الوقت لكي تدوب وتتجاوب معها . ولكن كاميل كانت في حاجة الى نورما كنوع من الدرع الوقائي بالاضافة الى انهما كانتا تقصدان مكانا واحدا .

وقالت نورما لكامل بصوت منخفض لكي لا يسمعها ارنست : « اننى لم اذهب من قبل الى لوس انجلوس أو الى هوليوود . ولست ادرى الى أين اذهب أو أى شيء من هذا القبيل » فسألها كاميل « وماذا ستفعلن ؟ »

« سأحصل على عمل ، على ما أظن ، خادمة في مطعم أو حانة أو أى شيء من هذا القبيل . وأفضل الدخول في ذمرة العاملين في السينما » .

فزمت كاميل شفتيها وهي تحاول اخفاء ابتسامتها وقالت : « تحصلين أولا على عمل كخادمة في مطعم أو خلفه ، فالعمل في السينما شديد القسوة » .

فسألها نورما « هل انت ممثلة ؟ انك تشبهين الممثلات » فقالت كاميل « لا ، اننى أعمل مع اطباء الاسنان ، فأنا ممرضة في علاج الاسنان »

« حسنا ، هل تعيشين في فندق أو في غرفة أو في منزل ؟ » فقالت كاميل « ليس لى أى مكان أعيش فيه . وكنت أقيم في شقة مع صديقة لى قبل أن اذهب للعمل في شيكاغو »

ودب الشغف والاهتمام فى عينى نورما وقالت « لقد ادخرت قدرا ضئيلا من النقود . ولربما استطعنا أن نحصل على شقة سوية . واذا حصلت أنا على عمل فى مطعم فلن يكلفنا الطعام أية نقود الا فيما ندر . اذ يمكننى احضار الطعام والشراب الى المنزل » . وكان الجوع يتصاعد فى عينى نورما . واستطرد « وربما لن يكون المبلغ كبيرا اذا تقاسمنا الايجار . وربما اتمكن من القيام برحلات ممتعة » .

فشعرت كاميل بالتجاوب مع الفتاة ونظرت الى الانف الاحمر

والبشرة الكثيبة والعينين الصغيرتين الشاحبتين وقالت « سنرى كيف تسير الأمور » .

ومالت نورما مقتربة من كاميل وقالت « أعرف أن شعرك طبيعى . ولكنك ربما تستطيعين أن تبينى لى طريقة ادخال التحسينات على شعرى بإضافة تعديلات بسيطة . فشعرى قترانى . مجرد قترانى » .

فضحكت كاميل وقالت « لعلك تندهشين اذا عرفت اللون الاصلى الخاص بشعرى » واستطردت « لا تتحركى لبعض الوقت » . وراحت تدرس وجه نورما محاولة تخيل أنسب أنواع الكريم البارد والبودرة والماسكارا التى تصلح لوجهها وتخيلت الشعر وهو لامع ومتموج وفكرت فى توسيع العينين بعض الشيء باستخدام مادة تظليل العيون وتشكيل الفم من جديد باستخدام أحمر الشفاه . ولم يكن لدى كاميل أى تصورات خاطئة فيما يتعلق بالجمال . فقد كانت لورين عبارة عن قار صغير ممتقع اللون بدون مكياج ولكن لورين أصبحت على مايرام وقد يكون شيئا لطيفا أن تدخل التغيرات على هذه الفتاة مما يعطيها الثقة فى نفسها وربما تصبح أجمل من لورين .

وقالت : « فلنفكر فى ذلك » ، واستطردت « هذه منطقة ريفية جميلة ، اننى افضل العيش فى الريف لبعض الوقت » وهبطت صورة ذهنية على عقلها وهى صورة تموزجية لما قد يحدث . انها قد تصلح من شأن نورما . وهى باستطاعتها أن تكون نوعا من الحسنات والجمال اذا اعتنت بنفسها . وبعدئذ قد تقابل نورما شابا ومن الطبيعى انها قد تحضره معها الى المنزل لتستعرض نفسها وتجذب انتباهه وقد يمارس الشاب الحب مع كاميل فيترتب على ذلك أن تكرهها نورما . وتلك هى الطريقة التى تسير عليها الأمور ، فتلك هى الطريقة التى سارت عليها الأمور من قبل . ولكن فليكن مايكون . يكفى أنه سيكون هناك قدر من المرح والحياة قبل أن تحدث المشاكل ، ولربما تتمكن هى من توقع الأمور بحيث لا توجد أبدا فى المنزل فى الأوقات التى تحضر فيها نورما شابا الى المنزل .

وشعرت بالدفع وبروح الصداقة تسرى فى كيانها وقالت : « فلنفكر فى هذا الأمر » .

وأمامه على الطريق الرئيسى شاهد جوان أرنبا مدهوما . وكان الكثيرون من الناس يرغبون فى الجرى بالعجلات فوق أشياء من هذا

القبيل . ولكن جوان لم يفعل ذلك . اذ حرك عجلة القيادة بحيث
مرت الجثة المبططة بين العجلات ولم يكن هناك صوت قرعشسة.
نحت اطارات الاوتوبيس . وزاد من سرعة اوتوبيسه الى ٤٥ كيلومترا
في الساعة وكانت اتوبيسات الطريق الرئيسي تنطلق احيانا بسرعة
٦٠ كيلو مترا في الساعة ولكن جوان كان لديه متسع من الوقت .
وكان الطريق مستقيما لمسافة ميلين آخرين وبعدهما يبدأ في التجول
بين سفوح التلال الرخوة ، ورفع جوان احدى يديه من على عجلة
القيادة وبسطها .

وشعرت ميلدريد بأعمدة التلغراف تخفق بالقرب منها كأنها
ضربات صغيرة فوق عينيها . ووضعت نظارتها على عينيها مرة
أخرى وراحت ترقب وجه جوان في المرآة واستطاعت أن ترى من
الزاوية التي تجلس عندها قدرا أكبر من بروفيل الوجه . ولاحظت
أنه قد رفع رأسه لينظر للخلف نحو الشقراء كل دقيقة أو نحو ذلك
فشعرت بالغضب المر يملكها وكانت مضطربة وحائرة ومرتبكة بسبب
ما حدث في ذلك الصباح . ولم يعرف أحد بالطبع ذلك اللهم الا اذا
كان جوان قد ضمن مفترضا ما حدث لها ، اذ كانت لا تزال منتفخة
بعض الشيء في توتر واثارة بسبب ذلك الامر ، وراحت عبارة
تتردد على ذهنها في الحاح ، انها ليست شقراء وليست معرضة
وليس اسمها كاميل أو كس . وظلت هذه العبارة تتردد مرات ومرات
عديدة . وبعدئذ ضحكت من نفسها سرا دون أن يلحظها أحد وقالت
لنفسها « اننى أحاول تدميرها . وأنا بذلك أفعل شيئا يتسم
بالحمق . لماذا لا اعترف بأننى قبيورة ؟ اننى قبيورة فعلا ، وهو
كذلك ، وهل الاعتراف بذلك يجعلنى أقل غيرة ؟ لا . فالاعتراف
لا يقلل الغيرة . ولكنها أرغمت والدى على أن يهزى نفسه .
حسنا ، وهل يهمنى ما اذا كان والدى مغفلا أو غير ذلك ؟ لا ،
لا يهمنى ذلك - اذا كنت غير موجودة معه . فأنا لا أريد أن يظن
الناس أننى أبنته وهذا هو كل ما فى الامر ، لا ، وليس ذلك صحيحا
أيضا ، اننى لا أريد الذهاب معه الى المكسيك ، اذ يمكننى سماع
الاشياء التى سيقولها » ولم تكن تحس بالراحة ، ولم تكن حركات
الاوتوبيس تقدم لها العون والمساعدة ، وراحت تفكر « كرة السلة ،
هذا هو الكلام الفاضى » ، ولوت عضلات فخذيها وراحت تفكر فى
طالب الهندسة وتخيلت فى ذهنها ما حدث بينهما .
وكان المستر برتشارد متضايقا ومتعبا وهو قد يكون مشيرا

لا عصاب الآخرين للغاية عندما يكون متضايقا ، وتحرك حركة سريعة فجائية في اهتزاز وقال لزوجته : « هذه المنطقة غنية ، فكاليفورنيا تزرع معظم الخضراوات اللازمة للولايات المتحدة الأمريكية كما تعرفين » .

وكان باستطاعة المدام برتشارد أن تسمع نفسها وهي تتكلم عقب عودتها الى منزلها « ثم قطعنا بالاتوبيس أميالا وأميالا من الحقول المليئة بنباتات الخشخاش والترمس وهي حقول تشبه الحدائق تماما . وكانت هناك فتاة شقراء توجد في مكان صغير قريب ، فقام الرجال بحركات الاستظراف امامها وحتى اليوت نفسه فعل ذلك ، وبعد ذلك هزئت به بطريقة مرحة على مدى أسبوع بسبب ما أقدم عليه » . وهي قد تكتب هذا في خطاب وتقول : « وأنا متأكدة بعض الشيء من أن هذه الانسانة المسكينة الصغيرة المدهونة بالمساحيق كانت لطيفة وحلوة ، وقالت عن نفسها أنها ممرضة ولكن من المحتمل أن تكون ممثلة - للدوار البسيطة كما تعرفين ، إذ يوجد عدد كبير منهم في هوليوود ، ٣٨ ألفا وفقا للسجلات الرسمية المقيدة بها أسماءهم فهناك وكالة ضخمة لتسجيلهم ، ٣٨ ألفا » وأخفضت رأسها في تمايل بعض الشيء إذ كان النعاس يغالبها وكانت جائعة . وراحت تفكر « ترى ما هي تلك المغامرات التي سنواجهها الآن » .

وعندما أنزلت زوجته الى أحلام اليقظة الخاصة بها أدرك المستر برتشارد ذلك . فهو قد قضى معها فترة طويلة من الحياة الزوجية بحيث أصبح يعرفها عندما لا تكون مصغية اليه ولكنه كان يستمر في حديثه بطريقة عادية . وهو غالبا ما كان يوضح تفكيره بشأن الأعمال التجارية أو النواحي السياسية بأن يقول أفكاره لبرنيس عندما لا تكون مصغية اليه ، وكانت له ذاكرة مدربة على لغة الأرقام وبعض المعلومات ، فهو كان يعرف على وجه التقريب كم عدد اطنان سكر البنجر التي أنتجت في وادي ساليناس . فهو قرأ الرقم واحتفظ به في عقله على الرغم من أدراك أنه لن يستفيد من هذه المعلومات ، إذ كان يشعر أنه من المفيد أن يعرف مثل هذه المعلومات رغم أنه لم يسأل نفسه عن قيمتها بالنسبة له ، وعن السبب الذي يجعل معرفتها مفيدة ، ولكنه في هذه الآونة لم يكن لديه أي ميسل نحو المعرفة ، إذ كانت هناك قوى شديدة توجه اليه الضربات تلوا الضربات من مؤخرة الاتوبيس ، فهو كان يريد الالتفات لكي ينظر الى الشقراء ،

كان يريد الجلوس في مكان يستطيع منه مراقبتها ، وكان كل من هورتون وبيميلز يجلس خلفه ، ولم يكن باستطاعته مجرد الجلوس في وضع مقابل والنظر اليها .

وسأله المدام برتشارد « كم عمرها فيما تظن ؟ » وجاء السؤال بمثابة صدمة له لأنه كان يفكر في نفس الشيء .

فسألها « كم عمر من ؟ »

« المرأة الشابة ، المرأة الشابة الشقراء »

« أوه . هي . كيف لي أن أعرف ؟ » وكانت اجابته جافة وخالية من الذوق حتى أن زوجته ارتبكت وشعرت بان مشاعرها قد جرححت بعض الشيء ، فلاحظ هو ذلك وحاول تغطية غلظته فقال لها « باستطاعتك أن تحددي سنتها في مزيد من الدقة أكثر مني » .

« لماذا ؟ لست أدري ، حسنا ، أنه من الصعب معرفة سننها بينما هي تضع ذلك المكياج وذلك اللون الخفيف على الشعر . لقد أردت أن أعرف لمجرد المعرفة وأظن أن سننها ما بين خمسة وعشرين وثلاثين عاما » .

فقال المستر برتشارد « لم يكن بمقدوري معرفة ذلك » ونظر خلال النافذة نحو سفوح التلال المقتربة ، وكانت راحتا يديه مبللتين بالعرق بعض الشيء وكان المغناطيس في مؤخرة الاتوبيس مازال يجذبه فأراد أن ينظر فيما خوله ثم قال « لست أعرفا السر وراء شففى بذلك الهورتون الشاب ، فهو صغير في السن ومع ذلك أحرز قدرا كبيرا من التقدم والصعود ، ولديه بعض الأفكار ، لقد استحوذ فعلا على اعجابي ، ولربما أجد مكانا لرجل مثله في المؤسسة » .

وكان هذا القول يدخل ضمن دائرة الأعمال التجارية ، وكان باستطاعة برنيس أيضا أن تجذب حولها دائرة سحرية بموضوع الأمومة أو بموضوع مثل الطمث مثلا وعندئذ فلن يحاول رجل الدخول الى دائرتها ، وكانت الأعمال التجارية هي الدائرة السحرية الخاصة بزوجها ، إذ لم يكن لديها الحق في الذهاب بالقرب منه اذا كان الامر يتعلق بالأعمال التجارية حيث لم يكن لديها معلومات عن النواحي التجارية ولم يكن لديها شغف أو اهتمام بها ، كانت عالمه الخاص به وكانت تحترم عالمه .

فقالت « يبدو أنه شاب لطيف كما أن قواعد اللغة عنده ومعلوماته العامة ... » .

فصاح في انفعال « يا ألهي ، برنيس !! ان الأعمال التجارية

ليست معلومات عامة وقواعد فى اللغة . فالاعمال التجارية هى ما يمكن أن ينتجه الانسان ، ان الاعمال التجارية هى اعظم شىء ديمقراطى فى العالم ، واحم شىء فى العمل التجارى هو : « ما هو الشىء الذى تستطيع ان تفعله » .

وكان المستر برتشارد يحاول أن يتذكر الشكل الذى تبسّطوا عليه شفتا الشقراء ، وكان يعتقد أن النساء ذوات الشفاه الممتلئة شهوانيات ، ثم قال « اننى أرغب فى التحدث قليلا مع هورتون قبل ان يفلت منى وينصرف بعيدا »
وادركت برنيس أنه كان قلقا .
فقال له « ولماذا لا نتحدث معه الآن ؟ »

« اوه ، لست أدري . انه يجلس مع ذلك الولد » « انا متأكدة ان ذلك الولد سيترك مكانه لو طلبت منه ذلك بطريقة لطيفة » .
وكانت هى مقتنعة بأن أى شخص يمكنه أن ينفذ أى مطلب لو طلب منه ذلك بطريقة مهذبة ، وكانت على حق فيما يتعلق بها ، فهى كانت تطلب وتحصل على مساعدات كبيرة من الأقارب لمجرد أنها تطلب بطريقة مهذبة ، فهى قد تطلب من خادم الفندق أن يحمل لها حقائبها لمسافة أربعة منازل حتى المحطة بحجة أن المسافة قصيرة للغاية بحيث لا تستاهل استئجار سيارة وبعدئذ تشكره بطريقة مهذبة وتعطيه دائما واحدا .

وهى آتئذ كانت تدرك أنها تساعد زوجها على أن يفعل شيئا يرقب فى القيام به ، ولكن ما هو ذلك الشىء ، هذا ما لم تكن تعرفه ، وأرادت أن تعود الى كتابة الرسالة الخيالية عن رحلتهم . « واليوت شغوف ومهتم بكل شىء . فهو يتحدث لفترات طويلة مع كل شخص . وأظن أن هذا هو السبب فى أنه ناجح للغاية . فهو عنده اهتمامات من هذا القبيل ، وهو كثير التفكير والتأمل الى حد بعيد ، وكان يوجد ولد يحتلّى وجهه بالبثور الكبيرة ولم يرد اليوت أن يقلقه ولكنى أخبرته بأن عليه فقط أن يطلب منه ما يريد بطريقة مهذبة ، فالناس يحبون فعلا الاخلاق الحسنة » .

وكان المستر برتشارد ينظف أظافره مرة أخرى بالمبرد الذهبى الذى كان يحتفظ به فى سلسلة ساعته .

وكانت عينا ييميلز مصوبة نحو مؤخرة رأس كاميل ، ولكنه كان متأكدا منذ أن جلس من أنه لن يتمكن من رؤية ساقها تحت

المقعد ولا حتى رسغها وهي من وقت لآخر كانت تلتفت لتنظر من النافذة وعندئذ كان باستطاعته أن يرى منظرا جانبيا لوجهها ورموش عينيها الطويلة السوداء المقوسة لأعلى ، والأنف المستقيم الذي تعلوه البودرة وفتحتى الأنف المغلفتين قليلا بدخان التبغ والتراب الناجم عن السفر . وكانت شفتها العليا مقوسة لأعلى بزاوية حادة قبل أن تتوسد في بتلة الزهرة الشديدة الاحمرار واستطاع بيميلز أن يرى الشعر الخفيف الناعم فوق شفتها العليا . ولسبب ما تألم بشدة لدى رؤيته هذا المنظر ، وعندما التفتت برأسها التفاتة كاملة تمكن من رؤية إحدى أذنيها حيث افترق الشعر بعض الشيء فكشفتها وأظهرها ، وتمكن من رؤية حلقة الأذن التي يزيد حجمها قليلا عن الوضع الطبيعي ورأى التجاعيد خلف أذنها حيث كانت متلازمة تماما مع رأسها ، وكانت توجد حفر على حافة أذنها وعندما حملق في أذنها بدا عليها كأنها مدركة نظراته لأنها رفعت ذقنها لأعلى وهزت رأسها من جانب لآخر حتى أن المفرق في شعرها سقط على بعضه البعض وأخفى الأذن وراءه . ثم أخرجت مشطا من حقيبة يدها لأن هزت رأسها للخلف قد كشفت عن الندبات الفائرة المجردة على طول فكها . وعندئذ رأى بيميلز الندبات الفائرة القبيحة المنظر لأول مرة ، واضطر لأن ينحني على جانب لرؤيتها في مزيد من الوضوح فنفلت إلى صدره طعنة من الألم ، شعر بأسف عميق لا تبرير له إلا أن أسفه اتخذ طابعا جنسيا في نفس الوقت . وتخيل نفسه وهو ممسك برأسها في يديه ورأى نفسه وهو يربت على الندبات المسكينة باصبعه . وازدرد ريقه مرات عديدة .

وكانت كاميل تقول في رقة وهدوء « ثم توجد هناك مقبرة وى كيركى ذا هيثر ، وأظن أن تلك المقبرة هى أعظم مقبرة فى العالم . وتصورى أنه لابد للإنسان من الحصول على تذكرة لكى يستطيع الدخول . وأنا شخصيا يحلو لى التنزه هناك . فهى جميلة للغاية والأرغن يعزف طوال الوقت تقريبا وأنت تجددين الناس مدفونين هناك وهم الذين قد شاهدتهم الناس من قبل على الشاشة البيضاء . وكثيرا ما أبدت رغبتى فى أن أدفن هناك »

فقالت نورما « لا أرغب فى التحدث فى مثل هذه الأمور ، فهذا قال سىء »

وكان بيميلز يتناقش بطريقة فجأة مع إرنست هورتون عن

الجيش » انهم يقولون ان باستطاعة المرء ان يتعلم التجارة ويسافر في كل أنحاء العالم ، لست أدري ، ولكنني بصدد دراسة هندسة الرادار ، ستبدأ في الاسبوع القادم بالمراسلة بالبريد الجوي . واظن ان الرادار سيصبح من الأمور الممتازة ، ولكن الانسان يستطيع ان يحصل وهو في الجيش على مجموعة كاملة من الدروس والمحاضرات الممتازة من الرادار »

فقال أرنست » لست أدري الكيفية التي تكون عليها الأمور في وقت السلم ، ولكن باستطاعتك الحصول على منهج كامل في الرادار عندما تكون هناك حرب .
» هل اشتركت في معارك قتالية ؟
» اننى لم أنشد الدخول في المعارك ولكنني اشتركت فيها ضد ارادتي »

فتسائل بيميلز » اين كنت حينئذ ؟
» في كل أرجاء جهنم »

فقال بيميلز » ربما استطعت ان أخط لنفسى طريقا حسنا في الحياة وأدخل في أعمال البيع مثلك »

فقال أرنست » ولكن الانسان يتعرض للهلاك والموت جوعا الى ان يتمكن من توطيد اتصالاته ، فقد ظلت أكافح طوال خمس سنوات حتى تمكنت أخيرا من توطيد اتصالاتى . ثم بعد ذلك أطاحوا بى وألقوا بى بعيدا ، وها أنذا أعود الآن مرة أخرى لأقف على أقدامى ، ولا يمكنك ان تكتفى بوضع قدميك في هذا المجال اذ ينبغي ان تعمل بكل كيائك ، والعمل في هذا المجال لا يشبه العمل ولكنه عمل بالفعل . ولو قدر لى ان أبدا حياتى من جديد سأتعلم بحرفة حتى يكون لى بيت ، فمن الأمور الممتعة للغاية ان يكون للانسان زوجة واثنان من الاطفال » وكان أرنست يقول دائما هذا الكلام وهو كان يعتقد في صحة هذا الكلام عندما يكون مخمورا ولكنه لم يكن يرغب في ان يكون له بيت ، اذ كان يعشق الانتقال من مكان لآخر ورؤية اناس مختلفين . فهو من النوع الذى لا يلبث ان يفر من أى منزل على الفور ، وهو كان قد تزوج ذات يوم ولكنه خرج هائما على وجهه في اليوم الثانى للزواج تاركا وراءه زوجة مدعورة وغاضبة للغاية . ولم يشاهد زوجته بعد ذلك على الاطلاق ولكنه شاهد صورتها ذات مرة حيث ألقى القبض عليها بسبب تزوجها من خمسة رجال في آن واحد وحصولها على أسهم التأمين من الجيش

عن كل واحد منهم . يالها من امرأة محنكة . امرأة شرسة وافاقة وعملية . وأغلب الظن أن أرنست كان معجبا بها لأنها قد تمكنت بشراستها من الحصول على الفوائد على الأسهم .

وسأل بيميلز « لماذا لا تلتحق مرة أخرى بالمدرسة ؟ » فقال بيميلز « اننى لا أريد أية مواد خيالية ، كما أن الاولاد في الكليات مجرد مجموعة من الشباب المخنث . فانا أريد لنفسي أن أحيى حياة الرجولة » .

وكانت كاميل قد انحنت بالقرب من نورما وكانت تهمس في أذنها ، وكانت الفتاتان تتمايلان في اهتزاز بسبب الضحك . وماج الاتوبيس حول المنحنى ودخل الى المنطقة الريفية المليئة بالتلال وكان الطريق قد شق بين جسرين مرتفعين وكانت التربة على طول جانبي الطريق سوداء وتقطر بالمياه . وكان نبات الخشخاش الصغير ذو اللون الذهبى ظهرا متشبها ومتعلقا بالحصى وكان يقطر بالمياه ، ووضع جوان يده اليمنى على عجلة القيادة وجعل مرفقيه يتعلقان في الهواء بدون الاستناد على شيء ، ستكون هناك خمس عشرة دقيقة على الطريق التلالى المتوى الذى لا تتخلله مسافات مستقيمة على الاطلاق . وحملق جوان في المرأة الداخلية نحو الشقراء . كانت عيناها مجعدتين مع الضحك وكانت قد قطت فمها بأصابع منبسطة كما تفعل الفتيات الصغيرات .

ولم يكن المستر برتشارد حريصا وهو ينتقل الى الخلف ، وعندما أخذ الاتوبيس ملقا فقد توازنه وارتدى على جانب وتشبث بظهر المقعد وأفلتت يده فسقط متمددا على حجر كاميل . وضربت يده اليمنى التى امتدت للحيولة دون سقوطه جونلتها القصيرة لأعلى وذهبت ذراعاه بين ركبتيها . فتمزق جزء صغير من جونلتها ، فساعده كاميل لكى يخلص نفسه ثم جذبت جونلتها لأسفل ، فتورد وجه المستر برتشارد بشدة بسبب شعوره بالخجل .

وقال « آسف جدا »

« لم يحدث أى ضرر »

« ولكنى مزقت جونلتك »

« يمكننى اصلاحها »

« ولكن يجب على أن أدفع ثمن اصلاحها »

« سأصلحها مؤقتا بنفسى ، فالتمزق ليس كبيرا » ، ونظرت الى وجهه وأدركت أنه كان يعتمد الاطالة في الكلام معها ، وراحت

تفكر « انه سيحاول أن يعرف العنوان الذى يرسل عليه النقود » .
ثم نادى المدام برتشارد : « اليوت . هل تحاول الجلوس فى حجر
السيدة ؟ »

وعندئذ انفجر الجميع فى الضحك ، حتى جوان نفسه انفجر
ضاحكا . وفجأة لم يعد الاتوبيس مليئا بالاعراب اذ حدث بينهم
نوع من التفاعل الكيميائى . وضحكت نورما بطريقة هستيرية حيث
ظهر كل التوتر الذى عاشته فى الصباح فى ضحكاتهما .

فقال المستر برتشارد « لابد لى أن أقول ، وأرجو أن تصدقنى
تماما ، اننى لم أحضر للخلف الى هنا لكى أجلس فى حجرك . لقد
أردت أن أتحدث قليلا مع هذا الجنتلمان » ثم قال موجها كلامه
لبيميلز « يابنى ، هل تتكرم وتترك مكانك لى لفترة بسيطة
لأننى أريد أن أناقش بعض الأعمال التجارية مع المستر لا اظن اننى
سمعت اسمك » .

فقال أرنست .. هورتون . أرنست هورتون . وكان للمستر
برتشارد مجموعة كاملة من الحيل التى يستعملها فى
معاملاته مع الناس لتحقيق النجاح والتقدم ، فهو لم ينس مطلقا
اسم رجل أكثر غنى منه أو أكثر نفوذا وسلطانا منه ، ولم يعرف
على الإطلاق اسم رجل أقل منه شأنا ومالا ، وقد اكتشفت أنه اذا
أرغم رجلا على أن يذكر اسمه امامه فان هذا من شأنه أن يضع
ذلك الرجل فى موقف الخسارة بعض الشيء ، فالرجل الذى يقوم
بذكر الاسم الخاص به يصير عاريا وبدون حماية بعض الشيء .

وكانت كاميل تنظر الى جونلتها الممزقة وتتحدث بصوت جميل
هادىء مع نورما « لقد أردت دائما أن أعيش فوق تل ، اننى أحب
التلال وأمشق السير على التلال » .

فقالت نورما فى حزم « سيكون ذلك مناسبا بعد أن تصبى
غنية ومشهورة ، اننى أعرف أناسا يعملون فى الشينما ويذهبون مع
كل فرصة سانحة الى القنص وصيد الأسماك ويلبسون ملابس قديمة
ويدخنون الغليون » .

وكانت كاميل تدفع بنورما للكشف عن مكنونات شخصيتها ،
اذ لم يسبق لنورما على الإطلاق طوال سنوات عمرها أن شعرت
بمثل هذه الاثارة والحرية والانطلاق حيث كان باستطاعتها أن تقول
أى شيء تريده ، ثم ضحكت فى فتور بعض الشيء .

وقالت « أنه لشيء لطيف أن يرتدى المرء ملابس قديمة اذا كان
يمتلك دولابا مليئا بالملابس الجديدة الجميلة النظيفة » . واستطرد

« الملابس القديمة هي النوع الوحيد الذي امتلكه ، ولقد تضايقت وما زلت متضايقه من ذلك الى حد بعيد » . ثم حملت في كأميل لتري ردود الفعل عليها ازاء صراحتها في القول .

فأومات كأميل برأسها « أنت تتخذين في صدق. وصراحة يا أختي » ، وكان هناك شيء قوى وعاطفى للغاية يتمو بين هاتين الفتاتين ، وحاول المستر برتشارد سماع ما يدور بينهما من حديث ولكن دون جدوى .

وكانت الحفر الموجودة بجوار الطريق الرئيسى تنساب بالمياه الهابطة نحو الوادى وكانت السحب الكثيفة تتجمع استعدادا لهجوم جديد...

فقال فان برانت في سعادة « انها ستمطر حالا » . فزمجر جوان وقال « كان لى زوج أخت فركله حصان فأرداه قتيلا » .

فقال فان برانت « لابد أنه لم يستخدم أى قدر من اللوق والادراك السليم . فاذا ركل حصان رجلا يكون الرجل هو المخطيء عادة ، فالحصان لا يرتكب أخطاء » فقال جوان « لقد قتله الحصان على كل حال » ثم لاذ بالصمت ، وكان الاتوبيس أخذا في الاقتراب من قمة المطلع وكانت المنحنيات آخذة في الضيق طوال الوقت .

« لقد كنت شغوفا للغاية اثناء حديثنا القصير هذا الصباح يامستر هورتون » ، فالحديث مع رجل مثلك يعتبر متعة لانك على جانب من حسن المظهر والحماس والحيوية ، وأنا دائما أبحث عن أناس بهذه الصفات للعمل في مؤسستى » .

فقال أرنست « شكرا »

وقال المستر برتشارد « أننا نعانى من المتاعب الآن ، فهؤلاء الناس العائدون من الحروب وهم أناس لا بأس بهم وينبغى علينا أن نفعل كل شيء من أجلهم - كل شيء ، أقول أن هؤلاء الناس كانوا بعيدين لفترة عن مجال العمل . فالصدا يعلنوهم ، وفى الاعمال التجارية ينبغى على المرء أن يكون على اتصال دائم بها فى كل دقيقة ، بمعنى أن قيمة الرجل المتصل بالعمل باستمرار تكون ضعف قيمة الرجل الذى ترك العمل فى المصنع لفترة معينة » . ونظر اليه أرنست منتظرا منه الموافقة على رأيه . ولكنه بدلا من ذلك رأى نظرات حادة تهكمية تطل من عيني أرنست .

قال أرنست « اننى أفهم وجهة نظرك ، لقد أمضيت أربع سنوات فى الجيش »

فقال المستر برتشارد « أوه . أوه . نعم - انك لا تلبس الشعار
الرمزى الذى يدل على انتهاء خدمتك فى الجيش »
فقال ارنست « لأننى قد حصلت على عمل »

وشعر المستر برتشارد بالارتباك والتردد فى افكاره ، فهو قد
ارتكب خطأ جسيماً . وأراد أن يعرف ذلك الشيء المعلق فى زر طية
صيديرى ارنست ، اذ كان يبدو مألوفاً له . ينبغى عليه أن يعرف ،
وقال « حسناً » انهم مجموعة من الأولاد الظرفاء وآمل فقط أن
نتمكن من وضع تدابير وأحكام تضمن توفير الرعاية لهم .
فتساءل ارنست « مثل ما حدث بعد الحرب الماضية ؟ » كانت
المسألة عبارة عن تراشق ومناوشات بينهما ، وبدأ المستر برتشارد
يسائل نفسه عما إذا كان رايه فى هورتون سليماً . اذ كان فى هورتون
نوع من الوحشية والكبرياء والخيلاء وصلابة الرأى وهى كلها
صفات يتميز بها عدد كبير من الجنود الذين تركوا الخدمة فى
الجيش ، ولقد قال الاطباء أن مثل هؤلاء الجنود سيتخلصون
من هذه العادات ويشفون منها تماماً بمجرد أن يعيشوا حياة
طبيعية حسنة لفترة من الوقت ، فهم منحرفون عن جادة الطريق
ولا بد من عمل شيء من أجلهم .

وقال المستر برتشارد « اننى اول من وقف مدافعاً عن جنودنا
العائدين من الحرب » واستعان بالله لئلا يخلصه من هذا الموضوع .
وكان ارنست يسدد النظرات اليه فى ابتسامة ملتوية بعض
الشيء وهى ابتسامة كان برتشارد قد بدأ يلحظها على وجه المتقدمين
للحصول على وظائف ، فقال المستر برتشارد فى قلق « لقد ظننت
فقط أنه يهمنى أن أعقد مقابلة شخصية لرجل له حسن مظهره
وحيويتك وحماسك وستكون سعيداً اذا قابلتنى عقب هودتى من
أجازتى ، فباستطاعتنا أن نفتح مكاناً لرجل له مميزاتك » .

فقال ارنست « حسناً ياسيدى ، اننى متبرم للغاية من التجوال
عبر البلاد طوال الوقت . وكثيراً ما فكرت فى اننى أرغب فى أن يكون
لى منزل وزوجة واثنان من الأطفال ، وتلك هى الطريقة الحقيقية
للمعيشة ، أعود الى منزلى ليلاً وأحول بينى وبين العالم بأسره فى
الخارج . ولد وبنت على الاحتمال . فهذا النوم فى الفنادق ليس
حياة » .

فاوما المستر برتشارد برأسه موافقاً وقال « انت على حق
فعلاً » . وشعر بقدر كبير من الارتياح ثم أردف قائلاً « وأنا فعلاً

بمثابة الرجل المناسب الذى يقول لك ذلك . فانا متزوج واعيـش
فى ظل الحياة الزوجية منذ واحد وعشرين عاما ولم أرض عنهما
بديلا .

فقال ارنست « انت سعيد الحظ ، فزوجتك جميلة » فقال
المستر برتشارد « وهى امرأة لطيفة أيضا ، وهى أكثر الناس
تدبرا فى العالم ، وكثيرا ما تساءلت كيف كان يمكن لى تدبير امورى
بغيرها .

وقال ارنست « لقد زوجونى ذات يوم ، ثم ماتت زوجتى »
وكان وجهه حزينا .

فقال المستر برتشارد « اننى لأسف من اجلك ، وهذا الاسف
من جانبى قد يبدو سخيـفا ، فالزمن يشفى بالفعل الجراح والالام ،
ولربما فى يوم ما - حسنا ، اننى لا أفقد الامل ،
« اوه ، اننى لا أفقد الامل »

فقال المستر برتشارد « اننى لم أقصد التدخل فى شئونك
الخاصة ، ولكنى كنت أفكر فى الفكرة التى قلتها لى عن الحلة الداكنة
ذات القماش فى طية الصدر الذى يمكن نزعها وإعادته وهى الحلة
التي تفكر فى تحويلها الى توكسيدو . فاذا لم تكن مرتبطا مع اى
شخص اعتقد أنه يمكننا - حسنا ، يمكننا التحدث بشأن القيام
بشيء من العمل التجارى .

فقال ارنست « حسنا ، ان المسألة على النحو الذى قلته لك ،
فصانعو الملابس لا يريدون شيئا من شأنه أن يفقد سيطرتهم على
بعض أعمالهم ، كل ما هنالك اننى لا أرى وجهة النظر المحددة
الآن .

وقال المستر برتشارد « لقد نسيت ما اذا كنت قد قلت لى انك
تقدمت بطلب لاحتكار هذا الابتكار .
« حسنا ، لقد أخبرتك اننى سجلت الفكرة فقط »

« ماذا تقصد بكلمة سجلت ؟ »

« حسنا ، لقد كتبت وصفا وخططت بعض الرسومات
ووضعت كل ذلك فى ظرف وأرسلته بالبريد المسجل الى نفسى .
مسجل بالبريد الجوى ، وذلك يثبت متى سجلت الفكرة لأن الظرف
مختوم بالأختام »

فقال المستر برتشارد « لقد فهمت » . وسأول نفسه فى تعجب:

تري مثل هذه الطريقة سيكون لها اى سند قانونى فى المحاكم ، ولم يعرف وضعها القانونى .

وكان من الافضل دائما ادخال المخترع فى الموضوع على أساس نسبة مئوية . فالزملاء الكبار فقط هم القادرون على إلغاء أى اختراع وذلك بشرائه برمته . وفى استطاعة الزملاء الكبار مواجهة مصاريف الصراع الطويل الأمد . وفى رأيهم أن ذلك أرخص من مقاطعة المخترع فقد أثبتت لفة الأرقام أنهم على صواب ، ولكن شركة المستر برتشارد لم تكن شركة كبيرة بالقدر الكافى والى جانب ذلك كان يعتقد دائما أن عدم الأثباتية فى العمل التجارى يحتم دفع جميع المستحقات . وقال « لقد جاءتني فكرة أو فكرتان قد تحققان النجاح . والمسألة بالطبع تحتاج لبعض التنظيم ، والآن فلنفرض أنني وأنت استطعنا الدخول فى اتفاق تجارى ، هذا مجرد افتراض كما تعرف ، ففي هذه الحالة فأننى سأضطلع بالعملية وبذلك نستطيع الحصول على نسبة مئوية من الأرباح بعد خصم جميع النفقات » . فقال أرنست « ولكنهم لا يريدون تنفيذ هذا الاختراع فقد بحثت هذا الأمر فى أماكن مختلفة » .

فوضع المستر برتشارد يده على رغبة أرنست ، وكان لديه شعور أجوف بأنه ينبغي عليه أن يكف عن الحديث مع أرنست ولكنه تذكر النظرات التهكمية فى عيني أرنست ، وهو كان يريد الفوز بأعجاب أرنست وتقديره ومن ثم فإنه لم يستطع الكف عن الكلام . فقال « فلنفرض أننا كونا شركة وقمنا بحماية الفكرة ، أقصد نحتكر الاختراع ، وما أن نوظف عملية تصنيع هذا النوع من المنتجات فإن حملة على المستوى القومى »

فقاطعه أرنست قائلا « لحظة من فضلك »

ولكن المستر برتشارد كان قد جرفته التيار حيث استمر قائلا : « والآن فلنفرض أن هذه الرسومات والتصميمات وقعت بمحض الصدفة فى أيدي هارت أو شافنر وماركس أو أى واحد من كبار أصحاب المصانع على نفس مستوى هؤلاء ، أو نفرض أنها وقعت فى أيدي المنظمة الاتحادية لأنهم بالطبع قد يحصلون عليها بمحض الصدفة ، فربما تكون لديهم الرقبة فى أن يشتروا منا جميع الكميات المصنعة بل يشتروا منا حقوق الإنتاج » ، فبدت على

أرنست دلائل الشغف والاهتمام وقال : « يشترون منسأ احتكار الاختراع » .

« ليس فقط أحتكار الاختراع ولكن يشترون الشركة بأكملها » فقال أرنست « ولكنهم إذا اشترؤا احتكار الاختراع فباستطاعتهم أن يقتلوه »

وهنا تفتحت عينا المستر برتشارد ولعت حدقتا عينيه من خلال نظائره وظهيرات ابتسامة بسيطة على زاويتي فمه ، وغابت كاميل عن ذهنه بشكل مستمر منذ أن هبطت من الاتوبيس القادم من يسيدرو ، وقال « كن بعيد النظر الى أكثر من ذلك قليلا ، فنحن عندما نبيع الشركة ونحلها فإننا ندفع فقط ضريبة كسب رأس المال على الأرباح » .

فقال أرنست في إثارة « ذلك شيء جميل . نعم ياسيدي ، شيء جميل للغاية ، أن ذلك ابتزاز رائع للغاية . نعم يا سيدي ، لا أحد يستطيع أن يلمسنا » .

فاختفت الابتسامة من على وجه برتشارد ، وقال « ماذا تقصد بكلمة ابتزاز ؟ أنا نهدف أصلا الى التقدم في المشروع والقسيام بالتصنيع وباستطاعتنا طلب شراء المعدات »

فقال أرنست « ذلك ما أعنيه » ، أنها من نوع ممتاز للغاية ، فهي مغطاة من جميع النواحي ، أنت رجل ماهر وقدير وذكي » .

فقال المستر برتشارد « آمل ألا تظن أن هذه المسألة لا تتصف بالأمانة ، فأنا أمارس الأعمال التجارية وخبرتي فيها مستمرة على مدى ٢٥ عاما متصلة وقد وصلت الى منصب الرئاسة في شركتي ، ويمكنني الفخر بسجل أعمالي » .

فقال أرنست « أنني لا أنتقدك ، كل ما في الأمر أنني أعتقد أنك توصلت الى فكرة راسخة للغاية في ذلك الموضوع . وأنا متفق معك في الرأي ، ولكني فقط »

فقال المستر برتشارد « فقط ماذا ؟ » .

فقال أرنست « أنني أواجه نقصا في النقود ، وفي حاجة الى مبلغ عاجل من الدولارات الأمريكية ، أوه ، حسنا ، باستطاعتي الاقتراض على ما أظن » .

« لأي شيء تريد النقود ؟ فلربما أستطيع أن أعطيك سلفة »

فقال أرنست « لا ، سأدبر أموري بنفسى »

وتساءل المستر برتشارد « أهى فكرة جديدة أو تعديل خطر على ذهنك ؟ » .

فقال ارنست « نعم ، اننى أريد أن أبعث بهذه الفكرة الى مكتب التسجيل عن طريق الحمام الزاجل » .

فقال المستر برتشارد « أنت لا تفكر لدقيقة واحدة » فقال ارنست « بالطبع لا ، بالتأكيد لا ، ولكنى سأكون أكثر سعادة عندما يذهب ذلك المظروف وحده الى وشنجن » .

وأسند المستر برتشارد رأسه الى الخلف وابتسم . وكان الطريق الرئيسى يلف ويدور أمامه ، وبين كتفى القنطرتين الهائلتين كان يوجد الممر المؤدى الى الوادى التالى .

« ستكون على مايرام يا ابنى ، وأظن أن باستطاعتنا الاضطلاع بالعمل ، وان كنت لا أريد لك أن تظن اننى أجرى وراء المنفعة الشخصية ، فسجل أعمالى يتحدث عن نفسه »

وقال ارنست « أوه ، لا أظن ذلك عنك » ثم نظر خفية نحو المستر برتشارد وأردف قائلاً « المسألة فقط هو اننى قد حصلت على اثنتين من السيدات الجميلات للغاية فى لوس انجلوس وأنا لا أريد الدخول فى تلك الشقة ونسيان كل شيء » ثم تفحص رد الفعل الذى كان يريده .

فقال المستر برتشارد « سأمضى يومين فى هوليوود ، ولربما استطعنا التحدث قليلاً فى العمل التجارى »

« أترقب فى الدخول الى شقة هاتين السيدتين ؟ »

« حسناً ، ان الرجل منا يحتاج لنوع من الاستجمام . لذلك سأكون موجوداً فى بفرلى ويلشاير ، ويمكنك ان تزورنى هناك » .

وقال ارنست « سأزورك بكل تأكيد ، أى النساء تفضل من حيث لون البشرة ؟ »

فقال المستر برتشارد « لا تسىء فهمى ، اننى أرغب فى الجلوس وتناول الويسكى الاسكوتش والصودا ، ولكننى لى مركزى ومقامى كما تعرف ، ولا أريد منك أن تسىء فهمى » .

وقال ارنست « أوه ، انا لا أسىء فهمك ، ولربما إتمكن من التقاط الشقراء الجالسة أمامنا هنا اذا كنت تريدها » .

فقال المستر برتشارد « لا تكن سخيفاً » .

وكان بيميلز قد تحرك الى الامام فى الاتوبيس ، وشعر باحتراق

مؤلم في الجانب الأسفل لفكه فأدرك أن إحدى البثور تمسك بدور التكوين ، وكان جالسا في المقعد الذي يقع على الجانب الآخر من ميلدريد . ولم تكن لديه الرقبة في أن يلمس بيده المكان الجديد ولكنه كان فاقد السيطرة على يديه ، فتحركت يده اليمنى لأعلى وحك اصبع سبابته التورم الصغير الموجود تحت ذقنه . وكان تورما محتقنا للغاية وكان هذا الدم بصدد أن يصبح شيئا يصعب السيطرة عليه ، وأدرك مسبقا الشكل الذي سيكون عليه وأراد أن يهرشه ويعتصره ويشقه ويمزقه . وكانت أعصابه محتدة ومتوترة فدفع بيده في جيب معطفه وقبض يده في احكام هناك .

« وكانت ميلدريد تحلق بنظرات خاوية خارج النافذة ، وقال بيميلز « أتمنى أن يكون باستطاعتى الذهاب للمكسيك » فنظرت ميلدريد فيما حولها نحوه في دهشة ، وأمسكت نظارتها بالضوء القادم من نافذته وحملت فيه دون أن تتبينه بوضوح . وازدرد بيميلز ريقه وقال في ضعف « لم يسبق لى الذهاب الى هناك على الإطلاق » .

فقالت ميلدريد « ولا أنا » .

« نعم . ولكنك بصدد الذهاب »

فأومات برأسها ، ولم ترغب في النظر اليه لأنها لم تكن تستطيع منع عينيها من النظر الى الاكزيما الخاصة به مما كان يسبب له الخجل والاضطراب . وقالت له في شيء من القلق : « ربما تستطيع الذهاب في وقت قريب » .

فقال بيميلز « أوه ، سأذهب بالتأكيد ، سأذهب الى كل مكان ، فالانسان يحصل على الخبرة في الحياة من خلال الاسفار » فأومات برأسها مرة أخرى وخلعت نظارتها لحماية بيميلز من نظراتها ، وعندئذ لم يعد في مقدورها أن تراه بوضوح .

« فكرت في اننى ربما أصبح مبشرا مثل سينسر تراسى وأذهب الى الصين وأشفى الناس هناك من كل تلك الامراض . ألم يسبق لك الذهاب الى الصين ؟ »

فقالت ميلدريد « لا » ، وبهرها تفكيره .

وقد حصل بيميلز على معظم أفكاره من الافلام السينمائية والجزء الباقي حصل عليه من الراديو ، وقال « انهم أناس فقراء للغاية هناك في الصين ، فبعضهم قد بلغ درجة كبيرة من الفقر الى

الحد الذي يجعلهم يموتون جوعاً تحت نافذة منزلك إذا لم يحضر
لنجدتهم أحد المبشرين لتقديم يد العون والمساعدة لهم ، وهم يحبونك
إذا قدمت المساعدة لهم وإذا اقترب منك أى يابانى وأحدث متاعب
فإنهم يطعنونه بالسكين على الفور » ، ثم أوما برأسه في وقار واستطرد
« وأعتقد أنهم أناس أخيار مثلك ومثلى تماماً ، أن ما فعله سينسر
تراسى هو أنه جاء اليهم وشفاهم من أمراضهم فأحبوه ، وهل
تعرفين ماذا فعل ؟ أنه اكتشف روحه وجوهره ، وكانت هناك تلك
الفتاة ولم يعرف ما إذا كان ينبغى عليه أن يتزوجها لأنها كان لها
ماض . واتضح له بالطبع أن الفلطة لم تكن غلطتها بل واتضح له
أن ذلك لم يكن صحيحاً ولكن تلك السيدة العجوز هى التى كانت
تشيع الأكاذيب عنها »

ولمعت عينا بيميلز بفعل العطف والشفقة والحماس ، واستطرد
قائلاً « ولكن سينسر تراسى لم يصدق تلك الأكاذيب ، وعاش في
قصر قديم به أنفاق وسراديب وممرات سرية حسنا وبعدئذ يجيء
اليابانيون »

فقالت ميلدريد « لقد شاهدت هذا الفيلم .
وانطلق الاتوبيس على السرعة الثانية لعبور المطلاع الأخير . وكان
الاتوبيس آنثد عند قمة الفجوة ثم بزغ وأخذ ملغاً شديداً الى اليسار
والى أسفل كان الوادى كثيباً معتماً بفعل السحب الرمادية وكانت
العروة المائلة لنهر سان يسيدرو تلمع مثل الصليب القاتم تحت الضوء
العابس . فقلل جوان من سرعة الاتوبيس وبدأ في الهبوط .

الفصل العاشر

يجرى نهر سان يسيدرو عبر وادي سان جوان متخذاً طريقه في خط غير مستقيم فهو يدور ويلتوي الى أن يصب في بطن في خليج البلاك روك تحت رعاية وحماية مشروع نقطة بات Pot point والوادي في حد ذاته طويل وثير متسع ويحاول نهر سان يسيدرو الذي لا يجري لمسافة بعيدة للغاية الاستفادة لاقصى حد من أي مسافة يجري عليها وذلك بالتحرك من أحد جوانب الامتداد المنبسطة إلى الجانب الآخر، وهنا يشق طريقه تحت صخرة وعند جبل وبعدئذ يمتد رفيعاً على شواطئ رملية . وطوال فترة لا بأس بها من السنة لا توجد به مياه سطحية على الإطلاق فيمتلئ قاع مجرى النهر بأشجار الصفصاف التي تمتد جذورها إلى أسفل نحو المياه الجوفية .

وعندما تنضب مياه النهر تتخذ الأرائب والراكونات والشمالب الصغيرة مساكن لها بين أشجار الصفصاف النامية في قاع النهر . وعند راسي الوادي من جهة الشمال والشرق يبرز النهر ليس في شكل رأس واحدة وإنما في شكل فروع صغيرة متعددة حتي أن المنبسع على الخريطة يشبه شجرة ذات أغصان صغيرة بدون أوراق ، وتزود التلال الجافة والصخرية بحوائفها وأخاديدها ووديانها الصغيرة النهر بالمياه على مدار السنة ولكن عندما يسقط المطر في أواخر الشتاء والربيع تمتص الحواف الصخرية قدراً قليلاً من الماء وتقلد بالجزء الباقي في شكل سيول جارفة سوداء إلى الجداول الصغيرة التي تتشعب خارجة من الثنايا وتتحد الجداول الصغيرة مع بعضها البعض وتتصل بمصارف أكثر اتساعاً وتتلاقى المصارف عند الطرف الشمالي من الوادي .

وفي أواخر الربيع أي عندما تكون التلال قد استوعبت بقسندر ما تستطيع أكبر كمية من الأمطار قد تتسبب عاصفة هوجاء في رفع نهر سان يسيدرو إلى حالة الفيضان الغاضب خلال ساعات قليلة للغاية ، وعندئذ تقوم المياه الصفراء المزيدة بقطع شواطئ النهر فتقع في المجرى كتل هائلة من الأراضي الزراعية ، ثم تسير أجساد

الأبقار والأغنام متشكلة ومتدحرجة مع الفيضان الأصفر اللون . فهو نهر متقلب وسريع الفيضان ميت خلال فترة من السنة وميت خلال فترات أخرى .

وفي منتصف الوادي الذي يقع على خط مستقيم بين ريبيل كورنرز وسان جوان دي لا كروز يسير النهر في شكل عروة هائلة ممتدة من جانب لآخر عبر الوادي المنبسط حيث يلتف النهر فوق الجبل على الحافة الشرقية ويتحرك بعيدا ليحبر الحقول والأراضي الزراعية ، وكان الطريق في الأزمنة القديمة يسير بعداء عروة النهر ويحف فوق التل متجنباً عبور النهر . ولكن مع ظهور المهندسين والصلب والخرسانة شيد كوبريان فوق النهر فاختصرا ١٢ ميلا من المداعبات التي يقوم بها نهر سان يسيدرو .

وكان الكوبريان مصنوعين من الخشب ومدعمين ومعلقين فوق قضبان من الصلب ، وكان كل منهما مدعما في الوسط وفي الأطراف بأعمدة من الخرسانة ، وكانت أخشابها مطلية باللون الأحمر الداكن أما الحديد فكان له لون قاتم بسبب الصدأ ، وعلى جانب النهر عند الكوبريين كانت المياه المنحسرة للخلف بفعل اكوام الصفصاف المجدول المنبسط كالمرتبة تنحرف بالتيار الرئيسي للمياه نحو بواكي الكوبري مانعة التيار الناحر من تقويض رأس الكوبري .

ولم يكن هذان الكوبريان قديمين للغاية ولكنهما قد شيدا في وقت كان فيه معدل الضريبة منخفضا بالإضافة الى أنه تعدد أيضا جمع قدر كبير من الضرائب بسبب ما كان يسمى بفترة الكساد العظيم ، فقد رأى مهندس الاقليم أن الأمر يقضى بتشيد الكوبرين في حدود الميزانية التي لم تكن تسمح إلا بأبسط أنواع التشيد وكان ينبغي أن تكون أخشابها أكثر ثقلا وذمائمها أكثر عددا ، ولكنه كان مضطرا للبناء في حدود اعتمادات مالية محدودة ، فتم التشيد على ذلك النحو . وفي كل عام كان المزارعون في وسط الوادي يرقبون النهر في سخرية لانهم كانوا يدركون أنه قد يحدث في أي وقت فيضان سريع وساحق مما يؤدي الى اقتلاع الكوبريين ، وكانوا في كل عام يتقدمون بالالتماس للولاية لاستبدال الكوبريين الخشبيين ولكن لم تكن هناك أصوات كافية عن القطاع الريفي لتحويل لغة الالتماس الى لغة أمرة ، أما المدن الكبيرة فكانت لديها الأصوات الكافية عن القطاع الحضري وكانت لديها الممتلكات والعقارات التي يمكن فرض الضرائب عليها ولذلك كانت تنصب على هذه المدن التحسينات

والاصلاحات ، وكان الناس لا يرحبون بالهجرة الى الاراضى الزراعية المتوسطة الخصوبة وكانوا ينظرون الى محطة لخدمة السيارات فى سان جوان على أنها افضل من مائة فدان مزروعة بالقمح فى الوادى . وكان المزارعون يدركون أن الكوبرين سيتحطمان ان عاجلا أو آجلا وعندئذ - وعلى حد قولهم - سيفيق مجلس المقاطعة من سباته ويعود الى رشده ..

وعلى مساحة مائة ياردة من الكوبرى الاول فى اتجاه ريبيل كورنرز كان يوجد متجر عام على الطريق الرئيسى يحتوى على مواد البقالة واطارات السيارات ومعدات وبضائع وحدايد وكلها أشياء كان يشتريها المرء فى فترة ما بعد ظهر يوم السبت أو عندما لا يكون لديه متسع من الوقت لان يقود سيارته سواء الى سان جوان دى لاكروز أو الى سان يسيدرو عبر سلسلة التلال . وكان هذا المتجر العام للمستتر « بريد » ، وفى السنوات الاخيرة اُضيف لمتجره مضخات البنزين وكميات من قطع الغيار للسيارات شأنه فى ذلك شأن اصحاب جميع المتاجر العامة الريفية .

وكان المستتر بريد وزوجته حارسين قير رصمين على الكوبرى . وفى اوقات الفيضان كان تليفونهما يدق باستمرار فكانا يقومان بتزويد الجمهور بالمعلومات عن مدى ارتفاع النهر .

وكانا معتادين على ذلك . وكل ما كان يقلقهما هو انه اذا انهدم ذلك الكوبرى فى يوم ما واذا ما تم اختيار موقع للكوبرى الجديد على مسافة ربع ميل أسفل النهر فانهما سيضطران الى نقل مكان متجرهما العمومى وبناء متجر جديد بالقرب من الكوبرى الجديد . وكانت نصف مبيعاتهما على الأقل فى هذه الايام من المشروبات الهادئة غير الكحولية والساندوتشات والبنزين والحلوى التى يشتريها المسافرون على الطريق الرئيسى . وحتى الاتوبيس الذى يعمل بين ريبيل كورنرز وسان جوان كان يتوقف باستمرار عند متجر بريد لاحتضار الطرود العاجلة وكان المسافرون عليه يتناولون المرطبات والمشروبات الهادئة . وكان آل شيكوى وآل بريد اصداقاء مخلصين لبعضهم البعض منذ فترة طويلة .

وكان النهر مرتفعا آنئذ . بل وكانت توجد - كما قال المستر بريد لزوجته - ضربات الماء التى تتحرك فجأة تحت الاعمدة وتصل حركتها الى أعلى الكوبرى ، فاذا شقت لنفسها اخدودا فى ظهر الكوبرى فسوف يتعطل متجرهم » ، وقد قام بريد بسنت رحلات

الى رأس الكوبرى منذ بزوغ ضوء النهار وأدرك أن رأس الكوبرى
سيثا ، وقد وقف بدقنه غير الحليقة وبشفتيه المزمومتين فوق
الكوبرى فى الساعة الثامنة صباحا وراح يرقب المياه الصافراء
المتقلبة المزركشة بالزبد الأصفر والمنقطة بأشجار البلوط الصغيرة
المقتلعة من جذورها وبعيدان القطن . ورأى عددا قليلا من الواح
الخشب السميك المقطوع من الغابات والمبهدة بالفارة يهبط فى دوامة
الى أسفل . وبعدئذ شاهد قطعة من سقف مازالت بها أخشاب
السقف الخاصة بها ، ثم شاهد الجسد الغريق المتمايل للثور الأسود
الذى هو من نوع الأنجوس والخاص بماك أيلروى بشكله المربع
وبأقدامه القصيرة ، وعندما دخلت جثة هذا الثور تحت الكوبرى
انقلبت على ظهرها فاستطاع بريد أن يرى عيني الثور المتوحشتين
المقلوبتين واللسان المتدلى . فشعر بالغثيان والانقباض فى معدته .
وكان كل شخص يعرف أن أسطبل ماك أيلروى يوجد بالقرب
من شاطئ النهر وأن ثمن ذلك الثور ١٨٠٠ دولار . ولم يمتلك ماك
أيلروى هذا الشكل من أشكال النقود ليلقى بها بعيدا ، وصحيح
أنه لم يشاهد انجراكت أى بقرة أخرى من باقى القطيع الى الهاوية
ولكن يكفى فقدان هذا الثور ، فقد كان ماك يعتمد كثيرا على هذا
الثور .

وسار بريد لمسافة أطول فوق الكوبرى ، وكانت المياه آنثذ على
مسافة ثلاثة أقدام فقط أسفل أخشاب الكوبرى ، وشعر بالمياه
المتوتبة تضرب بشدة أساسات الكوبرى فى احتجاج تحت قدميه ،
ومسح دقنه غير الحليقة بأصابعه وسار عائدا الى المتجر ، ولم يخبر
زوجته من الثور الاتجوسى الأسود الذى يمتلكه ماك أيلروى ، لأن
ذلك لن يسبب لها سوى الحزن والأسى .

وعندما استفسر جوان شيكوى عن الكوبرى تليفونيا أخبره
بريد بالحقيقة صراحة . وكان الكوبرى مازال موجودا فى مكانه
ولكن الى متى يظل سليما ؟ هذا فى علم الله وحده ، إذ كانت المياه
مازالت آخذة فى الارتفاع وكانت التلال العارية الحجرية مازالت تفرغ
فيضاتها وسينولها فى النهر علاوة على أن السحب كانت تتجمع
فى السماء من جديد .

وفى الساعة التاسعة أصبحت الأخشاب السفلى منقطة بميناه
الفيضان باستثناء ١٨ بوصة فقط ، فإذا ما وقع الضغط على تلك
الدعائم والأعمدة وإذا قامت أعداد قليلة من الأشجار المقتلعة من

جدورها بالدفع بعنف في الكوبرى هندئذ ستكون المسألة مسألة وقت فقط ، ووقف بريد خلف بابيه ذى الشاشات وراح يطرق في ايقاع بأصابعه فوق الأسلاك .

وقالت زوجته « دعنى أعد شيئا من طعام الافطار ، اتظن انك قد امتلكت الكوبرى ؟ »

فقال بريد « اننى املكه بشكل ما ، فاذا تحطم الكوبرى سيقولون ان الغلطة هى غلطى ، علما باننى اتصلت بمكتب المشرف ثم اتصلت بمهندس المنطقة فلم اجد احدا منهما في مكتبه ، ولو وصل ذلك الاخدود الى عامود الكوبرى سينتهى كل شيء » ،
« يحسن بك ان تتناول قدرا من طعام الافطار ، سأعد لك بعض الكعك المصنوع من دقيق القمح » .

فقال بريد « وهو كذلك ، لا تجعلى الكعك سميكا للغاية » فقالت المدام بريد « اننى لا اصنعه سميكا أبدا ، اريد ان أضع لك بيضة فوق الكعك ؟ »

فقال بريد « بالتاكيد » واستطرد « لست أدري ما اذا كان جوان شيكوى سيقوم برحلته ام لا ؟ . ومن المتوقع ان يصل بعد حوالى ساعة . وبحق السيد المسيح ان المياه لمرتفعة للغاية !! »
فقالت المدام بريد « لاداعى للقسم »

فنظر زوجها اليها وقال « اننى اقول ان هذه احدى المرات التى تستوجب كل الدوامى للقسم ، سأتناول جرعة من الخمور » .
« قبل ان تتناول طعام الافطار ؟ »
« قبل كل شيء » .

وهى لم تكن تدري بالطبع بما حدث للثور الاسود ، وذهب الى تليفون الحائط وأدار القرص على رقم ٣٢ الخاص بملك ايلروى ، وظل رافعا السماعة الى ان رد عليه بايندال على مسافة ميلين على نفس الخط الخاص بملك ايلروى .

وقال بايندال « لقد حاولت انا الاتصال به ايضا ولكن تليفونه صامت ولا حياة فيه » ، اننى سأذهب اليه لكنى اطمئن عليه »
وقال بريد « آمل ان تذهب للاطمئنان عليه ، لقد انجسرف ثوره تحت الكوبرى هذا الصباح »

فنظرت المدام بريد في قعر وصاحت « وولتار ! »
« نعم » ، هذا هو ما حدث ، ولكنى لم اخبرك لكى تشعري بالانزعاج »

فقالت المدام « وولتار ! اوه ، يا الهى »

الفصل الحادى عشر

وقفت آليس شيكوى خلف الباب ذى الشاشات وشاهدت الاتوبيس لدى تحركه بعيدا ، وتركت الدموع تجف فوق خديها ، وعندما لم يعد بإمكانها متابعة الاتوبيس من مكانها عند البسّاب ذهبت الى النافذة الجانبية حيث يمكن لها مشاهدة الطريق الاقليمى من خلالها . قرأت الاتوبيس وهو يجرى تحت مسافة صغيرة من ضوء الشمس متوهجا للحظات قصيرة ثم لم يلبث أن غاب عن بصرها تماما ، فسحبت آليس نفسا طويلا ثم أطلقتها فى تاوه شهوانى ، لقد كان ذلك اليوم هو يومها . كانت بمفردها ، وشعرت بالسعادة لأنها أصبحت بعيدة عن أمين الناظرين وملاحظاتهم وشعرت أيضا أنها مثقلة بالخطايا ، وفى بطنه شدة رداءها لأسفل لازالة الكرمشة وداعبت فخذيها ، ونظرت الى إظافرها ، لا ، فليتم ذلك الامر فيما بعد .

ونظرت ببطء فى أرجاء صالة الطعام ، كان لا يزال باستطاعتها ان تشم رائحة دخان السجائر ، وكانت هناك أعمال تنظف القيام بها الا أن ذلك اليوم كان يومها فقامت بانجاز المطلوب منها فى بطنه ، فأحضرت فى بادىء الامر من الدولاب لافتة من الورق المقوى مكتوبا عليها كلمة « مغلق » بحروف كبيرة . وذهبت للخارج وعلقت اللافتة على مسمار فوق حافة الباب ذى الشاشات ، ودخلت وأغلقت الباب ذا الشاشات وأحكمت غلقه بالمزلاج ثم جددت الباب الداخلى وأدارت المفتاح فيه ، ثم أغلقت الشيش فى جميع النوافذ لكى لا يتمكن أحد من النظر الى الداخل .

وكانت صالة الطعام معتمة فى ضوء كالغسق وكان الهدوء مهيمن عليها ، وارتحت آليس تعمل فى تان وروية ، فغسلت فناجين القهوة المتسخة وحفظتهما فى أماكنهما ثم غسلت الكاونتر والمناضد وأخفت الشظائر تحت الكاونتر . وأحضرت مقشاة من غرفة النوم وكنست الأرضية ووضعت التراب والوحل وأعقاب السجائر فى صفيحة القمامة ، ولع الكاونتر قليلا تحت الضوء المعتم الذى يشبه الغسق . وبدأت المناضد بوضاء ونظيفة .

وجاءت من حول الكاونتر ، وجلست فوق أحد الكراسي التي لا مسند لها ، لقد كان هذا اليوم هو يومها !! وشعرت بشيء من السخافة والغباء والدوار ، وقالت بصوت مرتفع « حسنا ، ولم لا ؟ » وأردفت « اننى لا احصل على قدر وفير من المرح ، احضرى لى كاسا من الويسكى مضاعف الكمية واسرعى به الى »
وضعت يديها على الكاونتر ونظرت اليهما فى عناية وهمست لنفسها « يدان مسكينتان محطمتان بسبب العمل ، يدان عزيزتان » ثم قالت فى صراخ « أين بحق السماء ذلك الويسكى ؟ » وأجابت على نفسها : « نعم ، ياماما ، سيأتى اليك حالا ياماما . »
فقال آليس « حسنا ، ذلك أفضل ، فانا أريدك فقط أن تعرقى من التى تتحدثين اليها . لا تضعى أحمر الشفاه لأنك لن تفلحى فى عمل بدون أن اكتشفك أمرك وأعاقبك ، فانا منتبهة لما تفعلين »

وأجابت على نفسها « نعم ، ياماما » ثم نهضت وذهبت الى خلف الكاونتر .

وعند نهاية طرف الكاونتر كان يوجد صوان صغير منخفض وقريب من الأرض ، فأنحنت عليه آليس وفتحت بابه وتحسست بيدها داخله دون أن تنظر الى داخله وأخرجت خمس زجاجة ويسكى من نوع الأولد جراندا ، والتقطت كوب ماء من فوق الرف وحملت الزجاجة والكوب الى الكاونتر امام الكرسى الذى كانت تجلس عليه .

« انجلسين هنا ياماما ؟ »

« أنقلى هذه الأشياء الى تلك المنضدة ، انظنين اننى أشسبه أولئك الذين يقفون عند البارات ؟ »
« لا ، ياماما »

« احضرى لى أيضا كوبا اخرى وزجاجة من البيرة الثلجية »
« نعم ، ياماما »

ثم حملت كل هذه الأشياء وسارت نحو المنضدة التى توجد بجوار الباب ووضعتها على المنضدة وقالت « يمكنك أن تذهبنى الآن » وأجابت « نعم ، ياماما »

« ولكن لا تذهبنى بعيدا ، فربما أريد شيئا . »

وبينما كانت تصب البيرة ضحككت فى نفسها فى شيء من الفتور وقالت « لو سمعنى أى شخص لاعتقد اننى مجنونة ، حسنا

ربما اكون كذلك بالفعل » وصبت جرعة كبيرة في الكوب الأخرى وقالت « يا أليس استعدى للشراب » ولوحت بالكوب واحتستت في بطنه . ثم تبتلع الجرعة وانما جعلت الويسكى الصافي النقي يتحرك في بطنه ويحرق وينساب فوق لسانها وخلفه ، وازدردت ويقها في بطنه فشعرت بشيء يعض في سقف فمها ، وسرى دفء الويسكى في صدرها وفي معدتها ، وحتى بعد أن أفرقت الكوب ظلت رافعة أياها على شفيتها . ثم انزلت الكوب وقالت « آه » وأطلقت زفيرا في صوت خشن وأجش .

واستطاعت أن تتذوق الويسكى اللذيذا مع عودة أنفاسها . ثم مدت يدها نحو قدح البيرة ، وضعت ساقا على ساق وراحت تشرب ببطء الى أن فرغ القدح .

وقالت « يا إلهي » .

وبدا على أليس أنها لم تكن تعرف مطلقا كيف أن صالة الطعام كانت مريحة وجذابة للغاية بأصواتها المنسابة . لأسفل من خلال شيش النوافذ المائلة . وشعرت بمرور لوري على الطريق الرئيسي فازعجها ذلك ، فلنفرض أن شيئا ما ظهر بالصدفة ليعكر صفوها ؟ حسنا أنهم قد يضطرون الى كسر الباب ولكنها لن تسمح لأحد بالدخول . وصبت بوضعتين من زجاجة الويسكى في كأس وأربع بوصات من البيرة في الكأس الأخرى .

وقالت « توجد أكثر من طريقة لتناول الجرعة » ثم دفعت بالويسكى الى جوفها ودفعت بالبيرة وراءه مباشرة . . . والآن توجد فكرة . ان المذاق يختلف تبعا لطريقة الشرب ، فالطريقة التي تشرب بها تغير المذاق ، لماذا لم يكتشف أي انسان آخر تلك الحقيقة وأليس فقط هي التي اكتشفتها ؟ ينبغي أن يكتب شخص ما عن هذه الحقيقة — « الطريقة التي تشرب بها هي التي تصنع المذاق » . وكان يوجد توتر بسيط في جفن عيناها اليمنى وجرى ألم قريب في عروق ذراعها إلا أنه ألم ممتع .

وقالت في وقار « لا أحد عنده الوقت الكافي لاكتشاف الأمور » واستطرد « لا يوجد متسع من الوقت » وملايت نصف كوب بالبيرة ثم أكملته بالويسكى « ترى هل يجزب أي شخص ذلك من قبل ؟ » وكان حامل ورق السفارة المعدني موجودا أمامها فرائت انعكاس وجهها عليه ، فقالت « هالو » أيتها الفتاة ، ولوحت بالكأس فظهر

انعكاسه مشوها على المعدن اللامع مثل وجهها « وهنذه طريقسية .
يافتاة . في صحتك . . يافتاة » ثم شربت البيرة والويسكى بنفس
الطريقة التي يشرب بها رجل في سن الثلاثين اللبن ، وقالت « آه ،
ليس هذا أمرا سيئا للغاية ، لا ياسيدى ، أظن أنني قد حصلت على
شيء ما هناك ، ذلك حسن » .

وخركت حامل ورق السفارة لكي تتمكن من رؤية نفسها بشكل
أفضل إلا أن انحناء في السطح المعدني جعل أنفها يبدو منكسرا عند القمة
ومثل البصلة المثلثة عند القاع . فنهضت ودارت حول الكاونتر
وذهبت إلى غرفة النوم وأحضرت مرآة يد مستديرة إلى المنضدة
وسندتها على وعاء السكر وجلست ووضعت ساقا على ساق . « هنا
الآن ، أود أن أدعوك للشراب » وضبت ويسكى . في الكوبين وقالت
« بدون بيرة ، الكل بدون بيرة ، حسنا ، سنتبع هذه الطريقة » .
وذهبت إلى صندوق الثلج وأحضرت زجاجة أخرى من البيرة
وقالت للمرأة « والآن ، أفهمين ، نحن نضع أولا قدرا قليلا من
الويسكى - كمية ليست كبيرة للغاية وليست صغيرة للغاية . ونضيف
الكمية المناسبة تماما من البيرة ، وها أنت هناك » ودفعت بإحدى
الكأسين نحو المرأة وأفرقت في جوفها الأخرى وقالت « بعض
الناس يخشون تناول الخمر ، أنهم لا يستطيعون تناولها ،

« آوه ، ألا تريدونها ؟ حسنا ، هذا من حقا . فلن أجبرك
على تناولها ، ومع ذلك فأنا لن ألقى بها إلى صندوق القمامة » ثم
ابتلعت الكأس الثانية ، وأصبحت وجنتساها متخدرتين أثلا كان
صقيعا أخذ يلدغ في البشرة . وكانت عيناها مبللتين ولاهعتين ،
وألقت إلى الخلف خصلة شعر غير مثبتة .

« لا داعي لأن تجعلى مزاجك ينحرف لمجرد أنك تمضين وقتا
طيبا » . وفجأة وبدون سابق إنذار رفرفت رؤية في رأسها .
فقامت بقلب المرأة على وجهها . وهبطت عليها تلك الرؤية بقوة
وبسرعة شديدة حتى أنها كانت بمثابة ضربة وقعت عليها . وربما
نبعت تلك الرؤية فجأة من الظلام الذي بدأ يهيمن على الغرفة ،
فصاحت آليس « أنني لا أريد التفكير في ذلك الأمر ، أنني أكره
التفكير في ذلك » .

ولكن الفكرة والرؤية كانتا موجودتين في داخل رأسها .
غرفة أظلمت أضائها وسرير أبيض وأما مشلولة ومتخشبة
لا تقوى على الحركة وعيناها تحمقان لأعلى في خط مستقيم ،

وبعدئذ ترتفع اليد البيضاء من تحت الغطاء في حركة مليئة بالياس طالبة النجدة والعون ، وعندئذ كانت آليس تتسلل في هدوء الى الداخل ولكن تلك اليد كانت ترتفع في عجز مخيف فكانت آليس تمسك بها لبرهة قصيرة ثم تسقطها في رفق وتخرج ، وفي كل مرة دخلت فيها آليس تلك الغرفة كانت تلمس من اليد الا ترتفع وان ترقد وتموت مثل بقية أعضاء الجسم .

وصرخت آليس « لا أريد التفكير في ذلك الأمر » وأردفت كيف دخلت تلك الفكرة الى رأسي ؟ » واهتزت يدها فاصططكت الزجاجاة بالكوب محدثة قعقة عالية . وصبت جرعة كبيرة وأفرغتها فتوقفت بعض الشيء في حلقها مما جعلها تكبح وتسعل ، وعندئذ فقط أجابت أنها انقلبت نفسها من الوقوع فريسة للمرض . وقالت « سيصلح ذلك من شأنك » وأردفت « أريد التفكير في أي شيء آخر » .

وتخيلت نفسها في السرير مع جوان . ولكن ذهنيها انزلق الى ما وراء ذلك ، وقالت في تفاخر « لقد كان باستطاعتي الحصول على أي رجل يروق لي » . واستطردت « يعلم الله ؟ عدد كبير من الناس قد توددوا الى ولكني لم أستسلم لهم كثيرا » والتوت شفتاها في تباعد عن أسنانها بطريقة شهوانية بعض الشيء وصاحت « ربما كان ينبغي على أن أفعل عندما كان ذلك في استطاعتي . فانا بسدت أنقدم في السن - تلك الكذوبة ملعونة » واستطردت « انني في نفس الحالة الجيدة التي سبق أن كنت عليها دائما ، بل انني أفضل من ذي قبل !!! من بحق الجحيم يرقب في امرأة سيئة الخلق حادة المزاج عجفاء هزيلة لا تعرف ماذا تفعل ؟ فلا أحد من الرجال يرقب فعلا في نساء مثل ذلك .. باستطاعتي أن أذهب الآن على الفور والتقطهم مثل الذباب »

وكانت كمية الخمر في الزجاجاة تصل آنثا الى أقل من النصف ، وسكنت قليلا من الخمر خارج الكأس وهي تصب فضحكت لنفسها وقالت « لا أعتقد انني بصد أن أصبح مخمورة بعض الشيء » . وجاء طرق هائل على الباب ذي الشاشات . فتجمدت آليس جلست صامتة في مكانها ، وجاء الطرق مرة أخرى ، وقال صوت رجل في نغمة عالية « لا أحد هنا ، تخيل لي انني سمعت كلاما » فرد عليه صوت امرأة « حسنا ، حاول مرة أخرى ، فلربما يكونون بعيدين في الخلف » .

والتقطت آليس مرآة اليد برفق ونظرت الى نفسها ، واومات برأسها وغمزت باحدى عينيها غمزة كبيرة ، وجاء الطرق مرة أخرى .
« قلت لك أنه لا يوجد أى شخص هنا »

« حسنا ، جرب الباب »

وسمعت آليس الكركبة والخشخشة المنبعثة من الباب ذى الشاشات . وقال الرجل « الباب مغلق بالقفل » وردت المرأة « انه مغلق بالقفل من الجانب الداخلى ، ولا بد أنهم موجودون فى الداخل » فضحك الرجل واحتكت أقدامه فى الحصى « حسنا ، اذا كانوا موجودين هناك فى الداخل فهم يريدون أن يكونوا وحيدين ، الا تريدن أبدا أن تكونى وحيدة أيتها الطفلة الصغيرة الحلوة ؟ أقصد وحيدة معى ؟ »

فقالت الفتاة « أوه ، أسكت » واستطردت « أريد ساندوتشا .
« بالنسبة لذلك عليك بالانتظار » .

وتعجبت آليس كيف أنها لم تسمع السيارة أو وقع الاقدام على الحصى قبل أن يجيئ الطرق على الباب ، وراحت تفكر :
« أراهن على أننى مخمورة » ، واستطاعت سماع السيارة لدى انصرافها بعيدا .

فقالت آليس بصوت مرتفع « ألا يمكنهم أن ينظروا الى كلمة «لا» على أنها اجابة » واستطردت « فالانسسان يريد فقط أن يأخذ يوما للراحة واستجماع نشاطه ، وهم على أى حال قد زودوا أنفسهم بساندوتشات لعينة »

ورفعت الزجاجاة لأعلى ونظرت بعينين مفلقتين بعض الشيء الى الويسكى من خلال الزجاجاة فى شيء من الترو والصبر . « الكمية البافية ليست كبيرة » ، وسيطر عليها الخوف والفرع . فلنفرض أنها نفدت قبل أن تصل هى الى ذروة الاشباع ؟ ثم أومات برأسها وابتمت لنفسها ، اذ كانت هناك زجاجتان من الخمر القوية الحلوة المذاق ذات اللون الأحمر الداكن فى داخل الدولاب فى الخلف ، فأعطتها الزجاجتان شعورا بالامن : وصبت لنفسها جرعة كبيرة وراحت ترشفها . ولم يكن جوان يحب أن يتواجد بالقرب من النساء المخمورات ، اذ قال ان وجوههن تصبح متلوية على نحو بغىض للغاية ، حسنا ، ستريه آليس المنظر فقط ، واحتست نصف كمية الويسكى الموجودة فى كأسها ثم وقفت فى تهاقل .

وقالت الكأس بطريقة مهذبة « والآن ، عليك فقط بالبقاء هنا »

وانظاري « وتمايلت قليلا وهي تدور حول حافة الكاونتر ففسدتمتها حافة الكاونتر في جانبها فوق ردفها مباشرة ، فقالت « سيصبح ذلك الجزء مكتسيا باللون الازرق والاسود ، وعبرت غرفة النوم وذهبت الى الحمام :

وبللت الفوطة وحكت الصابون عليها الى أن أصبح لديها معجون سميك ، ثم دعت وجهها ، ودعت بشدة بجوار أنفها وعلى المتجاعيد القليلة التي تعترض ذقنها ، ووضعت جزءا من قماش الفوطة حول اصبع الخنصر وأدارته في فتحتى أنفها وغسلت أذنيها ثم أغلقت عينيها قليلا وشطفت الصابون ونظرت الى نفسها في المرآة فوق الحوض ، وبدأ وجهها محتقنا في احمرار شديد ، وكانت عيناها ملتهبتين في احمرار بعض الشيء ، وراحت تصلح من شأن وجهها لفترة طويلة ، ووضعت الكريم ثم أزالته بالفوطة ، وتفحصت الفوطة بحشاشا من التلوث بها فوجدته ، ثم رأحت تعمل في حاجبيها مستخدمة قلم حواجب بني اللون ، وسبب لها احمر الشفاه بعض المتاعب ، حيث ظهرت نقطة من اللون الأحمر القرمزي منخفضة للغاية على شفرتها السفلى مما اضطرها لأن تمسح كل شيء بالفوطة لكني تبسدا من جديد . وجعلت شفتيها ممتلئتين للغاية ثم ضمتها لبعضهما البعض وجعلت شفة تناسب على الأخرى . ونظرت الى أسنانها ومسحت قدرا من احمر الشفاه مستخدمة فوطتها ، كان ينبغي عليها أن تغسل أسنانها قبل وضع احمر الشفاه ؛ ولتضع البودرة الآن ، فذلك من شأنه أن يزيل اللون الأحمر عن وجهها ، ثم مشطت شعرها ، لم يسبق لها أن أحبت شعرها على الاطلاق ، وبدأت تفقد الشفف والاهتمام وهي تمسك بشعرها بهذه الطريقة او تلك على أمل ان يحدث التأثير المطلوب .

ونقبت في غرفة النوم عن قبعة ضيقة ومناسبة وسنوداء وبها نوع من الحافة الامامية واستخرجتها ودفعت بشعرها لأعلى في داخل القبعة وأملت حافة القبعة في شيء من المجون .

وقالت « والآن سنرى كيف يصبح وجه المرآة ملتويا ، اتمنى ان يعود جوان للمنزل الآن ، فذلك سيجعله يغير رأيه » .

وأحضرت من غرفة النوم زجاجة البلودجيا التي كانت موجودة في درج صوان ملابسها ووضعت عطرا على نهديها وعلى حلمتي أذنيها وعند مفرق شعرها ، ورببت قليلا على شفرتها العليا وقالت « أحب أن اسمه أيضا » .

وسارت عائدة الى صالة الطعام متجنبة في حرص الزاوية التي ارتطمت بها من قبل . وكانت صالة الطعام أكثر اظلاما عن ذي قبل ، لأن السحب قد صارت كثيفة حتى ان قدرا ضئيلا للغاية من الضوء كان ينفذ الى داخل الصالة ، وجلست آليس الى منضدتها وواهمت مرآة اليد الخاصة بها امامها . وقالت « جيمسلة ، انت نوع من الجمال . ماذا انت فاعلة هذا المساء ؟ اتخبين ان تذهبي للرقص ؟ » وصبت الشراب في كأسها ، فلنفرض ان ذلك السائق الذي يعمل على خط السهم الاحمر جاء الى هنا وطرق على الباب . انها ستسمع له بالدخول . اذ كان صائدا عظيما للنساء . عنبدلها ستعطيه جرة او اثنتين وبعدئذ تريه شيئا او شيئين .

وقد تقول له « يا ريد Red ، اذك مشهور بمداعبتك ولكني سأريك شيئا ، سأريك بكل امانة بعض المداعبات التي لا يصدقها العقل ، وتركت ذهنها يطوف على خصره النحيل وعلى سناعديه الثقيل العضلات . وهو كان يتمنطق بحزال عريض حول بنطلونه البلوجينز ، وبنطلونه البلوجينز - حسنا . لقد كان شابا على مايرام . وكان هناك شيء ما يتعلق بهذه البنطلونات ، فهي توجد بها سوستة من النحاس الاحمر متجهة لاسفل بحيث تبدأ شريحة القماش التي تغطي ازرار البنطلون ، وهناك شيء ما في تلك السوستة جلب الاسى والحزن لآليس ، اذ كان لباد Bud سوستة من ذلك النوع من بنطلونه ، مجرد سوستة من النحاس الاحمر هناك . وحاولت تجنب هذه الصورة الذهنية ايضا وعندما فشلت تركت الصورة تتجمع في ذهنها ، فهو كان قد توسل اليها مرات عديدة للغاية ، وأخيرا سارا سويا لمسافة أربعة أميال في الاراضي الخلوية ، وكان « باد » يحمل طعام الغداء : بيض مسلووق وساندوتشات من لحم الخنزير المملح وفطيرة محشوة بالتفاح ، وكانت آليس قد اشترت الفطيرة ولكنها أخبرته انها من صنع يديها ، وهو لم ينتظر لحين تناولهما طعام الغداء .

ولسبب في أصابتها بالجروح ، وبعدئذ قالت له : « الى أين

ذاهب ؟ »

فقال باد « لذي أعمال تتطلب الانجاز »

« ولكنك قلت أنك تخبني »

« أقلت أنا ذلك ؟ »

« هل ستتركني يا « باد » ؟ »

« اسمعى يا اختاه ، لقد تم الاضطجاع معك ، وهذا هو كل ما فى الامر فانا لم أوقع معك عقدا طويل الابد .. »
« ولكنها المرة الاولى ، يا اباد »

« اننى امارس مرة واحدة مع كل امرأة »
وكانت آليس تبكى على نفسها الآن ، وصاحت فى نفسها
امام المرأة « ليس هذا بالشئ الحسن ! » « لا شئ حسن فى ذلك » . ثم انفجرت فى نوبة من البكاء اثناء تناولها لجرعة اخرى من الويسكى ، وصبت الجزء المتبقى بالزجاجة فى كأسها .
وكان جميع الناس الآخرين على غير ما يرام ، كلهم سواء ، وماذا لديها الآن ؟ عمل كريبه منخفض المستوى مع حقوق خاصة فى الفراش ولا أجور ، تلك هى حقيقة الأمور ، ومتزوجة من رجل ميكانيكى يعمل فى التشحيم وتنبعث منه رائحة كريهة ، تلك هى حقيقة الأمور . متزوجة آياه !! وبعيدة للغاية فى منطقة ريفية نائية حتى انها لا تتمكن من الذهاب للسنيثما ودور اللهو ، وبمضطرة للجلوس فى صالة الطعام ذات الرائحة الكريهة .

واسندت رأسها على ذراعيها ، وانفجرت فى البكاء ، واستطاعت آليس اخرى ان تسمع بكاءها وعويلها ، اذ كانت هناك آليس ثانية تقف عند كتفيها وترقبها ، لقد كانت مضطرة لان تسير على قشر بيض طوال الوقت لئلا تحفظ عليه سعادته ، ورفعت رأسها ونظرت فى المرأة ، لقد تشوه أحمر الشفاه فى كل أرجاء شفتها العليا ، وكانت عيناها حمراوتين وكان أنفها يسيل فى رشح ، فمدت يدها نحو علبة أوراق السفرى وجذبت منها ورقتين ومخضت أنفها ، ثم طوت الورقتين وألقت بهما على الأرض .

لاى شئ كانت تريد الإبقاء على نظافة هذا المطعم الرخيص ، ومن الذى يهتم ؟ ومن يعيرها أدنى اهتمام ؟ لا احد ، ولكن كان باستطاعتها الاهتمام بنفسها ، اذ لم يكن بمقدور أحد ان يعامل آليس بجفائة وقسوة وينجح فى ذلك بدون أن تكتشف أمره ، وأفرغت فى جوفها آخر كمية من الويسكى .

وكان استخراج زجاجة الويسكى الثانية المعلقة الحمراء الداكنة من مكانها يعتبر عملا شاقا للغاية ، اذ بدأت تترنح وسقطت على حوض الفسيل ، وكانت هناك ضغوط حارة على الجانب الداخلى لأنفها ، وكانت أنفاسها تحدث صفيرا فى فتحتى أنفها ، وأوقفت

زجاجة الويسكى ذات اللون الأحمر الداكن على الكاونتر وأحضرت بريمة فتح الزجاجات . وسقطت الزجاجات على الكاونتر عندما حاولت ادخال البريمة فيها ، ومع المحاولة الثانية تقطعت السدادة الى قطع صغيرة فدفعت بالجزء المتبقى من السدادة الى داخل الزجاجات بابهامها . ثم دفعت نفسها عائدة الى المنضدة .

وقالت « الصودا تفرقع » ومالت كأسها بالويسكى الأحمر الداكن « أتمنى لو كان هناك المزيد من الويسكى » وكان فمها جافاً ، فشربت نصف الكأس المليء بالويسكى فى تعطش ونهم ، وضحكت فى فتور « ذلك شيء حسن » ، ولربما تتناول الويسكى أولاً باستمرار لكى تعطى مذاقاً للخمور .

وقربت المرأة منها ، ثم قالت فى مرارة « انت امرأة عجوز ، انت امرأة عجوز ومخمورة وقادرة ، ولا غرابة فى ان احدا لا يريدك ، انا نفسى لا اريد الحصول عليك » .

ولم تكن الصورة فى المرأة مزدوجة إلا ان حدودها الخارجية كانت مزدوجة ، وبدأت آليس تشعر بالفرفة وهى تهتز وتتأرجح فى المنطقة الخارجية عن مجال الرؤية عندها ، وشربت الجزء المتبقى فى الكأس فاصابتها الزغطة وتناثر لعابها وسالت الخمور الحمراء الدكنة من جوانب فمها ، وأخطأت يدها الكأس فصبت الخمور فوق سطح المنضدة قبل أن تملأ كأسها ، وكان قلبها يدق فى عمق ، وكانت تشعر بقلبها وهو يضرب فى ذراعيها وكتفيها وفى عروق ثدييها ، وراحت تشرب فى وقار وروية .

اننى بصدد التعرض للأغماء ، ويا له من شيء حسن ، أتمنى ألا افيق أبداً ، أتمنى أن يكون فى ذلك نهاية للموقف ، النهاية للموقف ، النهاية للموقف ، ولكى أظهر لهؤلاء الناس أولاد الحرام انه لا ينبغى لى أن أعيش اذا كنت لا أريد أن أعيش ، سابين لهم ذلك .

وبعدئذ شاهدت اللذابة ، ولم تكن ذبابة منزلية عادية وانما كانت ذبابة ضخمة مولودة حديثاً لها بطن ذات لون أزرق فولاذى ولها جنبد ملىء بالشعر ، وكان جسدها يلمع بلون أزرق متلون بألوان مختلفة ، لقد جاءت اللذابة الى المنضدة ووقفت على بحافة بركة الخمور وقامت قفها ثم راحت تنظفك نفسها .

وجلست آليس ساكنة تماماً ، كان لحم آليس يزحف بالكراهية ، وتركزت كل تعاساتها وانصبت على اللذابة ، واستخدمت كل مaldiها من قوة الإرادة لكى تبدو صورتها اللذابة بصورة واحدة ثم

قالت في هدوء : « يا ابنة الكلب ، اتظنين اننى ثملة ، سأريك الآن » .

وكانت عيناها متيقظتين ولامعتين ، وانزلت ببطء شسديد على جانب من المنضدة وجثمت الى اسفل على الارض مرتكزة على يدها ، وأبقت عينيها على الدبابة ، ثم زحفت آليس نحو الكاونتر وذهبت خلفه ، وكانت توجد هناك فوطة أطباق ملقاة على حوض الفسيل المصنوع من الصلب الذي لا يصدأ . « فأخذتها في يدها اليمنى وطوتها في حرص وعناية ، وكانت خفيفة للغاية ، وبللتها تحت صنوبر الماء وعصرت منها المياه الزائدة ، وقالت « سأريها بنت الكلب » وتحركت على طول الكاونتر كالقطة ، وكانت الدبابة مازالت هناك ، ومازالت هناك بالوانها اللامعة .

ورفعت آليس يدها وجعلت الفوطة تسقط الى الخلف على كتفها ، وراحت تقترب في خطى حذرة مع يدها المرتفعة المنثنية ، وضربت ، فسقطت على الارض الزجاجية والكأسان وعلبة السكر وصندوق أوراق السفر وتحطمت كلها ، وصدرت عن الدبابة صوت كالطين ودارت في الهواء ثم استقرت فوق كاونتر الغداء ، فاندفعت آليس موجهة الضربات اليها فطارت مرة أخرى وضاعت ضربات الفوطة في الهواء .

فقالت آليس لنفسها « ليست تلك هي الطريقة ، ازحفى تدريجيا اليها » ، وغاصت الارضية قليلا تحت قدميها ، ومدت يدها وبسندت نفسها على الكرسي ، أين كانت الدبابة آتلة ؟ لقد كان باستطاعتها سماع الطنين والأزيز ، الطنين الغاصب المقرف الصادر عن أجنحتها ، وكان لابد لها أن ترسو في مكان ما في وقت ما ، وشعرت آليس بالغثيان يرتفع في حلقها .

وقامت الدبابة أثناء تحليقها بسلسلة من العروات والثمانيات والدوائر تناقص اضطرابها وقلقها فأصبحت تحلق على ارتفاع منخفض من جانب لآخر في أرجاء الغرفة ، وانتظرت آليس ، وكان الظلام قد بدأ يزحف على أطراف الأشياء التي تراها ، ودون أن تحدث صوتا رست الدبابة على صندوق الخبز الموجود بأعلى الهرم الكبير الذي يضم الحبوب الجافة فوق الرف خلف الكاونتر ، هبطت فوق الحرف C من كلمة Corn ثم تحركت في قلق فوق الحرف ووقفت

دون أدنى حركة على الإطلاق ، وكانت آليس تتنفس بصعوبة وبصوت مسموع .

وكانت القرقة تتأرجع وتلفت وتدور ، ولكن بجهود من قوة الإرادة كانت الدبابة والمنطقة المحيطة بها محددة وواضحة المعالم ، وامتدت يد آليس اليسرى الى الخلف نحو الكاونتر وزحفت أصابعها عبرها . وتحركت في صمت ويبطء حول نهاية الكاونتر ثم رفعت يدها اليمنى بحرص شديد للغاية . فقفزت الدبابة خطوة للأمام وتوقفت مرة أخرى ، ولكنها كانت تستعد للاقلاع ، وأدركت آليس ذلك ، شعرت أنها بصدد الطيران قبل أن تطير . وترنحت آليس بكل ثقل جسدها . فاصطدمت القوطة المبللة في قوة ساحقة بهرم الصناديق المصنوعة من الورق المقوى فهوت الصناديق متلاحقة وتهشمتم على الأرض مع صف من الأكواب وسلطانية للبرتقال خلف الكاونتر وسقطت آليس فوق تلك الأشياء .

وهجمت عليها الفرقة بأضواء حمراء وزرقاء ، وسكب صندوق مكسور ما به من أرغفة الخبز تحت خدها . فرفعت رأسها مرة واحدة ثم هبطت بها لأسفل مرة أخرى ، ونزل عليها ظلام زاحف . وكانت صالة الطعام في ضوء الغسق وهادئة للغاية ، وتحركت الدبابة الى حافة بركة الخمور الأخذة في الجفاف فوق سطح المنضدة الأبيض ، ولبرهة وجيزة راحت تستشعر الخطر في جميع الاتجاهات ثم غمست خرطومها في الخمور الحلوة اللزجة في تأن وترو .

الفصل الثانى عشر

وتجمعت السحب الرمادية فى تهديد متزايد وخيم على الأرض ظلام مشوب باللون الأزرق ، وفى وادى سان جوان بدت النباتات ذات اللون الأحمر الداكن كأنها سوداء اللون . أما الأعشاب ذات اللون الأخضر الفاتح فقد اتخذت لونا أزرق شفافا باردا . وظهر الاوتوبيس « حبيبة القلب » متحركا فى تارجع على الطريق الرئيسى ، وكان طلاء الألومنيوم الذى يعلوه يشع مع شرور ماكينته المخنوقة ، وبعيدا نحو الجنوب تهذبت كومة طويلة من السحب السوداء وهطلت على شكل أمطار فسقطت ستارتهما ببطء تدريجى . وكبح جماح الاوتوبيس بالقرب من مضخات البنزين أمام متجر Bread ثم توقف تماما ، وراحت قفزات الملائكة الصغيرة وحذاء الطفل تتأرجح للخلف وللأمام فى حركات بندولية قليلة . وظلّ جوان جالسا فى مقعده بعد توقف الاوتوبيس ، وزاد من سرعة الموتور لبرهة وخيزة وراح يصفى ويتسمع ثم تنهد وأدار المفتاح فتسوقف الموتور .

وسأله فان برانت « الى متى ستنظر هنا ؟ » فقال جوان « سألقى نظرة على الكوبرى »

فقال فان برانت « انه لا يزال هناك فى مكانه » وقال جوان « وهكذا نحن » ثم جذب ذراع العتلة ليفتح الباب .

وخرج بريد من بابه ذى الشاشات وسار نحو الاوتوبيس ، وصافح جوان باليد وسأله « الست متأخرا بعض الشيء ؟ »

فقال جوان « لا أظن ذلك اللهم الا اذا كانت ساعتى متوقفة » وانزلق بيمينز هابطا من الاوتوبيس ووقف الى جوارهما . لقد أراد أن يسارع الى النزول لكى يتمكن من رؤية الشقراء لدى هبوطهما من الاوتوبيس .

وتساءل « أ عندك كوكاكولا ؟ »

فقال بريد « لا . عندي عدد قليل من زجاجات البيبسى كولا اننى لم أحصل على أية كميات من الكوكاكولا منذ شهر مضى . وهى من

نفس المادة . لا يمكنك معرفة الفارق بينهما » وتساءل جوان « كيف حال الكوبرى ؟ »

فهر المستر بريد رأسه وقال « أظن أن المسألة تتعلق بمسدى ما لديك من حفظ . القى نظرة بنفسك . فانا لا أحب ذلك » وتساءل جوان « ألا يوجد أى كسر حتى الآن ؟ » فقال بريد « يمكن أن يحدث له شيء من هذا القبيل » ومسح راحتي يديه في بعضهما البعض ، واستطرد « لقد وقعت عليه ضغوط مما جعله يصبح كالطفل ، هيا بنا نلقى نظرة عليه »

وانزل كل من المستر برتشارد وارنست هابطين من الأتوبيس وبعدئذ نزلت وراءهما كل من ميلدريد وكاميل وبعدهما نزلت نورما ، وكانت كاميل خبيرة فلم يستطع بيميلز أن يرى أى شيء . وقال بيميلز « يوجد عندهم بعض البيبسى كولا ، اتحبين أن تأخذى واحدة ؟ »

فالتفت كاميل نحو نورما وسألتها « اتحبين أن تأخذى مشروباً ؟ » وكانت قد بدأت تدرك أن نورما يمكن أن تكون لها قيمة كبيرة . وقالت نورما « حسنا . لا يهمنى ذلك » .

وحاول بيميلز ألا يظهر شعوره بخيبة الأمل . وسار كل من بريد وجوان على الطريق الرئيسى فى اتجاه النهر . وقال جوان من فوق كتفه « سأذهب لألقى نظرة على الكوبرى » .

ونادت مدام برتشارد وهى فوق الدرج « يا عزيزتى . انظنين أن باستطاعتك أن تحضرى لى مشروباً بارداً ؟ . مجرد ماء اذا لم يكن هناك أى شيء آخر . واسألى لى عن مكان دورة المياه ؟ . فقالت نورما « انها قريبة من هنا فى الخلف » .

وكان بريد متأخرا عن جوان بخطوة واحدة وهما يستحشان الخطى فى اتجاه الكوبرى . وقال بريد « اننى فى كل عام أتوقع انهيار هذا الكوبرى - أتمنى أن يكون لدينا كوبرى بمعنى الكلمة بحيث يمكننى النوم فى اطمئنان بالليل عندما تكون هناك امطار غزيرة . اننى أنام فى السرير وأسمع وقع الامطار على السطح ولكننى فى نفس الوقت أصفى عسى أن أسمع أنهار الكوبرى فى أية لحظة . ولست أدري ما هو نوع ذلك الصوت الذى سيصدر عن الكوبرى لدى انهياره » .

فابتسم جوان وقال « اننى أعرف كيف يكون ذلك الصوت .

فأنا أذكر عندما كنت ولدا صغيرا في توربون ، أننا كنا في ذلك الوقت ننصت ليلا الى الفرقة والقطعة التي تدل على حدوث الاشتباكات والقتال . وكنا نحب القتال . ولكن القتال كان يعنى دائما ذهاب معلمى العجوز بعيدا لبعض الوقت . وأخيرا ذهب بعيدا ولم يعد نهائيا . وأظن أننا كنا نتوقع ذلك » . فتساءل بريد « ماذا حدث له ؟ »

« لست أدري . أظن أن شخصا ما قتله . فهو لم يكن باستطاعته البقاء بالمنزل عندما يكون هناك قتال . فقد كان يدفع نفسه الى القتال . وأظن أنه لم يكن يهتم كثيرا بالاسباب التي أدت الى نشوب القتال . وفي كل مرة يعود فيها الى المنزل يكون زاخرا بالقصص » . وضحك جوان واستطرد : « ولقد قص علينا احدى القصص عن بانشو فيلا فقال ان امرأة مسكينة فقيرة جاءت الى بانشو فيلا وقالت له : (لقد أطلقت الرصاص على زوجى فأرديته قتيلا . وأنا وأطفالى الآن سنهلك من الجوع) . حسنا . وكان فيلا لديه قدر وفير من المال حينئذ . فقد كانت عنده المطابع وكان يطبع لنفسه نقوده . فالتفت نحو صراف خزانة أمواله وقال (اطبع خمسة كيلو جرام من الاوراق المالية فئة العشرين بيزو من أجل هذه المرأة المسكينة) وهو لم يكن يعد ويحصى النقود اذ كان لديه قدر كبير منها للغاية . فنقلوا أوامره وربطوا الاوراق المالية مع بعضها البعض بسلك ثم خرجت تلك المرأة ومعها النقود . وبعدئذ قال شاويش لفيلا (هناك غلطة يا سيدى الجنرال . اننا لم نطلق الرصاص على زوج تلك المرأة . لقد كان مخمورا فوضعهنا فى السجن) فقال بانشو (اذهب فورا وأطلق الرصاص عليه . اذ لا يمكننا أن نخيب ظن تلك المرأة المسكينة) » .

فقال بريد « ليس بهذه القصة اى معنى » .

فضحك جوان وقال « أعرف ذلك . وهذا هو الذى جعلنى أحبها . يا الهى . النهر ينخر فى ظهر السد الذى تتكسر عليه الامواج » .

وقال بريد « أعرف ذلك . لقد حاولت الاتصال بهم تليفونيا لأخبرهم بذلك . فلم أجد اى شخص على التليفون »

وسارا سويا فوق الكوبرى الخشبي . وما أن وطأت أقدام جوان على أخشاب الكوبرى حتى شعر باهتزازات المياه المداعبة . وكان الكوبرى يرتعد فى اهتزاز . وكانت هناك همهمة عميقة فى أخشاب الكوبرى يفوق صوتها صوت اندفاع المياه فى النهر . ونظر جوان

الى جانب الكوبرى . كانت الركائز الخشبية تحت الماء وكان النهر يرغى ويزبد تحتها وكان الكوبرى بأسره يرتعد ويهتز ويلهث . وكانت هناك صرخات قليلة مخنوقة صادرة عن الاخشاب في الاماكن المحزومة بالاحزمة الحديدية . وبينما كانا يرقبان وصلت شجرة بلوط قديمة هائلة متدحرجة في ثقل أسفل المجرى . وعندما ضربت في الكوبرى وانقلبت صدر صراخ عن بنيان الكوبرى بأكمله وبدأ كأنه يطوق نفسه . وانحشرت الشجرة بين أساسات الكوبرى الفائضة فصدرت أصوات مبلجلة هائلة من تحت الكوبرى . فتحرك الرجلان عائدين على وجه السرعة من رأس الكوبرى .

وتساءل جوان « ما هو معدل سرعة ارتفاع النهر ؟ » . « عشر بوصات خلال الساعة الماضية . وقد يبدأ في الهبوط الآن . فلربما يكون قد وصل الآن الى قمة الفيضان » .

ونظر جوان الى جانب الدعائم المستطيلة الرفيعة فوقعت عيناه على رأس مزلاج عند حافة المياه فظل ناظرا اليه لبعض الوقت وقال « أظن أن باستطاعتي أن أعملها . باستطاعتي أن أسارع قبل أن تقع الكارثة أو باستطاعتي أن ادع المسافرين يسرون عبر الكوبرى على أقدامهم وأنا أقود الاوتوبيس بدونهم والتقطهم عند الجانب الآخر . وكيف حال الكوبرى الآخر ؟ » .

فقال بريد « لا أدري . لقد حاولت الاتصال تليفونيا لمعرفة أى معلومات عنه . ولكن لم أظفر بأى شخص اتحدث معه في هذا الشأن . ولنفرض جدلا أنك عبرت هذا الكوبرى وبعد ذلك وجدت الكوبرى الآخر منهكما ثم عدت أدراجك فوجدت هذا الكوبرى قد تهدم أيضا ؟ عندئذ ستكون قد وقعت في مصيدة في هذه العروة . وقد يكون معك بعض المسافرين المفرطين في الحساسية والشعور بالاستياء » .

فقال جوان « على كل حال سيكون لدى عندئذ بعض المسافرين الذين يثيرون المتاعب . فانا عندي واحد - لا . عندي اثنان سيقمان الدنيا ويقعدانها اذا حدث أى شيء حتى ولو كان بسيطا . فانا أعرف الدلائل من الآن . أتعرف رجلا يسمى فان برانت ؟ » . « أوه . ذلك الرجل العجوز المزعج !! نعم أعرفه . انه مدين لى ب ٣٧ دولارا . فقد بعث له بعض بذور البرسيم وادعى أن الحبوب ليست على ما يرام . وامتنع عن دفع الثمن . وهو مدين بكمبيالات في جميع أرجاء المنطقة . وكل شيء يشتريه يقول عنه أنه غير جيد . اننى لن أبيع له قضيبا من الحلوى بدون أن يدفع الثمن مقدما . فلربما

يدعى انه لم يكن حلو المذاق . اذن فقد احضرته معك ؟ » .
فقال جوان « احضرته معي . واحضرت ايضا رجلا من شيكاغو
وهو رجل أعمال منهمك في الأعمال التجارية وهو من النوع الذى
سيفقد أعصابه اذا لم تسر الأمور على النحو الذى يريده » .
فقال بريد « حسنا . عليك أن تتخذ قرارك » . فنظر جوان
الى السماء الملبدة بالغيوم المندرة بالمطر وقال : « أظن انها ستمطر
ما فى ذلك شك . ومع امتلاء التلال بالمطار قاتها ستنجرف فى شكل
كتل وأكوام نحو النهر . باستطاعتى اقناعهم بما فيه الكفاية ولكن
ما هو احتمال اضطرارى للعودة ؟ » .
فقال بريد « حوالى ١٠٪ » واستطرد « وكيف حال زوجتك ؟ » .
فقال جوان « انها ليست على ما يرام . فهي تعاني من ألم فى
الاسنان » . وقال بريد « المحافظة على الاسنان تكلف الانسان كثيرا .
ينبغى على الانسان الذهاب الى طبيب الاسنان كل ستة شهور » .
وضحك جوان وقال « اعرف ذلك . ولكن هل تعرف اى
شخص يفعل ذلك » فرد بريد « لا » . لقد كان يحب جوان بل
ولم يكن يعتبره اجنبيا . وقال جوان « ولا انا » .
واستطرد « حسنا . توجد طريقة واحدة أخرى للابتعاد عن
المتاعب التى قد يشيرها المسافرون » .
« ما هى تلك الطريقة ؟ » .
« ان أجعلهم يقررون بأنفسهم . فهذه ديمقراطية . اليس
كذلك ؟ » .

« سيؤدى ذلك الى مجرد الشجار والاقتتال » .
فقال جوان « حسنا وما الخطأ فى ذلك اذا كانوا سيقابلون
بعضهم البعض ؟ » .

وقال بريد « صحيح أنك على حق من تلك الزاوية . ولكنى
أقول لك شيئا : مهما اتفقت الآراء على وجهة نظر معينة سيصير
فان برانت على وجهة النظر المضادة . فهو شخص لا يؤيد فكرة
المجيئ الثانى للسيد المسيح حتى ولو كان هناك اجماع تام على هذه
الفكرة » .

وقال جوان « فى هذه الحالة عليك فقط ان تعرف كيفية التعامل
معه . ففى يوم ما كان عندى حصان . وكان ذلك الحصان عنيدا
للفاية حتى أنك اذا وجهته الى اليسار يتجه هو الى اليمين . وبذلك
كنت أخدعه وأوجهه الى العكس . وكان هو يظن انه يسلك الطريق

الذى يروق له . ويمكنك ان تطبق نفس هذه الطريقة على فان برانت » .

فقال بريد « سأقوم بمنعه من دفع الـ ٣٧ دولارا » . وقال جوان « هذه هي الطريقة التى تصلح معه » واستطرد : « حسنا . النهر ليس فى حالة طوفان . فراس المزلاج ذاك مغطى . سأذهب لاستطلاع رأى المسافرين » .

وفى مؤخرة المتجر العام شعر بيميلز انه قد خدع بعض الشيء اذ وجد نفسه مضطرا لان يشتري بيبسى كولا لكل من نورما وكاميل . وبالرغم من المحاولات التى بذلها لم يستطيع ان يفصل كاميل عن نورما . ولم تكن الغلطة هى غلطة نورما ولكن كاميل كانت تستخدم نورما لهدف معين .

وكانت نورما متألفة فى سعادة . اذ لم يسبق لها طوال حياتها ان بلغت مثل هذا القدر من السعادة حيث كانت هذه المخلوقة الجميلة لطيفة معها . أصبحتا صديقتين . وهى لم تقل انهما يمكن لهما أن تعيشا سويا وانما قالت بأنها سترى كيف تسير الامور . ولسبب ما أعطى هذا القول لنورما قدرا كبيرا من الثقة والاعتماد عليها . فمشاعر الناس لم تكن ودية تجاه نورما . فهم كانوا يقولون « نعم » . وبعدئذ يهربون منها . ولكن هذه الفتاة كانت تشبه كل شيء أرادت نورما ان تكونه . قالت « سترى كيف تسير الامور » . واستطاعت نورما ان ترى فى ذهنها الشقة التى ستحصلان عليها . قد يكون بها كنبه من النوع الذى يتحول الى سرير تعلوها كسوة من القطيفة . وأمامها منضدة للقهوة . وقد تكون كسوة الاثاث من القطيفة ذات اللون الاحمر النبيلدى . وقد يكون لديهما جهاز يضم راديو وفونوغراف فى آن واحد بالإضافة الى كمية من الاسطوانات بالطبع . ولم ترهب فى التفكير الى ما هو أبعد من ذلك . لان الذهب الى ما هو أبعد من ذلك قد يفسد حظها . وكان هناك نوع من اللون الازرق الخلاب المثير بالنسبة للكنبة الكبيرة .

ورفعت كوبها الملىء بالبيبسى كولا وجعلت المشروب الحلو اللاسع ينزل الى حلقها . وفى منتصف الجرعة جثم اليأس عليها كالفاز الثقيل الخائق وصاح عقلها « لن يحدث ذلك أبدا » ، « سيذهب كل ذلك أدراج الرياح » ، « ستكون الامور على ما هى عليه دائما وساكون وحيدة مرة أخرى » . وأغلقت عينيها فى اعتصار ومسحت بظهر يدها عليهما . وعندما فتحت عينيها مرة أخرى شعرت أنها

على ما يرام . وراحت تفكر « سأقتصد من النقود ما يحقق لى ذلك » واستطردت فى تفكيرها « سأجهز الشقة تدريجيا . واذا لم أتمكن من تجهيزها سأظل محتفظة بها » وهبطت عليها صلابة واقتناع « اذا تحقق أى شىء من ذلك النجاح فسيكون ذلك بسبب الكسب غير المشروع . ولكنى ليس بمقدورى أن اتوقعه ولا يمكن أن أدع نفسى تتوقعه . فذلك من شأنه أن يهدم كل شىء » .

وقال بيميلز « لدى العديد من الخطط . فأنا أقوم بدراسة الرادار . وسيصبح الرادار من الأعمال الهامة للغاية . والشخص الذى يعرف الرادار سيثبت فى عمله مما يعود عليه بالرضا والسرور . واظن أن على المرء أن تكون له نظرة بعيدة للامام . الا نظرين للامام ؟ هناك بعض الناس ليست لهم نظرة بعيدة نحو المستقبل فينتهون الى حيث بدأوا » . وكانت هناك ابتسامة بسيطة تعلو شففى كاميل .

وقالت « انك قد اكتسبت شيئا بتعلمك للرادار » وتمنت لو استطاعت التخلص من هذا الصبى . صحيح أنه كان ولدا ظريفا ولكنها كانت لديها الرغبة فى التخلص منه . اذ كان باستطاعتها أن تسم رائحته . فقالت له : « شكرا على المشروب » واستطردت « اظن اننى سأذهب لأجدد نشاطى بعض الشىء . أترغبين فى المجيء معى يا نورما ؟ » .

وعلت وجه نورما نظرة اخلاص ووفاء وقالت « أوه . نعم . ينبغى لى أن أجدد نشاطى أيضا » . فكل شىء تقوله كاميل كان صوابا ومحبا للنفس وجميلا . وصرخت نورما فى ذهنها « أوه . أيها السيد المسيح . حقق ذلك » .

وكانت المدام برتشارد ترتشف عصير الليمون وقد استغرق الامر بعض الوقت للحصول عليه لانهم لم يعتادوا على تقديم عصير الليمون للربائن . ولكن عندما اشارت مدام برتشارد الى الليمون فى قسم البقالة وعرضت أن تقوم بنفسها بعصر الليمون ، لم يكن هناك مفر أمام المدام بريد فقامت بعصر الليمون لها .

وقالت المدام برتشارد موضحة وجهة نظرها « اننى لا أستطيع تناول المشروبات المعبأة فى زجاجات منذ فترة طويلة . وأحب عصير الفواكه الطبيعى » وعانت المدام بريد فى استياء من الهزيمة تحت وطأة هذه الموجة من العذوبة والرقه . وراحت المدام برتشارد ترتشف عصير الليمون وتتفقد رفا مليئا بالبطاقات البريدية ذات

الصور الملونة وكان هذا ألرف موجودا فوق الكاونتر الخاص بالبدع الجديدة . وكانت هناك صور عن دار القضاء فى سان جوان دى لاکروز وعن الفندق فى سان يسيدرو الذى شيد بجوار ينبوع ماء معدنى ساخن . وهو فندق عريق وجميل يتردد عليه كثير من الناس المصابين بالروماتيزم للاستحمام فى المياه المعدنية . وكان هذا الفندق يسمى « سبا » طبقا لما هو مكتوب على البطاقة البريدية الملونة . وكانت هناك أشياء أخرى على الكاونتر . الخاص بالبدع الجديدة : كلاب من الجبس ملونة ومسدسات من الزجاج مملوءة بالحلوى وعرائس ذهبية الألوان وصناديق من الخشب الأحمر الممتاز بها فواكه كاليفورنيا الرائعة . وكانت هناك لمبات تدور قبعاتها لدى أضواء الأنوار فتتحرك وتسطع الفابات والمراكب الشراعية بطريقة حيوية للغاية .

وقف أرنست هو الآخر عند الكاونتر وأخذ ينظر الى ذلك العرض فى شيء من الازدراء . وقال للمستتر برتشارد : « اننى افكر أحيانا أن أفتح متجرا للبدع يضم جميع الأشياء الجديدة . فهذه البدع القديمة قد نزلت الى السوق منذ سنوات ولا أحد يشتريها . وشركتى الآن ليس بها سوى البدع الحديثة التى تمشى مع الجمهور مستقبلا » .

وأوما المستتر برتشارد برأسه . وقال « ان الرجل يشعر بالثقة عندما يعمل فى شركة راسخة » واستطرد « وهذا هو السبب الذى يجعلنى أعتقد أنك قد ترغب فى العمل معنا . فبإمكانك أن تتأكد من أننا راسخين فى كل ساعة من ساعات اليوم » . وقال أرنست : « اننى ذاهب لأحضار حقيبتى . ان لدى شيئا جديدا لم يعرض فعلا على الجمهور حتى الآن ولكن التجار يتلقفونه مثل الكعك الساخن . مجرد التجار فقط . ولربما أضع قليلا منه هنا . ربما » .

وخرج بسرعة وسحب حقيبة عينائه وفتحها وأخرج منها صندوقا من الورق المقوى وقال « هل ترى . مجرد تغليف بسيط . وذلك التغليف هو من أجل المفاجأة » ثم فتح الصندوق وأخرج منه مرحاضا متقن الصنع مرتفعا بعض الشيء وطوله ١٢ بوصة . وكانت توجد كرة من النحاس الأصفر لها سلسلة صغيرة وكانت سلطانية المرحاض بيضاء اللون بل وكان له غطاء للمقعد صغير وملون بطريقة تجعله يشبه الخشب .

وكانت المدام يريد قد تحركت الى نهاية الكاونتر . وقالت :
« زوجي هو الذي يعقد جميع صفقات الشراء . عليك بمقابلته » .
فقال أرنست « أعرف ذلك . ولكنني أردت فقط أن أريك هذا
الشيء ، انه لا يحتاج الى دعاية . عليه اقبال شديد » .
وسأله المستر برتشارد « لأي شيء هو ؟ » .

فقال أرنست « انظر من فضلك » وجذب السلسلة الصغيرة
فانسابت فجأة في سلطانية المرحاض سوائل بنية اللون . ورفع
أرنست مقعد المرحاض من السلطانية فصارت كوبا صغيرا . فقال
في انتصار « هذه أوقية واحدة . واذا أردت الحصول على جرعة
مضاعفة مناسبة مثلا لكأس طويل فعليك بجذب السلسلة مرتين » .
فصاح المستر برتشارد « ويسكى !! » .

فقال أرنست « أو براندي أو روم » واستطرد « أي شيء تريده .
انظر . هنا في الخزان يوجد المكان الذي تملأه . والخزان من
البلاستيك المضمون . وهو يجعل المشروبات باردة وقد حصلت فعلا
على طلبات لتوريد ١٨٠٠ من هذا النوع . انه لشيء جذاب ومثير
للغاية . ويعطى المرح والسرور في كل مرة » .

فقال المستر برتشارد « يا الهي . انه شيء جميل ورائع .
من الذي يفكر ويبتكر تلك الاشياء ؟ » .

فقال أرنست « حسنا . لدينا قسم للأفكار . كل شخص يضع
فكرة . وهذه الفكرة بالذات قد اقترحها البائع التابع لنا في منطقة
جريت ليكس وهو سيحقق لنفسه فوائد مالية حسنة لان شركتنا
تعطى ٢٪ من الارباح لأي موظف يبعث لها بفكرة يمكن ان تطبق
عمليا » .

وقال المستر برتشارد مرة أخرى « انه شيء رائع » واستطاع ان
يرى في ذهنه تشارلي جونصون وهو يشاهد ذلك الصندوق لأول
مرة . انه ستكون لديه الرغبة في الاندفاع لشراء صندوق لنفسه .
وتسائل المستر برتشارد « وما هو ثمن هذه الصناديق ؟ » .

« حسنا . الثمن بالقطامي للصندوق الواحد خمسة دولارات .
ولكنني اقترح عليك أن تشتري النموذج المخصوص لهذا الصندوق
الذي نبيعه بـ ٢٧٥ دولار » .

فزم المستر برتشارد شففيه ..

واستطرد أرنست قائلا « الصندوق المادي مصنوع من
البلاستيك أما النموذج الآخر الذي أحدثك عنه فهو افضل بكثير

فهو مصنوع من خشب البلوط ومن براميل الويسكى القديمة بهدف استيعاب الويسكى بطريقة لطيفة . بالإضافة الى سلسلته من الفضة الحقيقية وبه ماسة برازيلية فوق المقبض والسلطانية مصنوعة من الخزف الصينى الحقيقى وقاعدته فى الخشب الموهجانى المحفور بالأويمة . وعلى الصندوق توجد لوحة من الفضة صغيرة الحجم بحيث يمكنك أن تكتب عليها اسمك فى حالة اذا ما أردت اهداءه الى محفل أو ناد .

وقال المستر برتشارد « يبدو أن له قيمة كبيرة » واتخذ عقله قرارا . وأدرك كيف أنه سيتمكن من التفوق على تشارلى جونصون من حيث الحيل الصاحكة . عليه أن يعطى واحدا من هذا المرحاض الى تشارلى . ولكن ينبغي عليه أن يكتب على اللوحة « اهداء من اليوت برتشارد الى تشارلى جونصون .. ابن الكلب الأمريكى البحت » ويهدئ يدع تشارلى يريه لكل من يريد . وعندئذ سيعرف كل شخص من الذى جاءت له الفكرة أولا .

وتساءل « هل أحضرت معك صندوقا من النموذج الخصوصى ؟ »

« لا . عليك أن تطلب ذلك » .

وكانت المدام برتشارد قد اقتربت منهما فى هدوء فقالت بدون تردد « اليوت . أنك لست بصدد الحصول على واحد من تلك الصناديق يا اليوت . ان شكله ردىء للغاية » .

فقال المستر برتشارد « اننى بالطبع لن أضعه بالقرب منى اذا كانت هناك سيدات . لا . ابتها الفتاة الصغيرة . اتعرفين ما الذى سأقدم عليه ؟ اننى سأبعث بواحد من هذه الصناديق الى تشارلى جونصون فانا سأرسل صندوقا من هذا النوع كتمقابل لرساله لى ذلك الغراء الثمين المحنط لحيوان الظربان الأمريكى . نعم .

يا سيدى . سأنتقم لنفسى منه » .

وقالت المدام برتشارد موضحة الامور « لقد كان تشارلى جونصون زميلا للمستر برتشارد فى الفصل أثناء الدراسة فى الكلية . وهما يطلقان النكات الخارجة غير الاخلاقية . وهما يشبهان الاولاد الصغار عندما ينفردان مع بعضهما البعض » .

فقال المستر برتشارد فى وقار « والان . لو اننى طلبت صندوقا . هل يمكنك أن ترسله الى على العنوان الذى سأعطيه لك ؟ وهل يمكن أن تكلفوا احدا بحفر الكلمات عليه ؟ سأكتب لك العبارة التى أريد أن تضعوها على اللوحة » .

وتساءلت برنيس « ما الذى ستقوله ؟ » .
فقال المستر برتشارد « على الفتيات الصغيرات عدم التدخل
فى الاعمال الخاصة برجل كبير » .
وقالت برنيس « أراهن على انها ستكون كلمات فظيعة » وكانت
ميلدريد فى حالة اكتئاب . كانت تشعر انها متبلدة ومرهقة وفقدت
الاهتمام بكل شئ . وكانت تجلس على كرسي من النوع المصنوع
من الاسلاك المتوية والذى يجلس عليه الزبائن لتناول الحلوى فى
المتجر . كانت تجلس وحيدة عند نهاية الكاونتر . وراحت ترقب
فى سخرية بيميلز وهو يحاول الانفراد بالشقراء . لقد سببت لها
الرحلة شعورا بخيبة الامل . اذ كانت مشمئزة من نفسها ومما قد
حدث . فإى نوع من الفتيات هى اذا كان سائق اوتوبيس يروق فى
نظرها ؟ واقشعرت قليلا فى شئ من النفور والاستياء . ترى أين هو ؟
ولماذا لم يعد ؟ وكبحت رغبتها فى النهوض والذهاب للبحث . ودوى
فجأة صوت فان برانت بجوار اذنها حتى انها اختلجت فى مكانها
على الفور .

قال « أيتها الفتاة الشابة . ان جونتلك تظهر ما تحتها . وقد
ظننت أنه يهملك أن تعرفى ذلك » .
« أوه . نعم . شكرا جزيلًا » .
فقال « كان من المحتمل أن تقضى اليوم بأكمله معتقدة أن ملابسك
فى وضع سليم اذا لم يقم أى شخص باخبارك » .
« أوه . نعم . شكرا لك . ووقفت وانحنيت الى الخلف ودفعت
بجونتلتها على ساقها حتى تتمكن من الرؤية . وكانت هناك بوصة
من قميص النوم ظاهرة من الخلف » .
وقال فان برانت « اعتقد أنه من الافضل أن يخبر الانسان بأمور
مثل هذه » .

« أوه . فعلا . يبدو أن شريط حمالتى قد قطع » فقال فى
برود « لا يهمنى سماع أى كلام عن ملابسك الداخلية » فملاحظتى
الوحيدة - وأكرر ذلك - هى أن جونتلك تظهر ما تحتها . ولا أريد
أن تعتقدى أن لى أى دافع آخر » .
فقالت ميلدريد فى قلة حيلة « أنا لا اعتقد ذلك » . فاستطرد
فان برانت قائلا : « هناك الكثير من الفتيات الصغيرات يتركز
انتباههن على سيقانهن فى خجل وارتباك حيث يعتقدن أن كل شخص
ينظر الى سيقانهن » .
فانفجرت ميلدريد فى ضحك وحشى مثل امرأة مريضة عقليا .

فتساءل فان برانت في غضب « أهناك شيء مضحك للغاية ؟ » .
وقالت ميلدريد « لا شيء . كل ما في الامر اننى تذكرت نكتة » لقد
تذكرت ان فان برانت لم يكف عن النظر الى السيقان طوال الصباح .
فقال « حسنا . لو كانت النكتة مضحكة الى هذا الحد قولها لى «
« أوه . لا . انها نكتة شخصية . سأذهب لاثبت شريطى » . ونظرت
اليه ثم قالت فى تعمد « انتبه . يوجد شريطان على كل كتف . أحدهما
خاص بقميص النوم والاخر يمسك البراسير . والبراسير يرفع
الثديين لأعلى فى ثبات » وشاهدت يون فان برانت ينبعث من ياقته
فاستطردت « ولا يوجد أى شيء تحت ذلك حتى الشورت الداخلى .
هذا اذا كنت مرتدية شورتا داخليا . ولكنى لا ارتديه الآن » .
فاستدار فان برانت وسار مسرعا . وشعرت ميلدريد بالتحسن .
وأدركت ان ذلك الرجل السخيف العجوز لن يتمكن من قضاء
لحظات مريحة فباستطاعتها ان ترقبه ولربما تخدعه فيما بعد
وتضبطه متلبسا بالنظر الى السيقان . ونهضت فى ابتهاج وذهبت
نحو خلف المتجر الى الحظيرة المكتوب عليها كلمة « سيدات » .
وكان الباب مغطى بشيش مثل الشباك وكانت روعة الصباح
آخذة فى التصاعد . ووقفت ميلدريد أمام الباب المفلق . وتمكنت
من سماع صوت نورما وهى تتحدث مع الشقراء فى الداخل .
وراحت تنصت لعل الانصات لحديث الناس يضى على الرحلة .
شيئا من الامتاع . وكانت ميلدريد يحلو لها التلصص على الناس
واستراق السمع . وكانت تتضايق أحيانا من رغبتها فى التنصت .
كانت تنصت فى شغف ومتعة الى العبث والتفاهات ولكن أفضل
حالات التنصت هى التى تكون فى غرفة الاستراحات الخاصة
بالنساء . ومما أثار اهتمامها لفترة طويلة هو حرية النساء وانطلاقهن
فى الكلام فى أية غرفة يوجد فيها مرحاض ومرآة وحوض للفسيل .
وهى قد كتبت ذات يوم مقالا فى الكلية . وقد اعتبر مقالا جريئا
للفاية حيث ذكرت فيه أن النساء قد يفقدن ما عندهن من كبت عندما
تكون جونلاتهن مرتفعة .

وذهبت فى مقالها الى أن السبب اما أن يكون هو ارتفاع الجوتلة
واما أن يكون هو مجرد التأكد من أن الرجل - العدو - لن يتمكن
مطلقا من غزو هذا المكان . فهو المكان الوحيد فى العالم الذى تتأكد
فيه النساء من خلوه من الرجال . ومن ثم يستسلمن للاسترخاء
وتطفو على السطح حقيقتهن الجوانية . ولقد فكرت فى ذلك الامر
كثيرا . فالنساء يكن أكثر صداقة أو أكثر فسادا مع بعضهن البعض

في غرف التواليت انعامة وفقا للظروف الشخصية . وربما كان
السبب في ذلك أنه لم يكن هناك رجال . لأنه حيث لا يوجد رجال
لا توجد منافسات وعندئذ يسقط عنهن التصنع والزيف .
وتساءلت ميلدريد في مقالها عما اذا كان الامر كذلك في غرف
تواليت الرجال . ولم ترجح احتمال حدوث ذلك لان الرجال لهم
منافسات أخرى كثيرة بالإضافة الى تنافسهم على النساء بينما
معظم منافسات النساء والاطار التي تتهددن تتعلق بالرجال .
وقد أعيد اليها مقالها بعد أن كتب عليه التأشير التالية : « غير
مدرس بعناية » . فوضعت في الاعتبار ضرورة اعادة كتابة مقالها
من جديد .

وعلى الملا في المتجر لم تشعر ميلدريد بروح المودة والصداقة تجاه
كاميل . ولكنها أدركت أن كراهيتها لها لن تنتقل معها الى غرفة
التواليت . وفكرت : « أليس عجيبا ان تتنافس النساء على رجال
لا يرغب فيهم ؟ »

كانت نورما وكاميل يتحدثان باستمرار . ووضعت ميلدريد
يدها على الباب ودفعته ففتح . فظهر في الغرفة الصغيرة كرسي
تواليت وحوض غسيل تعلوه مرآة مربعة الشكل . وعلى احدى
الحوائط كانت توجد علبة لأغطية المقعد الورقية والى جوار الحوض
كانت توجد فوط من الورق . وعلى الحائط بجوار النافذة ذى
الزجاج المصنفر كانت توجد ماكينة تخرج من فتحها أوراق النشاف
الصحية . وكانت الارضية الخرسانية مطلية باللون الاحمر الداكن
أما الحوائط فكانت تعلوها طبقات كثيفة من الطلاء الابيض . وكانت
هناك رائحة نفاذة لطهر له رائحة عطرية منتشرة في الهواء .

وكانت كاميل جالسة على المرحاض . وكانت نورما واقفة امام
المرآة . ونظرتا سويا الى ميلدريد لدى دخولها . وتساءلت كاميل
« أتريدين استخدام المرحاض ؟ »

فقالت ميلدريد « لا . ان الشريط الخاص بقميص نومي
متدل » ونظرت كاميل الى أسفل تجاه جونلة ميلدريد وقالت
« قميصك متدل فعلا » ثم قالت لنورما « لا . ليس في ذلك الاتجاه »
واستطردت « أتريدين الاتجاه الذى يسير فيه منبت الشعر على
الجبهة ؟ حسنا . اجعلى الحاجبين يتجهان الأعلى بعض الشيء من
الجانب الخارجى . بنسبة قليلة فقط . انتظري يا حبيبتي .
انتظري دقيقة وسوف أريك كيف يكون ذلك »
ووقفت واتجهت الى نورما « استديري حتى أستطيع رؤيتك ،

هناك الآن . انظري الآن الى نفسك . انظري كيف ان ذلك ينزل من منبت الشعر على الجبهة قليلا ؟ . ان جبهتك عالية لذلك ينبغي عليك ان تحاولي انزالها الى اسفل . استديري الآن واغلقي عينيك » . واخذت قلم الحواجب من نورما ودلكت به برفق فوق الجفون السفلى تحت الرموش مباشرة جاعلة الخط اكثر سوادا لدى المرور على الاركان الخارجية .

وقالت « لقد وضعت ماسكارا كثيفة للفساية يا حبيبتي » واستطردت « انظري كيف ان الرموش تلتصق مع بعضها البعض ؟ استخدمى مزيدا من الماء واستغرقى فترة زمنية اطول . انتظري دقيقة » ثم اخرجت من حقيبة يدها علبة بلاستيك صغيرة خاصة بتظليل العيون وقالت : « والآن استخدمى هذه المادة في دقة وعناية » ثم غمست اصبعها في المعجون الازرق ودعت قدرا قليلا منه فوق جفني نورما العلويين وجعلت المعجون اكثر كثافة تجاء الروايا الخارجية وقالت « والآن . دعيني ارى » ثم فحصت وقالت « انظري يا حبيبتي . اجعلى عينيك متسعتين للغاية مثل الارنب واجعلى جفنيك العلويين يتجهان لاسفل بعض الشيء . لا . لا تغلقى عينيك بشكل جزئي . اجعلى فقط الجفنين العلويين يرتخيان لاسفل بعض الشيء . هاهو . مثل ذلك . والآن انظري الى نفسك . اترين الفرق ؟ »

فقلت نورما « يا الهى . منظري مختلف تماما » وجاء صوتها مليئا بالرغبة والدهشة .

« منظرى مختلف بالتأكيد . واحمر الشفتاه وضع بطريقة خاطئة . انظري يا حبيبتي : ان شفتك السفلى رفيعة للغاية وهكذا الحال بالنسبة لى . . انزلى باحمر الشفتاه الى اسفل هنا بعض الشيء . وهنا ايضا بعض الشيء » .

ووقفت نورما ساكنة مثل طفلة طيبة وتوكلتها تعمل . وقالت كاميل « واخذه بالك ؟ اكثر كثافة في الروايا والآن تبدو شفتك السفلى اكثر امتلاء » .

وقالت ميلدريد « انت ماهرة . يمكننى ايضا الاستفادة من نصائحك » .

فقلت كاميل « اوه . حسنا . ان المسألة بسيطة بعض الشيء » وقالت ميلدريد هذا مكياج مسرحى ، اقصد انه من نوع المكياج الذى يستخدم على المسارح » .

« حسنا . اننى كما تعرفين العامل مع الجمهور - فاطباء

الاسنان يستخدمون ممرضات يكدن يشبهن فتيات الاستقبال .
وصاحت ميلدريد « يا للجنة !. ان هذا الشريط ليس مفكوكا ولكنه
مقطوع » وأزاحت رداءها عن كتفها وأمسكت بجزء من خيط حريري
في يدها .

وقالت كاميل « عليك ان تشبكيه بدبوس » .
« ليس معى دبوس والابرة والخيط موجودان فى احدى الحقائب
الكبيرة » .

فتفتحت كاميل حقيبة اليد الخاصة بها مرة ثانية ومن بين
محتوياتها كانت توجد نصف دسته من دبائيس الامان الدقيقة
الصغيرة .

وقالت كاميل « هاهى . اننى ازود نفسى دائما بالادوات
اللازمة » واستخرجت دبوسا « اتحبين ان اركبه لك ؟ » . « اذا
لم يكن عندك مانع . عيناي اللعينتان . اننى لا اتمكن من رؤية أى
شئ » .

فجذبت كاميل القميص المفكوك لأعلى وطوت نهاية الشريط
ودبسته فى ثبات مع حافة قميص النوم وقالت « انه بذلك يكاد يكون
على ما يرام . ولكنه على الاقل لا يظهر من تحت الجوثة وهذا علاج
مؤقت باستخدام دبوس . هل عانيت دائما من قصر النظر
يا حبيبتي ؟ » .

وقالت ميلدريد « لا . لقد كنت على ما يرام الى ان وصلت
الى سن الرابعة عشرة تماما . وقال احد الاطباء ان ذلك لا علاقة له
بسن البلوغ . وقال ان الفتيات يستعدن قوة الابصار عندما
ينجبن الاول » .

وقالت كاميل « هذا امر شاق ومرهق » .
وقالت ميلدريد « ويسبب لى المضايقات اللعينة . ورغم كثرة
النماذج الجديدة للنظارات الا انها كلها غير جميلة المنظر » . « ألم
تسمعي من قبل عن ذلك النوع من النظارات التى تتلاءم مع العيون
مباشرة » .

« لقد فكرت فى ذلك النوع ولكننى لم أقدم على ذلك . لاننى
لا أرغب فى ان اجعل اى شئ يلمس عيني فهذا يخيفنى » وكانت
نورما ما زالت تنظر الى نفسها فى المراة فى دهشة . فقد أصبحت
عينها فجأة اكثر اتساعا وصارت شفتاها اكثر امتلاء ونعومة كما
زالت عن وجهها تلك النظرة القثرانية الخاطئة .

وقالت نورما دون أن توجه كلامها لأحد « أليست هي مدهشة .
الليست هي مدهشة حقاً ؟ » .

وقالت كاميل « أنها ستصبح فتاة جميلة عندما تتعلم القليل
من الحيل والأساليب وتحصل على شيء من الثقة في نفسها . وسوف
نصلح من شأن ذلك الشعر يا حبيبتي بمجرد أن نصل » .
وصاحت نورما « هل تقصدين بذلك أنك قد درست هذا
الموضوع وأنا سنحصل على الشقة سوياً ؟ » وراحت تدور وتلف
بسرعة حول ميلدريد ثم قالت بأنفاس لاهثة « أنا سنحصل على
شقة . وستكون لدينا كنبه طويلة من النوع الذي يتحول الى سرير
وفي كل صباح الاحد سنغتسل ونصفف شعرنا — » .

فقاطعتها كاميل قائلة « سيكون علينا أن نرى كيف تتكشف
الامور . فها نحن الاثنتان بدون وظائف . وهي تتخيل أنها قد
استأجرت بالفعل شقة تتسع لفردين . تدرعى بالصبر يا حبيبتي » .
وقالت ميلدريد « انها لرحلة غريبة » وأضافت « فنحن بسبيل
الذهاب الى المكسيك . وقد سار كل شيء على غير ما يرام منذ
البداية . فأبى كان يريد مشاهدة الريف ووضع في خطته الإقامة
لبعض الوقت في كاليفورنيا ولذلك فضل أن يستقل الاوتوبيس الى
لوس انجلوس حتى يتمكن من مشاهدة الريف بشكل افضل » .
وقالت كاميل « حسناً : يمكنه ذلك » .

وقالت ميلدريد « ربما يتمكن من مشاهدة قدر كبير من الريف .
ولكن هل سبق لك أن رأيت مجموعة من الناس مثل مجموعتنا
هذه ؟ » .

فقالت كاميل « انهم متشابهون الى حد ما » .
وقالت ميلدريد « اننى معجبة بالمستر شيكوى . ففيه قدر
من الدماء المكسيكية . اما ذلك الولد فانه قد يهجم عليك اذا لم
تأخذى حذرك منه » .

وقالت كاميل « أوه . انه على ما يرام . كل ما هنالك انه شهوانى
بعض الشيء . ومعظم الصبية الصغار لهم نفس هذا الاتجاه . وهو
قد يتغلب على هذه الظاهرة » .

وقالت ميلدريد « وربما لن يتمكن من التغلب على هذا الاتجاه .
هل ألقيت نظرة فاحصة على ذلك الشخص المعجوز : فان برانت ؟ .
انه لم يتغلب على تلك الظاهرة للآن . فهذا الامر متأصل في داخله
بالفعل . فهو زجل منحرف عقلياً بعض الشيء » وابتسمت ميلدريد
وقالت « انه عجوز الى حد ما » وذهبت ميلدريد الى مكان صغير

مخصص للاستحمام وجلست ثم قالت « هناك شيء أريد أن أسألك عنه . ان والدى يظن أنه قد شاهدك من قبل في مكان ما . وهو له ذاكرة قوية . ألم يسبق لك رؤيته أبدا ؟ » .

وعلى الفور شاهدت ميلدريد العداء في عيني كاميل . رأت الفم المزموم . وأدركت أنها قد أثارت أمرا مؤلما . الا أن الهدوء ورباطة الجأش عاد الى وجه كاميل مرة أخرى .

وقالت « لا بد أننى أشبه فتاة أخرى على ما أظن » وأضافت « انه في هذه المرة قد اخطأ اللهم الا اذا كان قد رآنى في الشارع في مكان ما » .

فتساءلت ميلدريد « هل تقولين هذا الكلام بكل أمانة وصدق ؟ اننى لا أحاول الآن أن أكشف أمرك . كل ما هنالك اننى تعجبت فقط مما حدث » .

فانزلت من الغرفة روح الصداقة والزمالة وضاع الاسترخاء . وبدأ الأمر كأن رجلا دخل عندهن . وسددت كاميل النظرات الى ميلدريد وقالت لها في برود « انه قد اخطأ في ظنه . ويمكنك ان تأخذى هذا القول بالطريقة التى تريدينها » .

وفتح الباب . ودخلت المسز برتشارد . وقالت لميلدريد « أوه . ما أنت هنا . لقد ظننت أنك تتجولين بعيدا » .

فقالت ميلدريد « أوه . لقد انقطع شريط من قميص نومى » « حسنا . أسرعى . فقد عاد المستر شيكوى وتدور الآن بعض المناقشات » ثم قالت لنورما التى كانت قد تحركت بعيدا عن الحوض لتفصح لها مكانا « شكرا لك يا عزيزتى . اننى سأقوم فقط بتبديل منديل يدي وأزيل به قدرا من الغبار بـ » ثم قالت موجهة الحديث لميلدريد « لماذا لا تشرين عصير الليمون ؟ . فتلك المرأة اللطيفة ليس لديها مانع على الإطلاق من اعداده . ولقد قلت لها انها ستكون مشهورة للغاية لو انها قدمت فقط عصير الفواكه الصافى الطيبى » .

وقالت كاميل فجأة « أتمنى الحصول على أى شيء نأكله . فقد بدأت أشعر بالجوع . وأود أن اتناول طعاما جيدا » . فقالت المدام برتشارد « وأنا كذلك » .

وقالت كاميل « أرغب في تناول كابوريا بالمايونيز باردة ومشقوقة دون أن تنقسم لأجزاء . بالإضافة الى زجاجة بيرة » وقالت مدام برتشارد « لم يسبق لى أن تناولت كابوريا معدة بتلك الطريقة . ولكنى أتمنى تناول سمك عروس البحر المقلّى بالطريقة التى تستخدمها

والدتي . فقد اعتادت أن تأخذ مقلادة من طراز قديم مصنوعة من الحديد المسبوك - والسّمك ينبغي أن يكون طازجا للغاية ومشذب بعناية تماما . وتعمل عجينة من فتات الخبز المحمر البنى اللون . فتات الخبز او فتات السميطة . وتضع ملء ملعقة حساء بأكملها . . لا - ملء ملعقتين حساء من صلصة ورسستايير شاير على بيضة مختلطة الصفار مع البياض . وأظن أن ذلك كان هو السر في الطعم اللذيذ » .

وقالت ميلدريد « يا ماما . لا داعى لان تسردى على طريقة اعداد سمك عروس البحر » .

فقالت المدام برتشارد : « يحسن بك أن تتناولى عصير الليمون . فهو من شأنه أن ينظف بشرتك . لان اى رحلة طويلة تصيب الانسان ببقع على البشرة » .

وقالت ميلدريد « أتمنى أن نبدأ فى التحرك حتى يمكننا تناول وجبة الغداء فى المدينة القادمة . ما اسمها ؟ » .

فقالت نورما « سان جوان دى لاكروز » .

فرددت المدام برتشارد فى صوت رخيم « سان جوان دى لاكروز . اعتقد أن الكلمات الاسبانية جميلة للغاية » .

وقبل أن يخرجن ألفت نورما نظرة طويلة مندهشة على نفسها فى المرأة . وأرخت عينيها . انها ستصبح عادة لديها اذا تذكرت أن تفعل ذلك طوال الوقت . ولكنها قد غيرت من شكلها تماما وهى قد أعجبت بذلك وارتاحت له .

الفصل الثالث عشر

جلس جوان على كرسي بدون مسند وكان يشرب البيبسي كولا ويحك الطرف اللامع من اصبعه المبتور على حواف بنطلونه المصنوع من نسيج يشبه القטיפه . وعندما حضرت النساء من المنطقة الخلفية ودخلن المتجر نظر لأعلى نحوهن وتحول الحك باصبعه الى طرق . وتساءل : « هل الجميع موجودون الآن هنا ؟ » واستطرد « لا . يوجد شخص واحد متغييب . أين المستر فان برانت ؟ » . « اننى هنا » هكذا تكلم فان برانت من خلف الكاونتر فى الجانب الخاص بالبقالة حيث كان يفحص الارفف فى تكاسل وكان محتجبا وراء حائط من معلبات القهوة الموضوعة فى نظام . وقال المستر برتشارد « أريد أن أعرف متى سنبدأ فى التحرك . اذ أن على أن أجرى بعض الاتصالات » . فقال جوان فى هدوء « هذا هو ما أريد أن اتحدث عنه . فالكوبرى ليس على ما يرام . وربما يمكننى عبوره ولكن هناك كوبرى آخر وربما يكون قد تحطم أو بصدد التحطم . فنحن لم نتمكن من الحصول على أية معلومات عنه . فلو وصلنا الى المنطقة المنحنية من النهر مع تحطم الكوبريين ، عندئذ سنكون قد وقعنا فى مصيدة لاننا لن نتمكن من اجراء اتصالات . والآن . فانا نرغب فى اخذ الاصوات على ذلك وسأنفذ أى قرار تتخذه الغالبية العظمى من المسافرين . أمامى الان : اما أن أسارع بالعبور وأخذ فرصتى قبل أن تقع الكارثة وينهدم الكوبرى واما أن أعود بكم من حيث أتينا وتتخذوا لانفسكم خططا أخرى . عليكم الآن أن تقررُوا بأنفسكم . ولكنى أريد منكم الالتزام بالقرار الذى تتخذونه » . ورفع الزجاجه وراح يشرب البيبسي كولا . وقال المستر برتشارد « ليس لدى متسع من الوقت . اسمع يا صديقى . اننى لم أحصل على أية اجازات منذ أن بدأت الحرب . فقد كنت أقوم بصنع معدات وآلات الحرب التى حققت لنا النصر . وهذه هى الاجازة الاولى التى أقوم بها . اننى فقط ليس لدى متسع من الوقت للتجول فى ربوع البلاد جريا وراء التسلية أو الاثارة أو المداعبة . فانا احتاج للراحة . وليس لدى سوى اسابيع قليلة وهذا التعطيل يستنفدها » .

وقال جوان « آسف . اننى لم اتعمد ان أقفل ذلك كما تعرف . ولو حدث أن احتجزت في منطقة منحني النهر فانك ستضيع مزيدا من الوقت وقد أفقد أنا الاوتوبيس باحتجازه هناك . فالكوبرى متهاك الى درجة الانهيار . وقد ينهار في أية لحظة . ولا يوجد حل آخر سوى العودة من حيث أتينا » .

وجاء فان برانت من خلف الحائط المكون من معلبات القهوة المرصوة فوق بعضها البعض . وكان ممسكا في يده علبة من شرائح الخوخ زنة ٢٥ رطل . وعبر المتجر متجها الى المدام بريد وسألها « كم ثمن هذه ؟ » .

« ٤٧ سنتا » .

« يا الهى ! من أجل علبة خوخ ؟ » .

فقالت « ان الربيع ثابت كما هو . كل ما هناك ان علينا ان ندفع ثمننا اعلى لشرائها . »

فالتقى فان برانت نصف دولار في عنف على الكاونتر وقال لها « افتحيها - ٤٧ سنتا من أجل علبة خوخ صغيرة رديئة الصنف. ١١ » فوضعت المدام بريد العلبة في فتاحة الحائط وأدارت الكرنك وتوقفت عندما ارتفع طرف العلبة . ودفعت بالعلبة عبر الكاونتر الى فان برانت . فشرب جانبا من العصير دفعة واحدة أولا ثم مد أصابعه في داخلها واستخرج منها شريحة صفراء وسننها فوق العلبة المفتوحة لتقطر ما بها من سوائل .

وعلق قائلا : سمعت الآن كلامك . اتظن ان باستطاعتك ان تضيع وقتنا هباء وسدى . انه ينبغي على ان اصل الى دار القضاء بعد ظهر هذا اليوم . ومسألة وصولي تتعلق بمشيئتك وارادتك . أنك سائق في النقل العمومي وخاضع لقواعد وكالة النقل بالسكة الحديد » .

وقال جوان « وذلك هو ما أحاول أن أفعله . فمن بين قواعد النقل هو ألا تقتل المسافرين » .

وقال فان برانت « ان السبب هو عدم معرفتك بهذه المنطقة . وينبغي أن يكون هناك قانون ينص على ضرورة معرفتك بالمنطقة قبل أن يسمحوا لك بقيادة الاوتوبيس » وألقى بشريحة من الخوخ بسرعة في فمه والتقط شريحة أخرى بين أصبعي السبابة والابهام . فقد كان مستمتعا .

« قلت لنا ان هناك شيئين فقط نختار فيما بينهما . حسنا . يوجد هناك ثلاثة أمور . فأنت لا تعرف الطريق القديم الذي كان

هناك قبل أن يشيدوا هذين الكوبريين اللعينين . والطريق القديم يدور حول المنطقة المنحنية من النهر بشكل ملاصق للحافة الخارجية للمنحنى . وقد اعتادت مركبات السفر العمومية استخدام ذلك الطريق » ونظر جوان مستفسرا من المستر بريد « لقد سمعت عن هذا الطريق . ولكن ما هي الحالة التي هو عليها ؟ » . وقال فان برانت « كانت المركبات العمومية تستخدمه منذ ما يزيد على ١٠٠ سنة » .

وقال المستر بريد « أعرف عنه أنه على ما يرام لمسافة ميلين فقط ولكن لا أعرف شيئا عنه في المسافات الأخرى البعيدة . وهذا الطريق يرتفع مع جانب الجبل نحو الشرق . هنالك . ويحتمل أن تكون المياه قد اكتسحته فأنا لم اذهب اليه منذ فترة قبل سقوط الأمطار » .

وقال فان برانت « الاختيار متروك لك » . ولوح بقطعة من الخوخ وألقى بها في فمه وتحدث من حولها قائلا : « لقد أخبرتك ان الجو سيخطر . وأخبرتكم بأن النهر سيرتفع تبعا لذلك . والآن عندما وقعت في الحيرة والارتباك فأننى أخبركم عن طريقة الخروج من المازق . فهل لى أن أقود أوتوبيسك اللعين أيضا ؟ » .

فصرخ جوان « احفظ عليك لسانك . فنحن معنا سيدات » . وأمال فان برانت العلبة وشرب البقية الباقية من العصير وشهد قطع الخوخ الى الخارج بأسنانه . وجرى العصير الغليظ القوام الى أسفل على ذقنه فقام بمسحه بكم قميصه . وقال « يا الهى . يا لها من رحلة . منذ أن بدأت مباشرة » .

والتفت جوان وواجه المسافرين الآخرين وقال « حسنا . هاهى الرخصة . ان رخصتى تقول أنه ينبغي على أن ألتزم بالسير على الطريق الرئيسى . وأنا لا أعرف الطريق القديم . ولست أدري ما اذا كنت سأتمكن من عبوره بنجاح أم لا . وأترك لكم مسألة تقرير ما تريدونه . فأنا لا أريد أن يقع على اللوم اذا ما تأخرنا أو أعيق تقدمنا » .

وقال المستر برتشارد « اننى أرغب فى أن أرى الامور وقد تم انجازها . فأنا ينبغي على الآن أن أصل الى لونس انجلوس أيها الرجل . فقد استخرجت تذاكر بالطائرة الى مكسيكو سيتى . أتعرف كم كلفنى ؟ وتذاكر الطائرات لا رجوع فيها . وينبغى علينا أن نتخذ قرارا من الآن بالنسبة لهذا الكوبرى . اتظن أن الكوبرى خطير ؟ » .

فقال جوان « انه خطير » .
فقال المستر برتشارد « حسنا . وأنت تقول أنك لا تعرف
ما اذا كنت ستتمكن من السير في الطريق القديم بنجاح ؟ »
فقال جوان « هذا صحيح » .
فقال المستر برتشارد « اذن أمامك حالتان من المجاذفة وحالة
واحدة مضمونة . والحالة الواحدة المضمونة لا توصلك للهدف
المنشود . هممم » .
وقالت المدام برتشارد « ماذا تظن يا عزيزى ؟ ينبغى علينا ان
نفعل شيئا . فانا لم أستحم منذ ثلاثة أيام . ينبغى علينا ان نفعل
شيئا يا عزيزى » .
وقالت ميلدريد « فلنجرب الطريق القديم . فربما يكون ممتعا
ومسليا » ونظرت الى جوان لترى وجهة نظره ازاء ذلك ولكن عينيه
كانتا قد تحولتا بالفعل عنها واتجهت الى كاميل .
وبدافع من العلاقة الجديدة وجدت كاميل نفسها تقول « وانا
أؤيد فكرة السفر بالطريق القديم . ولن يزيدنى هذا اتساخا لاننى
متسخة للغاية من الآن » .
ونظر جوان لأسفل واستيقظت عيناه في حدة عندما شاهد وجه
نورما . فهى لم تكن تشبه نفس الفتاة . وأدركت نورما انه قد
لاحظها . فقالت وهى لاهثة الانفاس : « اختار الطريق القديم » .
وعشر أرنست هورتون على كرسى . وهو الكرسى الذى كانت
تستخدمه المدام بريد عادة عندما كانت تتورم ساقاها في فترات
ما بعد الظهر . وكان يشهد عملية حصر الاصوات .
وقال « ان الامر لا يهمنى كثيرا . وأنا بالطبع أحب ان اصل
الى لوس انجلوس في أى وقت . وأنا ملتزم بالرأى الذى تجمعون
عليه مهما كان هذا الرأى » .
ووضع فان برانت العلبة فوق الكاونتر بشدة مما أحدث صوتا
عاليا وقال « انها ستمطر » واستطرد « وذلك الطريق الخلفى سيصير
زلقا بشكل مخيف . وربما لا نتمكن من الصعود الى قمة التل تجاه
الشرق . فهذا الجزء شديد الانحدار وزلق . فاذا غصت فى الوحل
هناك فانه يتعذر عليك الخروج من الوحل على الاطلاق » .
فقالت ميلدريد « ولكنك الشخص الذى اقترح ذلك » فقال
فان برانت « اننى فقط أفند جميع الآراء . مجرد العمل على
تنسيقها » .
فسأله جوان « وما هو الاقتراح الذى تؤيده ؟ »

« أوه . اننى لن أدلى بصوتى مؤيدا أو معارضا أى فكرة .
فذلك أسخف شيء سمعته فى حياتى على الإطلاق . يبدو لى أنه
ينبغى على السائق أن يتخذ القرارات شأنه فى ذلك شأن قائد
السفينة » .

وذهب بيميلز الى الكاونتر الخاص بالحلوى ووضع ٢ دايم
والتقط اثنتين من الحلوى من نوع « بيبي راث » . ووضع احدهما
فى جيبه الجانبى على أمل اعطائها لكامل عندما ينفرد بها وحدها .
اما الثانية فراح يفض غلافها فى بطء وهبطت فكرة خيالية مشيرة
على ذهنه بشكل فجائى . لنفرض أنهم سلكوا طريق الكوبرى وفى
منتصف عبورهم للكوبرى تماما تحطمت بواكى الكوبرى وسقط
الآوتوبيس الى قاع النهر ؟ سيكون بيميلز قد ألقى به بعيدا ولكن
الشقراء ستكون قد وقعت فى الفخ فى داخل الآوتوبيس . وشاهد
نفسه وهو يفوس حتى كاد ان يهلك ولكنه تمكن أخيرا من كسر
نافذة فى الآوتوبيس وجذب كامل الى الخارج وسبح بها الى الشاطئ
ووضعها وهى مغمى عليها فوق العشب الأخضر وراح يدلك لها
ساقها ليعيد اليها الدورة الدموية . بل والافضل من ذلك أنه قلبها
على وجهها ووضع يديه تحت ثديها وعمل لها التنفس الصناعى .
ولكن فلنفرض أنهم سلكوا الطريق القديم وغاص الآوتوبيس فى
الوحد ؟ . عندئذ سيكونان هناك على ما يرام ربما بجوار نار مشتعلة .
سيكونان سويا ويجلسان سويا أمام النار مع وجود ضوء ساقط على
وجهيهما وربما تلقى بطانية عليهما سويا .

وقال بيميلز « أظن ان من الافضل لنا ان نسلك الطريق القديم »
فنظر اليه جوان وابتمس :

« انك تحمل فى داخلك دماء كيت كارسون حقيقة . اليس كذلك
يا كيت ؟ » . وأدرك بيميلز أنها كانت نكتة ولكنها ليست نكتة
وضيعة .

« حسنا . أظن أن الامر كذلك بالنسبة لكل شخص باستثناء
واحد فقط لم يدل بصوته . ماذا فى الامر ؟ . أتريد أن تتمكن من
رفع قضية ؟ » .

فاستدار فان برانت نحو الآخرين وقال « انكم جميعا معتوهون .
أندرون ماذا يفعل ؟ أنه يحمى نفسه . فلو حدث أى شيء لن يقع
عليه اللوم . لأنه يمكنه أن يقول أنه قد نفذ رغباتكم . لا . لن يمكنه
من ايقاعى فى الشرك بتلك الطريقة » .

ونظف المستر برتشارد نظارته على منديله الأبيض المصنوع من

الكثان وقال « انها فكرة » واستطرد « لم افكر في هذا الامر على ذلك النحو تماما . فنحن فعلا نقوم بالتخلي عن حقوقنا » .

فلمعت مينا جوان بالغضب وصار فمه رفيعا ومزموما . وقال « ادخلوا الى الاوتوبيس . ساعدوكم الى سان يسيدرو والقي بكم هناك . فانا احاول أن أنجز لكم الامور وانتم تتصرفون كما لو كنت احاول اغتيالكم . هيا . ادخلوا الى الاوتوبيس . لقد سئمت من ذلك فانا قد قلبت حياتي رأسا على عقب منذ الليلة الماضية من أجل راحتكم . وقد ضقت ذرعا بكم . فهيا اذن . اننا عائدون » .

فسار المستر برتشارد نحوه وقال « لا . اننى لم أقصد ذلك . اننى أقدر ما قمت به ونحن جميعا نقدر ما قمت به . ولقد كنت فقط أحاول التفكير في الموضوع من كافة جوانبه . وذلك هو ما أفعله بالنسبة للاعمال التجارية . حيث لا أقدم على شيء الا بعد تمحيص يفتى الى قرار » .

فقال جوان مرة أخرى « لقد سئمت من ذلك . لقد حصلت على فراشى في الليلة الماضية . ولا أريد الآن سوى التخلص منكم » . وقال فان برانت « لا تنس أن أوتوبيسك هو الذى تعطل . وهذه ليست غلطتنا » .

فقال جوان في هدوء « أغلب الظن أننى أريد أن أتخلص منكم » وقال فان برانت « انتبه لنفسك . لا تنس أنك سائق عمومى . وبعد هذه الحالة التى تعتبر انذارا لك لن يكون من الصعب سحب الرخصة منك » .

فتغيرت الحالة النفسية لجوان فجأة . وضحك . وقال : « يا أخى . اننى أرحب بسحب الرخصة حيث سأكون مطلق السراح وبعيدا عن الناس من أمثالكم . ويمكننى أن افكر فى المكان الذى اختاره لكى أضع فيه تلك الرخصة بعد ان أطويها وأربطها بسلك شائك » .

فضحكت كاميل بصوت مرتفع وضحك ارنست هورتون فى سعادة ضحكات توحى بالاستخفاف . وقال « على أن أقول قبل أن أنسى : نعم يا سيدى . اسمع يا مستر شيبكوى . ان هذين الرجلين دخلا فى المجادلات والمناقشات . أما الباقي منا فيريد استئناف السفر . اننا نريد أن نأخذ فرصتنا . لماذا لا تقوم بجر خط على الارض بحيث من يقف على الخط يعد موافقا على الذهاب ومن لا يقف عليه يعتبر موافقا على البقاء هنا . وفى ذلك عدل بما فيه الكفاية » .

وقالت ميلدريد « أريد أن أذهب يا مستر شيكوى » وقال جوان « وهو كذلك » فلنأخذ ذلك الشق الكبير الموجود على الأرض هناك حدا فاصلا . وكل شخص لا يريدنى أن أسلك الطريق الخلفى عليه بالانتقال الى الجانب المزروع بالخضراوات .

ولم يتحرك أحد . وأمعن جوان النظر فى كل وجه من الوجوه . فقال فان برانت « هذا الاجراء غير قانونى . فلن يعتد به فى أى محكمة . . »

« ما الذى لا يعتد به فى المحكمة ؟ »

« ما تفعله الآن »

« انه ليس فى أى محكمة »

فقال فان برانت « ربما يصل الى أى محكمة . »

فقال جوان « حتى لو كنت تريد المجيء معى فائنى لن أسمع لك بذلك . »

« انك تريد فقط أن تبعدنى . ولكنى قد حصلت على تذكرة ولدى الحق فى استخدام الاتوبيس . انك تريد فقط أن تبعدنى . سأجعلهم يطوحون بك بسرعة هائلة تجعل رأسك يدور » فقوس جوان كتفيه وقال « ويمكنك أنت أيضا الصعود الى الاتوبيس . أوكى . هيا بنا نبدأ فى الرحيل » واستدار نحو المستر بريد وقال له « يمكنك أن تعيرنى بعض الادوات القليلة ؟ وسأحضرها اليك لدى عودتى مباشرة . »

« ما نوع الآلات التى تريدها ؟ »

« أوه . معول وكريك »

« أوه . بكل تأكيد . لكى تستخدمها فى حالة تعرقل الاتوبيس ؟ »

« نعم . وهل عندك كتلة من الخشب وآلة لرفع الاثقال ؟ »

« آلة رفع الاثقال ليست جيدة . أما كتلة الخشب فهى على مايرام وان كان يوجد بها سلك معدنى قديم سمكه نصف بوصة . ولست أدري مقدار الضغط التى يمكن أن تتحملها . فهذا الاتوبيس ثقيل الى حد ما . »

وقال جوان « حسنا . هذا أفضل من لا شئ » واستطرد : « اليس لديك أى أسلاك معدنية لاشترائها منك الآن ؟ »

فقال بريد « اننى لم أحصل على أية كميات جديدة من أسلاك مانىلا منذ أن بدأت الحرب . ولكن يسعدنى أن تأخذ من الاسلاك الموجودة عندي . هيا . خذ لنفسك ما تريد . »

وقال جوان « هيا يا كيت • ساعدنى • ممكن ؟ »
 وخرج ثلاثتهم من المتجر وساروا الى المنطقة الخلفية •
 وقال ارنست لكاميل « لم يكن ليفوتنى هذا • لم يكن ليفوتنى هذا
 لاي سبب من الاسباب • »
 فقالت كاميل « أتمنى لو كنت غير مرهقة الى هذا الحد » واستطردت
 « فقد ظلمت أتنقل بالأتوبيسات منذ خمسة أيام • وأريد أن أخرج من
 ملابسى واستغرق فى نوم عميق لمدة يومين » •
 « لماذا لم تستقلى القطار ؟ أقلت أنك ذاهبة الى شيكاغو ؟ »
 « نعم • شيكاغو »
 « حسنا • كان باستطاعتك أن تستقلى قطار النوم الرئيسى السريع
 وتنامى طوال الطريق حتى لوس أنجلوس • فهو قطار مريح • »
 فقالت كاميل « أردت أن أقتصد قدرا لا بأس به من المال • فلدى
 كمية محدودة من النقود وأريد أن أمارس الحب فى أماكن مختلفة
 لبضعة أسابيع قبل أن أعود الى عملى • وأفضل أن يتم ذلك فى سرير
 مزدوج وليس فى سرير عربة النوم بالقطار • »
 « هل نجحت فى الفوز بأعجابك ؟ وهل أنا فهمتك على النحو
 الصحيح ؟ »
 فقالت كاميل « لا • »
 « أوكى • أنت سيدة الموقف »
 فقالت كاميل « اسمع • لا داعى لان نلعب مع بعض • فانا مرهقة
 للغاية بحيث لا أستطيع أن ألعب معك لعبة التخمين »
 « أوكى • أوكى » سألعب بأية طريقة تريدينها • »
 « حسنا • فلنترك هذا الامر الى أن تنتهى الرحلة • هل يهملك ذلك
 الامر ؟ »
 فقال ارنست « اننى معجب بك • ويسعدنى أن آخذك معى فى
 نزهة بعد أن تستريحى من عناء السفر »
 فقالت كاميل « حسنا • سنرى كيف تسير الامور • » لقد كانت
 معجبة به • كان باستطاعتها التحدث اليه • وهو قد عرف بعض الاجابات
 القليلة مما ادى الى نوع من الارتياح •
 وكانت نورما قد راحت ترقبهما وتنصت لحديثهما • لقد أصبحت
 معجبة بكاميل اعجابا شديدا • وأرادت أن تتعلم فقط كيف يتم ذلك •
 وفجأة أدركت أن عينيها مفتوحة فى اتساع مثل عيني الارنب فأرخت
 من جفنيها العلويين •

وقالت المدام برتشارد « آمل الا أكون بصدد التعرض للصداع .
اسألهم يا اليوت عما اذا كان لديهم اسبرين . ممكن ؟ » .
فقامت المدام بريد باخراج كيس سسلوفان من كرتونة كبيرة من
الورق المقوى وقالت « أتريد واحدا . ثمن الواحد خمسة سنت » .
وقال المستر برتشارد « يحسن بنا ان نأخذ نصف دسنة » « سيكون
ثمنا ٢٦ سنتا شاملة الضريبة » .

فقالت المدام برتشارد « لست بحاجة لان تأخذ كل هذا العدد
الكبير يا اليوت . فعندي زوجة من فئة الخمسمائة موجودة في
حقيبتى » .

فأجاب عليها « من الافضل أن يكون لدينا احتياطي من الاسبرين » .
فقد كان يعرف حالات الصداع التي تتعرض لها . كانت حالات مرعبة .
اذ كانت تلوى وجهها وتحولها الى كتلة من الألم اللاهث المتصعب بالعرق
المكشر عن أنيابه . كانت آلام صداعها تملأ غرفة بل وتملا منزلا وتنقل
الى كل شخص حولها . وكان باستطاعة المستر برتشارد أن يشعر
بأحدى حالات الصداع التي تتعرض لها لدى نفوذها اليه من خلال
الحوائط . كان باستطاعته أن يشعر بها فوق جسده . ولقد قال
الطبيب انه لا يوجد هناك شيء يمكن عمله لعلاج ذلك . فكانوا يحقنونها
بالكالسيوم ويعطونها المسكنات . وكانت نوبات الصداع تهبط عليها
عادة عندما تكون عصبية المزاج أو عندما لا تسير الامور على ما يرام دون
أن يكون الخطأ من جانبها .

وكان زوجها يتمنى لو استطاع حمايتها . وبدأت هذه النوبات من
الصداع كأن لها طابع الانانية وحب الذات . ومع ذلك فهي لم تكن
كذلك . اذ كان الألم حقيقيا . فلا أحد بمقدوره أن يتظاهر بمثل هذا
العذاب الاليم . وكان المستر برتشارد يخشى نوبات الصداع هذه أكثر
من أى شيء آخر في العالم . فالنوبة الشديدة كان يمكنها أن تجعل
المنزل بأكمله يهتز رعبا . وكانت تلك النوبات تشبه الضمير بعض
الشيء . اذ لم يستطع المستر برتشارد أن يتخلص مطلقا من الاحساس
بأنه هو السبب في ذلك الصداع على نحو ما على الرغم من المجسادلات
التي يبذلها لتبرئة نفسه مما حدث . ولم تقل المدام برتشارد أبدا أى
شيء من هذا القبيل ولم تشر الى أن الامر قد يكون كذلك . وهي في
حقيقة الامر كانت شجاعة للغاية . وكانت تحاول أن تكتم صرخاتها
باستخدام الوسادة .

ولم يكن المستر برتشارد يضايقها كثيرا في السرير . وحقيقة الامر أن ذلك كان يحدث بشكل نادر للغاية . إلا أنه كان يربط بطريقة غريبة بين حالات الصداغ عندها وبين حالات الشبق التي كانت تعتريه من وقت لآخر وتفقد السيطرة على نفسه . ورسخ في ذهنه بشكل عميق أن الامر كان كذلك ولم يدر كيف غرست تلك الفكرة في ذهنه . ولكنه كان يشعر فعلا بشيء من وخز الضمير . وكان السبب في ذلك هي تلك النزعة البهيمية عنده وشبقه وفقدان السيطرة على نفسه . ولم تكن لديه أية وسيلة لانقاذ نفسه . وكان يجد نفسه في بعض الأحيان كارها لزوجته كرها شديدا بسبب ما يشعر به من تعاسة . فعندما كانت تصاب بالصداغ كان يبقى في مكتبه وقتا اضافيا وأحيانا كان يجلس الى مكتبه لبضعة ساعات محملا في المفرش البني اللون بينما جسده يختلج مع الالم الذي تعانيه زوجته .

وهي قد تحاول انقاذه وهي في ذروة نوبة من أسوأ النوبات التي تتعرض لها ، فتقول له في أنين « اذهب الى السينما . اذهب الى تشارلي جونصون . تناول شيئا من الويسكى . احتسى الى أن تصبح ثملا . لا تبقى هنا . اذهب الى السينما » إلا أنه كان من المستحيل أن يفعل ذلك . لم يكن يستطيع ذلك .

ووضع المستر برتشارد الستة أكياس الصغيرة الشفافة في جيب معطفه . وسألها « أترغبين في تناول اثنتين الآن . إذا كان الامر يستدعي ؟

ف قالت « لا . أظن أنني على وشك التحسن » وابتسمت ابتسامتها الشجاعة الحلوة .

وما أن سمعت ميلدريد أول مرة يذكر فيها كلمة اسبرين حتى ذهبت الى جانب المتجر وراحت تقرأ القائمة التي توضح الحد الاقصى لسعر البيع المعتمد من الأوبيا (مكتب الرقابة على الاسعار) . وكان فيها مزموما بشدة وكان حلقها متوترا . وقالت بهدوء وبصوت منخفض « أوه . أيها السيد المسيح » . « أوه . أيها السيد المسيح » . أهي يصدد البدء في ذلك بالفعل ؟ ولم تكن ميلدريد تأخذ حالات الصداغ على أنها شيء حقيقي تماما . فهي نفسها لم تتعرض أبدا لحالة واحدة من الصداغ الشديد . ولكنها تعرضت فقط لحالات من الصداغ البسيط التي تجيء على فترات متقطعة وتعرضت لحالات قليلة من الصداغ الناجم عن تناول الخمور وهي في المدرسة . وكانت تسمى الصداغ

الذي تتعرض له والدتها سيكوسوماتي وسيكوتي . وكان خوفها منه يفوق خوف والدها . وعندما كانت فتاة صغيرة كانت تهرب من نوبات الصداع التي تفاجئ والدتها . اذ كانت تهبط الى البدروم أو الى الفراغ خلف الكابينة في غرفة الحياكة . وعادة ما كانوا يجذبونها الى الخارج ويأخذونها الى أمها لان أمها عندما تعاني من آلام الصداع تكون بحاجة للحب والتدليل . وكانت ميلدريد تنظر الى نوبات الصداع على أنها لعنة تحل بالانسان وكانت تكرهها . وكانت تكره أمها عندما تتعرض لتلك النوبات من الصداع .

وكانت ميلدريد قد اعتقدت لفترة من الوقت أن صداع والدتها ما هو الا ادعاء كاذب تماما . ورغم أنها أدركت من خلال الاطلاع والقراءات أن الألم كان حقيقيا الا أنها ظلت تنظر الى حالات الصداع على أنها سلاح تستخدمه والداتها بكل دهاء ووحشية . فصحيح أن الصداع كان يسبب الألم لامها الا أنه كان أيضا يسيطر على الأسرة ويعاقب الأسرة ويقيم الأسرة ويقعدها . فالاشياء التي لا تحبها والدتها لا تتم مطلقا بحجة أنها تسبب الصداع لها . وكانت ميلدريد تعرف أن خوفها من دخول المنزل في وقت يزيد على الساعة الواحدة صباحا مرجعه الى تأكدها من أن والدتها قد تتعرض للصداع اذا تأخرت عن ذلك الوقت وفي الفترات الزمنية ما بين صداع وآخر ينسى المرء مدى التدمير الذي تحدثه هذه النوبات . وكانت ميلدريد تعتقد أن ما تحتاجه والدتها هو طبيب نفسي . وكانت برنيس على استعداد لعمل أي شيء من أجل أن تشفى من ذلك الصداع . ولكن المستر برتشارد كان يمنع في حزم ذهابها لطبيب نفسي . وقال انه لا يؤمن بالاطباء النفسيين . مع أنه في حقيقة الامر كان يؤمن بهم بل ويؤمن بهم لدرجة كبيرة للغاية الى الحد الذي جعله يخاف منهم ويخشاهم . هذا بالإضافة الى أن المستر برتشارد أصبح تدريجيا معتمدا على نوبات الصداع تلك . اذ كانت على نحو ما تبريرا بالنسبة له . كانت عقابا له . كانت تقدم له الخطايا التي تستلزم التكفير عنها . وكان المستر برتشارد بحاجة الى الخطايا . اذ كانت حياته في مجال المال والتجارة خالية من الخطايا لان أعمال القسوة والصرامة في المال والتجارة كانت تحدد وتترك جانبا بهدف تجاهلها من حيث هي أمر يضطر اليه المسباهمون ويتحملون مسئوليته . كان المستر برتشارد يحتاج الى خطايا ذاتية شخصية ويحتاج للتكفير الذاتي عن تلك الخطايا . ومن هنا كان يستنكر في

غضب فكرة الاستعانة بطبيب نفساني .
وأرغمت ميلدريد نفسها على الاستدارة على عقبيها والعودة الى أمها
« أنت على مايرام يا عزيزتي ؟ »
فقالت برئيس في اشراق « نعم »
« ألا يوجد صداع ؟ »

فقالت برئيس في شيء من الاعتذار « لقد تعرضت فقط لوخز .
جعلني أخاف من التعرض لنوبة من الصداع . انني لن أغفر لنفسي أبدا
إذا تعرضت لاحدى النوبات الرهيبة وأتلفت بذلك رحلة بابا » .
وشعرت ميلدريد برعشة خوف بسيطة من هذه المرأة التي هي أمها
— خوف من نفوذها ومن قسوة قلبها . لابد أن يسكون ذلك عن غير
وعى . يجب أن يكون كذلك . وكانت ميلدريد قد رأت وسمعت التبرير
لهذه الرحلة الى المكسيك . فوالدها لم يكن لديه الرغبة في الذهاب اذ
كان يفضل قضاء أجازته في المنزل بعيدا عن المكتب وان كان ذلك يعنى
أنه قد يذهب للمكتب يوميا بمعنى أن ذهابه سيكون فى أوقات غير
منتظمة وعودته لن تكون مع ساعة الانصراف من العمل وانما وفقا
لاحساسه ورغبته فى العودة . وبذلك يشعر أنه فى أجازة من العمل .
ولكن الرحلة للمكسيك قد رسخت فى الاذهان كحقيقة واضحة .
متى وكيف تم ذلك ؟ هذا هو ما لم تعرفه ميلدريد أو والدها . ولكن
والدها أصبح تدريجيا مقتنعا بأن الفكرة هي فكرته بل ومقتنعا بأنه هو
الذى يرغم أسرته على الذهاب معه . وقد أعطاه هذا شعورا ممتعا بأنه
سيد البيت وأن كلمته هي العليا فى منزله . وهو قد سار فى الردهات
مغلقة الباب وراء الباب فى المنزل الذى يشبه التيه . كان الامر أشبه
ما يكون بوكرا المصيدة . فالدباجة تجد ثقباً وتنظر فى داخله وترى
أنه يوجد به قليل من الحبوب وتنفلد من خلال الباب الى الداخل —
فيغلق الباب . حسنا . ها هنا يوجد عش . مظلم وهادئ . فلم
لا تبيض ؟ وتكون بذلك نكتة لطيفة على من ترك ذلك الباب مفتوحا .

لقد نسي والدها تقريبا أنه لم تكن لديه الرغبة فى الذهاب الى
المكسيك ، كان كل من برتشارد وزوجته يفعل ذلك من أجل ميلدريد .
كان ذلك بالفعل هو الامر السليم . فقد كانت ميلدريد تدرس اللغة
الاسبانية فى الكلية ، وهى لغة لم تتمكن من استيعابها شأنها فى ذلك
شأن القائمين على تدريسها ، وقد تكون المكسيك هى المكان المناسب
الذى تتمرّن فيه على التحدث والمران على اللغة ، وقالت والدتها أنه

لا توجد هناك وسيلة لتعلم لغة مثل التمرن عليها واستخدامها .
ولم يكن باستطاعة ميلدريد وهي تنظر الى وجه أمها الحلو المنبسط
في استرخاء واستجمام أن تصدق ببساطة أن هذه المرأة يمكنها أن
تدبر أمرا ثم تقوم بعدئذ باتلافه . لماذا ؟ .

كان من الممكن أن تفعلها . فقد غرست الفكرة . ومن المؤكد أنها
كانت بصدد الحصول على الصداق . ولكنها قد تنتظر لحين أن تصبح
في مكان لا يوجد به أطباء حتى يمكن أن يسبب صدادها أكبر قدر
مممكن من التأثير . لقد كان أمرا يصعب تصديقه . ولم تعتقد ميلدريد
أن أمها كانت تدرك حقيقة ما كانت تفعله . ولكن كانت هناك كتلة
كالعجين في صدر ميلدريد تهبط بثقلها فوق معدتها . لقد كان
الصداق آتيا في الطريق . كانت تدرك ذلك .

وشعرت ميلدريد بالغيرة من كاميل . وحسدتها . لان كاميل فتاة
عاهرة . والامور بالنسبة للفتاة العاهرة أيسر بكثير . فلا يوجد ضمير
ولا شعور بالخسران ولا شيء سوى الانانية الغربية التي تتصف
بالاسترخاء والتمطى كالقطة . فباستطاعتها أن تذهب الى الفراش مع
أى شخص تريده ولا تراه بعد ذلك مطلقا . ولا تشعر من وراء ذلك
بمشاعر الخسران وعدم الأمان . كانت تلك هى حياة كاميل من وجهة
نظر ميلدريد . وتمنت أن تعيش نفس هذه الحياة . وكانت تعرف أنها لن
تستطيع ذلك بسبب وجود أمها . ودخلت الى ذهنها الفكرة التي لم
تدع للدخول - لو أن والدتها كانت ميتة لاصبحت حياة ميلدريد أكثر
بساطة الى حد بعيد ، عندئذ ستتمكن من الحصول على مكان سرى
صغير تعيش فيه فى منطقة ما . وأبعدت هذه الفكرة من ذهنها بطريقة
تكاد تكون غير مستحبة . وقالت لنفسها بأسلوب يتسم بالرسميات
« يا له من شيء سخيف أفكر فيه » . ولكنه كان حلما يراودها كثيرا .

ونظرت الى الخارج عبر النافذة الامامية . لقد ساعد بيميلز فى
وضع الكتلة الخشبية والة الرفع فى داخل الاتوبيس . وكانت هناك
شعوم على سلك « المانيلا » فلوثت بنطلون بيميلز ذا اللون البنى
الممزوج بلون الشيكولاته . وكان يبذل محاولات لمسح البقع بمنديل
يده . وراحت ميلدريد تفكر « منسكين ذلك الصبى . فلربما تكون
هذه هى البدلة الوحيدة عندة » . وكانت على وشك أن تنصحه بعد
مسح البقعة الا أنها شاهده وهو يذهب الى مضخة البنزين ويضع
قليلا من البنزين على منديل يده وينظف البقعة فى اتقان .
وبدأ جوان ينادى « هيا بنا . أيها الناس » .

الفصل الرابع عشر

وكان الطريق الذى يلف حول منعنى نهر سان يسييدرو قديما للغاية . فلا أحد كان يعرف متى أنشئ . ولقد استخدمت مركبات السفر العمومية هذا الطريق فعلا كما استخدمه الرجال الذين يستعينون بالخيول والدواب فى تنقلاتهم . وفى مواسم الجفاف كانت الماشية تساق على ذلك الطريق نحو النهر لكى ترقد تحت ظلال أشجار الصفصاف أثناء الحر القاتظ نهارا . ولكى تشرب من الحفر التى تحفر فى قاع النهر . وكان ذلك الطريق القديم مجرد شريحة من الارض الفضاء التى لم يتم اعدادها للزراعة . ولا تميزه عن باقى المساحات المجاورة سوى آثار اطارات السيارات على الارض وآثار حوافر الخيول وفى موسم الصيف كان يشهد سحابة كثيفة من الغبار عندما تمر عليه احدى عربات النقل العمومية . أما فى الشتاء فكانت تتطاير منه أوحال تشبه المعاجين من تحت حوافر الخيول . وتدرجيا أصبح هذا الطريق مقعرا لأسفل حتى أنه صار أكثر انخفاضا من الحقول التى يخرقها مما جعله بمثابة بحيرة طويلة من المياه الراكدة فى الشتاء ، وعميقة للغاية فى بعض الأحيان .

وبعدئذ جاء الرجال ومعهم المحاريث وحفروا الحفر على الجانبين وشيدوا الجسور الترابية تجاه الطريق . وبعد ذلك دخلت الزراعة وأصبحت الماشية لها قيمة كبيرة للغاية حتى أن ملاك الماشية على طول الطريق أقاموا الاسوار التى تحتجز ماشيتهم فى الداخل وتبقى ماشية الآخرين فى الخارج .

وكانت الاسوار بمثابة أعمدة مشقوقة من الخشب الاحمر ومثبتة فى الارض ، عليها ألواح سميكة من الخشب ٦×١ مثبتة بالمسامير على نصف المسافة من أعلى بحيث ترتبط الأعمدة ببعضها البعض . وعلى طول أعالي الأعمدة كانت توجد أسلاك شائكة من طراز قديم بمثابة شريط من المعدن الملتوى ذى الشوكات المسوونة المدببة ، وتغير لون الاسوار بفعل الشمس والأمطار . فالأعمدة والألواح الخشبية التى هى من الخشب الاحمر تحول لونها الى رمادى فاتح وأخضر رمادى . ونميت حشائش البحر على الاخشاب وتكونت الطحالب على الأعمدة الأكثر قدما .

وكان الرجال السائرون على أقدامهم والذين تتأجج صدورهم بالعبارات الملهمة يقتربون من الألواح الخشبية وينقشون رسالاتهم

عليها . « تب الى الله . فمملكة السماء في متناول يدك » . « أيها المخطيء . ارجع الى الله سبحانه وتعالى » . « لقد أزفت الساعة » . « لماذا سيعود هذا الامر بالخير على أحد الرجال . . » . « أقبل على السيد المسيح » ، ووضع رجال اخرون لافتات أخرى على السور بالاستعانة بالاستنسل . « مخدرات جاي » . « سيروس نوبل » . « ويسكي الاطباء » . « محل سان يسيدرو للدراجات » . وهذه اللافتات كلها قد تغير لونها فأصبحت معتمة اللون .

وعندما تناقص استخدام الحقول في مجال الرعى وتزايد استخدامها في زراعة القمح والشوفان والشعير بدأ المزارعون يزيلون من حقولهم الحشائش والاعشاب واللفت والخردل الاصفر والخشخاش والنباتات الشائكة والاعشاب الضارة . فاتخذت كل هذه النباتات ملجأ لها في الحفر المنتشرة بجانب الطريق ووقف نبات الخردل بارتفاع سبعة أقدام مع أواخر الربيع وشيدت طيور الشجرور المغردة ذات الاجنحة الحمراء أعشاشها تحت الزهور الصفراء . ونما نبات قرة الماء في الحفر الرطبة .

وأصبحت الحفر الموجودة بجانب الطريق مليئة بالاعشاب النامية العالية وصارت موطناً للعرسات وبعابين الماء الزاهية اللون وبدأت الطيور ترتادها في المساء لتشرب منها . وكانت القبرات تجلس طوال الصباح على الاسوار القديمة في فصل الربيع وتغرد أغنياتها ذات النغمات الحادة المتغيرة . أما الحمام البري فكان يجلس فوق الاسلاك الشائكة في المساء لدى غروب الشمس وقد تراصت اكتسافه بجوار بعضها البعض على مسافة أميال طويلة . وكانت صيحاته تدوى عبر الاميال في نغمة متصلة . وفي المساء كانت صقور الليل تجرى عبر الحفر باحثه عن اللحوم . ولدى حلول الظلام كانت البومات التي تقيم في الاسطبلات المهجورة تبحث عن الارانب . واذا تعرضت بقرة للامراض تجلس الصقور الرومية القبيحة المنظر على السور القديم في انتظار لحظة الموت .

وكان الطريق مهجوراً في الغالب . وحتى الاسر القليلة التي كانت لها مزارع في هذه المنطقة لم تعد تستخدم هذا الطريق رغم أنه لم يكن هناك طريق آخر سواه . وذات يوم كانت توجد الكثير من الممتلكات الصغيرة مع وجود رجل يعيش بالقرب من فدادينه : مزرعته وراعه وأرضه المزروعة بالخضراوات توجد تحت نافذة غرفة الجلوس في بيته . ولكن مساحات الاراضي أصبحت الآن ممتدة وشاسعة دون أن يستأجرها أحد وأصبحت المنازل الصغيرة والاسطبلات القديمة تقف بدون نوافذ وطايرت رمادية اللون وبدون طلاء .

وعندما حل وقت الظهيرة تكالبت السحب من الجنوب الغربي وانضمت مع بعضها البعض . وهناك قاعدة تقول أنه كلما طالت عملية الاستعداد التي تقوم بها السحب دل ذلك على أن الأمطار ستستمر في الهطول لفترة أطول . ولكن السحب لم تكن قد استكملت استعدادها . إذ كانت هناك بعض المساحات من السماء الزرقاء ومن وقت لآخر كان وميض الشمس يخطف بالابصار لدى انعكاسه على الأرض . وفي إحدى المرات قطعت سحابة طويلة ضوء الشمس إلى أشربة طويلة مستقيمة .

وكان على جوان أن يسير بأتوبيسه للخلف قليلا على الطريق الرئيسي لكي يصل إلى المدخل المؤدى إلى الطريق القديم . وقبل أن يدخل إلى الطريق القديم أوقف الاتوبيس وهبط منه وسار إلى الامام وشعر بالوحل الذي يشبه الشحوم تحت قدميه . وتعرف جوان على نوع من الابتهاج فى داخله . فقد ظل يبذل المحاولات ليدفع حمولة عربته من الاجساد البشرية إلى اللحاق بأعمالها ومصالحها التي لا تعنيه فى شيء ولكنه أحس الآن فى داخله بمشاعر سوء النية وتعهد الاذى فقد اختاروا بأنفسهم هذا الطريق . ولربما يكون طريقا لا بأس به . وكانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التي يحس بها الانسان عندما يكون فى أجازة . لقد أرادوا بأنفسهم هذا الطريق وليدعهم يحققون ما يريدون انه سيرا ماذا سيفعلون لدى تعطل الاتوبيس بهم . وحفر بأصبع قدمه فى الوحل المزوج بالحصى قبل أن يعود إلى الاتوبيس . وساءل نفسه : ترى ماذا تفعل أليس الآن ؟ . وهو كان يعرف جيدا الامور التي كانت تفعلها أليس . وهو اذا تعهد تعطيل الاتوبيس فقد يكتفى حينئذ بالسير بعيدا عنه . مجرد السير بعيدا ولا يعود أدراجه على الإطلاق . كانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التي يحس بها المرء عندما يكون فى أجازة من العمل . وكان وجهه متألقا بالسعادة عندما صعد داخل إلى الاتوبيس .

وقال فى سعادة « لست أدري ما اذا كنا سنتمكن من تحقيق ذلك فى هذه الظروف » فشعر المسافرون بشيء من الضيق وحدة المزاج بسبب ارتفاع حالته المعنوية وشعوره بالبهجة .

وجلس المسافرون متكومين فى المنطقة الامامية من الاتوبيس بقدر استطاعتهم . اذ شعر كل منهم أن جوان هو حلقة الاتصال الوحيدة بينهم وبين الاستقرار النفسى والعاطفى . ولو انهم عرفوا ما كان يدور فى رأسه لاصيبوا بفرع كبير للغاية . وكان هناك ابتهاج وسرور عظيم فى أعماق جوان ، فأغلق باب الاتوبيس ، وضغط بقدمه مرتين على

صمام البنزين ليزيد من سرعة موتورهِ قبل أن يفسح أتوبيسه على السرعة المنخفضة . ثم استدار داخلا به الى الطريق الريفي الموحل . وكانت السحب قد استعدت للهطول بأقطارها . وأدرك هو ذلك واستطاع أن يرى في الغرب سحابة واحدة تهبط لاسفل . كانت آخذة في التحرك من هناك وقد تتحرك فوق الوادي وتتفجر في شكل نوبة أخرى . من نوبات المطر الفجائي الغزير القصير المدى . وصار الضوء مرة أخرى معدني اللون في تداخل واجتياح على نحو يوحى بسقوط المطر العنيف .

فقال فان برانت في اشراق « المطر على وشك الهطول » فقال جوان « يبدو الامر كذلك » واستدار بأتوبيسه في الطريق . لقد كانت اطارات أتوبيسه تجوس على الطريق بشكل جيد ولكنه ما أن ترك الطريق المرصوف حتى شعر بانزلاق الاطارات قليلا فوق الاوحال الزلقة وشعر بمؤخرة الاتوبيس تتحرك في جزء من الدائرة . ولكن كانت لتلك الحركة حدود معينة . كان الاتوبيس يتحرك ببطء فوق الطريق فوضع جوان الاتوبيس على السرعة الثانية . ولربما يجعله يسير على تلك السرعة طوال المسافة كلها .

وصاح المستر برتشارد بصوت يعلو على صوت الموتور متسائلا « ما هي مسافة هذه اللفة ؟ »

فقال جوان « لست أدري . اذ لم يسبق لي أن سلكت هذا الطريق انهم يقولون ١٣ أو ١٥ ميلا . شيء من هذا القبيل » . وانحنى فوق عجلة القيادة ورفع عينيه عن الطريق ونظر نظرة سريعة الى عذراء جاداليوب في محرابها الصغير على قمة تابلوه آلاته .

ولم يكن جوان رجلا شديداً التدين . كان يؤمن بقوة العذراء مثل ايمان الاطفال الصغار بقوة أعمامهم . وكانت العذراء بالنسبة له بمثابة دمية والهة وقطعة لجذب الحظ السعيد بل وتمت له بصلة القرابة . فأمه وهي تلك المرأة الايرلندية كانت قد تزوجت في أسرة العذراء وتقبلت العذراء مثلما تقبلت أم زوجها وجدة زوجها . وأصبحت جاداليوبانا بمثابة أسرتها والبتها .

وقد نشأ جوان وترعرع مع هذه السيدة العذراء ذات الجسوانات الواسعة الواقفة فوق الهلال . وكانت العذراء متواجدة في كل مكان عندما كان صغيراً في السن . فوق سريره للاشراف على أحلامه ، وفي المطبخ لمراقبة الطعام ، وفي الصالة لترعاه لدى دخوله الى المنزل وخروجه منه وفوق باب الزوجان لكي تنصت اليه أثناء لعبه في الشارع . وكانت في محرابها الجميل الخاص بها في الكنيسة وفي

حجرة الدراسة بالمدرسة . وكان ذلك كله لم يكن كافيا لاثبات أنها موجودة في كل مكان . اذ كان يرتديها على شكل ميدالية ذهبية صغيرة لها سلسلة ذهبية تلتف حول عنقه . وهو اذا كان بمقدوره أن يبتعد عن عيني أمه أو أبيه أو اخواته فانه لا يستطيع الابتعاد عن العذراء لانها كانت متواجده معه دائما . واذا حاول خداع أقاربه الآخرين أو تضليلهم أو لعب الحيل عليهم فان جاداليسوبانا تدرك كل شيء على أي حال . ولقد كان يعترف لها بكل شيء ولكنه اعترف شكلي فقط لانها كانت تعرف كل شيء بأية وسيلة . كانت المسألة أقرب الى إعادة حصر الدوافع لفعل شيء معين أكثر منها افشاء اخبار لها . وكان ذلك سخيفا أيضا لانها كانت تعرف مقدمات الدوافع ولذلك كانت هناك أيضا تلك التغييرات على وجهها التي تتمثل في شبه ابتسامة وكأنها كانت على وشك أن تنفجر ضاحكة . فهي لم تكن تفهم الموقف فحسب وانما كانت أيضا تشعر بالتسلية بعض الشيء . اذ أن جرائم الطفولة المخيفة لم تكن تبدو كأنها تستحق عذاب جهنم ، هذا اذا كانت تعبيرات وجهها تحمل أي معنى .

ولهذا فقد أحبها جوان منذ طفولته حبا عميقا ووثق فيها تماما . وكان والده قد أخبره أن تلك العذراء هي المختصة برعاية ومراقبة المكسيكيين بصفة خاصة . ولذلك فهو عندما كان يشاهد الاطفال الألمان أو الأجانب Coolidge في الشوارع كان يدرك أن عذراءه لا تبدى أية اهتمامات بهم لانهم ليسوا مكسيكيين . واذا أضفنا الى هذا أن جوان لم يكن يعتقد فيها بعقله وانما كان يؤمن بها بكل حاسة من حواسه عندئذ تتكون لديك فكرة عن اتجاهاته نحو سيدتنا العذراء جاداليوب .

وشق الاتوبيس سبيله على الطريق الموجل متحركا في بطء شديد خلفا وراءه أخاديدا عميقة . وتحركت عيناها بسرعة نحو العذراء وقال في ذهنه « أنت تعرفين أنني لم أكن سعيدا وتعرفين أنني قد بقيت أسير الشراك التي نصبت لي بدافع من احساسى بالواجب وهو شيء غير طبيعي وغير متأصل في . والان فأنا على وشك أن أضع قرارا بين يديك ! اذ لا يمكنني ان اتحمل مسئولية الهروب بعيدا عن زوجتي وعن مشروعي الصغير . عندما كنت أصغر في السن كان باستطاعتي أن أفعل ذلك . ولكني الان كبير في السن وضعيف في قراراتي . ولذلك فأنا أضع هذا الموقف بين يديك . وتواجدى على هذا الطريق ليس من محض اختياري . فقد أجبرت على التواجد هنا بأرادات هؤلاء الناس الذين لا يهتمون بأي شيء من أجل أو من أجل سلامتي أو

سعادتي . وإنما اهتماماتهم تنصب فقط على خططهم الخاصة بهم . بل انهم لم يقع نظرهم على فأنا مجرد ماكينة لتوصلهم الى المكان الذي يرغبون في الذهاب اليه . وقد عرضت عليهم أن أعود بهم من حيث جئنا . وأنت قد سمعتينني . ومن ثم فأنا الآن أترك المسألة لك وسوف أعرف ما تريدونه . فلو غاص الاتوبيس في الوحل على نحو يجعل العمل العادي يخرج به ويتيح له التقدم في المسير فأنني سأخرجه . وإذا كان الحذر العادي سيجعل الاتوبيس في مأمن على الطريق فأنني سألتزم بهذا الحرص . ولكن لو كنت - جلت حكمتك - ترغبين في أن تعطيني دليلا وذلك بأن تجعل الاتوبيس يسقط في الوحل لمسافة تصل الى محاور العجل أو بأن تجعله ينزلق بعيدا عن الطريق ويهبط في حفرة حيث يتعذر عمل أي شيء لانقاذه عندئذ سأعرف إنك توافقين على ما أريد أن أفعله . وبعدئذ سأسير بعيدا ووحيدا . ويمكن لهؤلاء الناس أن يعتنوا بأنفسهم .

سأسير بعيدا وأختفي . لن أعود مطلقا الى اليس . سأخلع حياتي القديمة مثل مجموعة من الملابس القديمة . المسألة ترجع اليك »
وأوما برأسه . وابتسم للعدراء . وكانت العدراء تبتسم ابتسامتها البسيطة أيضا . . فهي كانت تعرف ماذا سيحدث ولكن لم تكن هناك وسيلة بالطبع لاكتشاف ذلك . لم يكن باستطاعته أن يهرب دون أن يحل به العقاب . إذ كان عليه أن يحصل على موافقة العدراء أولا . كان الاختيار في يدها بشكل مباشر . ففي حالة شعورها القوي بضرورة عودته لاليس فإنها تجعل الطريق سهلا وتجعل الاتوبيس يمر عليه دون عراقيل . وعندئذ سيعرف أنه محكوم عليه بأن يعيش مع هذه الانسانة التي هي في حوزته .

وأخذ نفسا عميقا الى داخل رثيه في نوع من الاثارة ولمعت عيناه واستطاعت ميلدريدا أن ترى وجهه في المرأة الداخلية للاتوبيس . وتعجبت من تلك البهجة المخيفة الموجودة في داخل ذهنه والتي جعلت وجهه يشرق على ذلك النحو . واعتقدت بأنه رجل مكتمل الرجولة بمعنى الكلمة وأنه بمثابة ذلك النوع من الرجال الذي تريده المرأة المكتملة الانوثة ، لانه لم يكن يرغب في أن يكون على جانب ولو ضئيل جدا من الانوثة . فهو من النوع الذي يكون راضيا عن جنسه الخاص به وهو من النوع الذي لن يحاول أبدا أن يفهم النساء وذلك في حد ذاته من الامور المريحة . فهو يكتفي بأن يأخذ ما يريده منهن . وزال عنها اشمئزازها من نفسها وشعرت بالتحسن بعض الشيء من جديد . وكانت أمها تكتب رسالة أخرى في ذهنها « وهناك كنا على ذلك

الطريق الموحد ، على بعد أميال من أى مكان . وحتى السائق لم يكن يعرف الطريق . حسنا . وكان يمكن أن يحدث أى شيء . أى شيء . لم يظهر فى الأفق أى منزل . وكان المطر قد أخذ ينهمر » .

وكان المطر قد أخذ ينهمر . ليس كذاذ الصباح ولكنه مطر غزير جارف له ضجة وله طابع انجاز الاعمال بحيث كان يعطى عددا كبيرا من الجالونات فى الساعة فى منطقة معينة . ولم تكن هنساك رياح . وكان المطر ينهمر فى شكل خطوط مستقيمة وصافية . وأحدث الاوتوبيس أزيزا وصفيرا كما أحدث طرشرة على الطريق المنبسط . وعندما أدار جوان العجلات الامامية قليلا شعر بنهاية المؤخرة تنزلق بعض الشيء .

وصاح فان برانت « أليس عندك أية سلاسل ؟ » فقال جوان فى سعادة « لا . لم أتمكن من الحصول على أية سلاسل منذ فترة ما قبل الحرب »

فقال فان برانت « لا أظن أنك ستوصلنا بنجاح الى النهاية » واستطرد « انه على ما يرام فوق الطريق المستوى المسطح ولكنك بعد فترة قصيرة ستبدأ فى الصعود الى التل » وتحرك تجاه الشرق وتجاه الجبال التى كانوا يزحفون نحوها وصاح موجها الحديث للمسافرين الآخرين : « ان النهر ينخر فى جرف عال . والطريق يسير فوق ذلك الجرف لا أظن أننا سنتقدم بنجاح حتى النهاية » .

لقد كان صباحا مليئا بالصراعات والضغط بالنسبة لبيميلز . وعلى كل حال لم تكن هناك لحظات استرخاء كثيرة فى حياته الا أن هذا اليوم بصفة خاصة كان يوما ممزقا للاعصاب . كان جسده يتأجج بالاثارات . إذ كان بيميلز ممتلئا بعصارات المراهقة وكانت كل ساعات يقظته وساعات نومه مستغرقة كلها فى التفكير فى هدف واحد . ولكن ردود الفعل للدافع الاوحد كانت متنوعة للغاية حتى أنه كان يجد نفسه فى احدى اللحظات شهوانيا مثل كلب فوق ستارة مسرح العرائس ، وفى اللحظة التالية يجد نفسه غارقا فى مشاعر كثيفة وأحاسيس مثالية وفى اللحظة التى تليها يعوى ويصب اللعنات على الذات . وعندئذ كان يشعر انه وحيد وأنه وحده فقط اكبر مخطيء فى العالم . وكان ينظر فى إعجاب شديد لضبط النفس الذى يتحلى به جوان والرجال الآخرون الذين يعرفهم .

ومنذ أن وقع بصره على كاميل وهو يشعر بأن ذهنه وجسده من أوله لآخره فى أشد الاشتياق اليها . وانتقل اشتياقه من الصبور الشهوانية عن نفسه وعنهما الى رؤيا لنفسه وهو متزوج منها ويعيش

معها حياة الاستقرار . وكان يشعر في إحدى اللحظات أنه يكاد يكون مددفاً بقدر يسمح له بأن يطلب يدها ولكنه في اللحظة التالية لها كان يهبط عليه خجل وارتعاد لدى القائها نظرة في اتجاهه .

وقد حاول للمرة الثانية أن يحصل على مقعداً بحيث وهو في موقعه الجديد يتمكن من أن يرقبها دون أن يلحظه أحد ولكنه فشل في ذلك مرة أخرى . كان باستطاعته رؤية مؤخرة رأسها ولكنه تمكن من رؤية المنظر الجانبى لوجه نورما . وبذلك استطاع بيميلز في هذا الوقت المتأخر فقط أن يلحظ التغيير الذى طرأ على نورما . وما أن لاحظ هذا التغيير حتى سحب نفساً عميقاً . لم يكن لها نفس الشكل . وأدرك أن المسألة هي مجرد مكياج . لأنه استطاع أن يرى قلم حواجب العيون واحمر الشفاه من المكان الذى كان يجلس فيه . ولكن ذلك لم يكن هو السبب الذى أدى الى جريان دمائه ساخنة في معدته . لقد تغيرت . أصبح يوجد بها شيء من الانوثة الواعية . وهو أمر لم يكن متواجداً فيها من قبل حتى أن عصارات بيميلز المتوحشة همست في داخله . وهو اذا لم يتمكن - وهذا هو ما أدركه فعلاً في أعماق قلبه - من الحصول على كاميل فلربما استطاع الحصول على نورما . إذ أن خوفه منها لم يكن في مثل خوفه من الالهة كاميل . وبدون وعى بدأ يضحى الخطط للايقاع بنورما والسيطرة عليها تماماً . وأخذت بثرة جديدة تتكون أمام أذنه اليسرى مباشرة . فقام بهرشها لا شعورياً . فانبثق اللون الاحمر الغاضب من لحمه الفاسد الى الخارج فوق خده . ونظر خفية الى ظفر اصبعه الذى قام بهذه المهمة ووضع في جيبه ونظفه . لقد تسبب في اسالة الدماء على خده ، فأخرج منديل يلاه ووضع على وجهه .

وكان المستر برتشارد متضايقا مما قام به من انجازات واتصالات كان هنا احساس أليم بالمعاناة الدائمة في داخله مما أدى الى عدم شعوره بالراحة والاسترخاء . فحاول أن يصرف عن نفسه ذلك الاحساس . واستخدم كل الوسائل العادية ليبعد عن نفسه الافكار غير السارة التى تكدر صفوه . ولكنها لم تأت بالنتيجة المرجوة .

لقد قال ارنست هورتون عن خطة المستر برتشارد أنها ابتزاز . كما أن ارنست كان على وشك القول بأنه يظن أن اليوت برتشارد قد يسرق اختراعه عن الغطاء للبدلة الداكنة اذا لم يكن هناك من يرقبه وقد تسبب هذا في بادية الامر في اثارة غضب المستر برتشارد فهو رجل له سمعته وهيئته ومركزه . وبعدئذ راح يفكر : نعم ان لي مركزى وسمعته في المجتمع الخاص بى . ولكننى هنا ليس لدى شيء . فأنا

وحيد هنا • وهذا الرجل يظن أنني شخص ملتو وغشاش • وليس بمقدوري الآن أن أرسله إلى تشارلي جونصون لكي يوضح له أنه مخطيء في رأيه » • وقد تسبب هذا في مضايقة المستر برتشارد إلى حد بعيد بل ولقد ذهب أرنست إلى ما هو أبعد من ذلك • فهو قد كشف عن اعتقاده بأن المستر برتشارد قد يوافق على الذهاب إلى شقة مع الشقراوات • أنه لم يسبق له أن فعل هذا الشيء في حياته • وكان عليه أن يثبت لأرنست هورتون أن رأيه فيه كان خاطئاً • ولكن كيف يتسنى له ذلك ؟

• وكانت يد المستر برتشارد فوق ظهر المقعد • وكان أرنست جالساً بمفرده في المقعد الذي يقع خلفه • وكان موتور الاتوبيس المنطلق على السرعة الثانية مرتفع الصوت • وكان حسده القديم يهتز ويتذبذب في ضجة وضوضاء • ولم تكن أمامه سوى وسيلة واحدة هي أن يقدم لأرنست هورتون شيئاً ما • شيئاً ما صريحاً وشريفاً لكي يتأكد بنفسه من أن المستر برتشارد ليس نصاباً ولا غشاشاً •

وهبطت عليه فكرة مبهمة غير محددة • فاستدار في مقعده وقال « لقد أثار انتباهي ما قلته لي بشأن ما تفعله شركتك بالأفكار التي تصل إليها » •

• فنظر إليه أرنست في شيء من التسلية • فالرجل يريد شيئاً ما وشك في أن ذلك الصبي العجوز يريد الانغماس في حفلة أو حفلتين • إذ كان رئيس أرنست في العمل يستخدم تلك الطريقة • فكان يعبر عن رغبته في عقد المؤتمرات ليلاً وكان ينتهي به الأمر دائماً إلى التواجد في إحدى بيوت الدعارة وكان يندهش دائماً من الطريقة التي دفعت به إلى هناك •

وقال أرنست « لقد نشأت بيننا علاقة لطيفة للغاية » • وقال المستر برتشارد « إن هذه الفكرة ليست بالشئ الكبير بالنسبة للأفكار الأخرى التي ترد على ذهني ، إنها مجرد شيء هبط على • ويمكنك الحصول عليها إذا كنت تريدها وذلك بهدف أن تعود عليك بأي قدر من الخير والمنفعة » •

• وظل أرنست صامتاً • •

فاستطرد المستر برتشارد قائلاً « خذ مثلاً أضرار كم القميص • فأننا الآن ارتدنا دائماً أكمام وأضرار القمصان الفرنسية • وإذا قام المرء بتزوير الأكمام بالزراير فإنه يضطر لخلعها قبل أن يخلع القميص وإذا أراد أن يدفع بأكمامه للخلف لكي يتمكن من غسل يديه فإن عليه أن يخلع أضرار كم القميص • أنه من السهل على المرء أن يضيع أضرار

أكمام القميص قبل ارتداء القميص ولكنه لا يستطيع أن يدخل فيه يديه . وعندما يرتدى المرء القميص يصعب عليه ادخال أزرار الأكمام في عرواتها . أتفهم ما أعني ؟ »
فقال ارنست « هناك ذلك النوع الذى يقفل مع بعضه محلاتا صوتا » .

« فعلا . ولكنه لا يلقي رواجاً بين جماهير الناس ، فالمرء دائماً ما يخطئ في التزريق أو يفقد أجزاء منه » .
وتوقف الاتوبيس . ثم وضع جوان الاتوبيس على السرعة الأولى واستأنف المسير على الفور . وكان هناك ارتجاج شديد عندما اصطدم الاتوبيس في حفرة أثناء المسير وأعقبه اصطدام آخر عندما عبرت العجلات الخلفية عليها . ثم استأنف الاتوبيس سيره في ببطء .
وانهمرت الأمطار بشدة فوق سطح الاتوبيس محدثة صوتاً كالطبول وأحدثت المساحة على الزجاج الأمامى للاتوبيس صوتاً كالتزريق وهي تزيل الماء من فوق الزجاج .

واضطجع المستر برتشارد للخلف أكثر في مقعده وجذب كفه لأعلى أن ظهرت أزرار كم القميص المصنوعة من الذهب العادى .
وقال « والان . فلنفرض أنه كان هناك زمبرك بدلا من الأزرار أو الشريط المعدنى . فعندما تدخل يدك في الكم يتسبب الزمبرك . وبإستطاعتك أن تدفع بالكم لأعلى لكى تتمكن من غسل يديك وبعدئذ يمكن للزمبرك أن يعود الى المكان الذى كان عليه . » ثم تفحص وجه ارنست عن كذب .

وكانت عيناً ارنست شبه مغلقتين في تفكير . وتساهل :
« ولكن ما هو الشكل الذى سيكون عليه ؟ ولابد أن يكون زمبرك من الصلب والا فإنه لن يدوم طويلا » .

فقال المستر برتشارد في شغف « لقد فكرت في تلك النقطة جيدا فبالنسبة للوحدات الرخيصة يمكنك طلاء الزمبرك بالذهب أو الفضة أما بالنسبة للوحدات الغالية الثمن مثل الذهب أو البلاتين فائسأ نستخدم أنبوبة بدلا من الشريط المعدنى ، وعندما يكون الزر عند معصمك يكون الزمبرك الصغير قد اختفى في الأنبوبة تماما » .

وأوما ارنست برأسه في ببطء وقال « نعم . نعم يا سيدي . ويبدو أن الفكرة جيدة الى حد ما » .

فقال المستر برتشارد « يمكنك أن تأخذ هذه الفكرة ، أئننى أهبك هذه الفكرة لتصنع منها أى شئ تريده » .

فقال ارنست « ان شركتى تركز على نوع مختلف من البسودع

والاعاجيب . ولكن ربما - أستطيع أن أحدثهم عن هذه الفكرة .
فأفضل الأشياء التي تباع ، للرجال في العالم هي : شفرات الحلاقة
أو ماكينات الحلاقة والأقلام وأقلام الرصاص والمجوهرات الشخصية
فالشخص الذي لا يكتب خمسة سطور في السنة عنده الاستعداد لأن
يشترى قلم حبر به خدعة بسعر يصل إلى ١٥ دولارا في أي يوم من
الأيام . والمجوهرات ؟ نعم يا سيدي أن الفكرة قد تنفع وتأتي بالنتيجة
المرجوة . ماذا تريد أن تحصل من ورائها إذا اعتقدوا أنها فكرة جيدة ؟
فقال المستر برتشارد « لا شيء . لا شيء على الإطلاق . انني أهب
الفكرة لك . فأنا أحب أن أساعد أي زميل شاب صاعد في الحياة » .
وكان قد أخذ يشعر بالتحسن مرة أخرى . ولكن فلنفرض أن الفكرة
نجحت وشقت طريقها . وهو الذي ابتكر الفكرة أصلا . فلنفرض أنها
ربحت مليون دولار . فلنفرض - ولكنه قد أعطى وعدا وهو عند وعده
وهي كلمة شرف قالها ولن يتراجع عنها . وإذا أراد أن يست أن يعبر
عن امتنانه وتقديره فذلك أمر متروك له . وكرر قائلا : « انني لأريد
أي شيء » .

« حسنا ، ذلك شيء لطيف منك للغاية » وأخرج أرنست مفكرة
صغيرة من جيبه وكتب بضع كلمات ثم نزع الصفحة التي كتب عليها .
وقال « يتعين على في أمور كهذه أن أحصل على تنازل عن الحقوق .
وإذا كان عندك وقت فراغ أثناء وجودك في هوليوود فلربما تتمكن من
الاتصال بي وزيارتي حيث يمكننا أن نتحدث سسويا في
بعض الأعمال التجارية ، فلربما نتمكن من القيام ببعض الأعمال » .
وارتخت عينه اليسرى بعض الشيء عندما قال تلك العبارة وبعدئذ
استدارت عيناه واستقرت للحظة على المدام برتشارد . ثم مرز
قصاصة الورق إلى المستر برتشارد وقال : « ألوهأرمز ، همبستيد
- ٣٢٥٥ شقة رقم ١٢ ب » .

فاحمر وجه المستر برتشارد قليلا ، وأخرج حافظته ووضع
فيها القصاصة ، ودفع بالقصاصة بعيدا إلى الداخل في مؤخرة
الفتحة الضيقة ، وهو لم يكن في الحقيقة بحاجة للاحتفاظ بها ،
كان باستطاعته أن يلقي بها بعيدا مع أول فرصة تلوح له لأنه كان
يتمتع بذاكرة قوية ، وقد تمضي سنوات قبل أن ينسى رقم التليفون
هذا ، فقد اشتغل الجهاز في عقله ، ذلك الجهاز القديم الموجود
في عقله ، ثلاثة + اثنين = خمسة وكرر ، أما بالنسبة للهمبستيد
Hempstead فكلية همب Hemp معناها الحبل ، الحبل الرخيص الأصفر
وأنت لا يمكنك أن تستخدم أي شيء بدلا من الحبل ، ففقد كان

يستخدم مئات من الحيل التي تعينه على التذكر على ذلك النحو ،
حبيل أصفر ، حبيل أشقر ، وتلهفت أصابعه لالقاء القصاصة بعيداً ،
إذ كانت برنيس تفتش أحيانا في حافظته بحثا عن التفسيرات التي قد
تطرا ، وكان هو يشجعها على أن تفعل ذلك ، ولكنه شعر بالمخاطر
في معدته - الشعور التعس بانّه قد سمى لصا .
وقال لزوجته « اتشعرين بانك على مايرام يافتاتي الصغيرة ؟ »
فقلت « نعم ، أظن اننى كافحت لأبعد الصداغ عني . قلت فقط
لنفسى « لن ادع الصداغ يجيىء ، لن ادعه يتدخل فى شبثون أجازة
حبيبى » .

وقال المستر برتشارد « اننى مسرور لذلك » واستتظردت
هى قائلة « وياعزيزى كيف يتسنى لكم أيها الرجال الحصول على مثل
هذه الأفكار ؟ »

فقال « أوه ، الأفكار هى التى تجيىء للانسان ، فهذا القميص
الجديد ذو العروات الصغيرة هو السبب فى ظهور هذه الفكرة ، فمئذ
أيام قليلة أوقعنى فى الشرك حتى كنت على وشك أن أطلب المساعدة »
وابتسمت ، وقالت : أظن أنك لطيف للغاية « فتناول عليها
ووضع يده على ركبتيها واعتصر ساقيها فصغمت يده فى مداعبة
وعندئذ رفع يده على الفور .

وأدارت نورما رأسها الى الحد الذى جعل فمها قريبا من أذن
كاميل ، وتحدثت بصوت منخفض بقدر المستطاع لأنها كانت تعرف
أن بيميلز يحاول استرقاق السمع ، كانت مدركة لنظراته المحملة
وكانت بشكل ما مسرورة من ذلك فهى لم يسبق لها أن شعرت
بالثقة فى نفسها طوال حياتها مثلما كانت الآن .

وقالت « اننى لم يكن لى فى الحقيقة أية أسرة بالمعنى الذى
تعرفينه عن الأسرة » ، لقد كانت توقع نفسها وتكشف أمورها أمام
كاميل ، وكانت تشرح ظروف حياتها وتلقى بالمعلومات عن حياتها ،
كانت تريد أن تعرف كاميل كل شئ عنها : طريقة حياتها قبل هذا
الصباح والطريقة التى كانت عليها بعد هذا الصباح ، فذلك من شأنه
أن يجعل من كاميل بمثابة أسرة لها ومن شأنه أن يربط هذه المخلوقة
الجميلة الواثقة من نفسها بها .

وقالت « عندما تكونين وحيدة فانك تفعلين مثل هذه الأمور
الغريبة ، فقد اعتدت أن أكذب على الناس ، وقد ادعى أشياء
وأفعل أشياء كأنها حقيقة وأقعة ، أتعرفين ما الذى قد أفعله ؟
اننى قد أصور لنفسى اننى زوجة لنجم سينمائى معين »
لقد أفلت منها الزمام ، إذ لم تكن تقصد أن تذهب فى الحديث

الى هذا الحد ، فاحمر وجهها خجلا ، ما كان ينبغي عليها أن تقول ذلك ، اذ كان هذا نوعا من الهبوط بمستوى المستر جيبل ، ولكنها قامت بفحص هذا وتمحيصه واكتشفت أن الأمر لم يكن كذلك ، اذ اكتشفت أن مشاعرها تجاه المستر جيبل لم تكن هي نفس المشاعر التي كانت تكنها له من قبل ، اذ تحولت مشاعرها الى كاميل ، وكانت صدمة لها عندما تحققت من ذلك ، وتساءلت عما اذا كان مراجعها يتعرض للتغيرات دون سبب واضح .

وفسرت السبب في ذلك « عندما لا يكون للمرء أسرة أو أصدقاء فانه يوجد في خياله سبب تعذر حصوله عليهم في الحياة الواقعية . ولكننا الآن لو استطعنا الحصول على شقة نسكنها سويا فلن اصنع أى شيء من محض الخيال » .

وأدارت كاميل وجهها بعيدا لكي لا تشاهد التعري في عيني نورما ، لكي لا ترى ما هي عليه من انعدام الحيلة والعجز التام ، وراحت كاميل تفكر « أوه ، يا الهى ، لاي شيء أدخلت أنا نفسي في هذه الورطة ؟ لقد وقعت مع طفلة صغيرة ، لقد اندفعت وتورطت في هذا ، كيف حدث هذا الأمر ؟ اننى مضطرة لأن أقوم على رعايتها وأعيش الحياة التي تتلاءم معها ، ولربما يسبب لى هذا بعد فترة وجيزة الضيق والمتاعب ، سأكون قد قطعت شوطا طويلا معها بحيث يصعب على الخروج من هذه الورطة . آه . لو أن لورين تخلصت من رجل الاعلانات ذلك بحيث نتمكن من الحياة سويا مرة أخرى ، ماذا أنا فاعلة مع هذه الفتاة ؟ كيف بدأت العلاقة معها ؟ كيف بحق الجحيم تورطت في هذا ؟ » .

والتفتت نحو نورما وقالت لها في وضوح قاطع : « اسمعى ، يا حبيبتي ، أننى لم اقل أننا سنفعل ذلك ، ولكنى قلت باننا سنرى كيف تسير الأمور ، كما أن هناك أمورا كثيرة لا تعرفينها عنى ، منها مثلا أننى مخطوبة وبصدد الزواج ، ومن رأى خطيبى أن يتم الزواج في وقت قريب بعض الشيء ، فلو أراد هو أن يتم ذلك الآن فأننى لن أتمكن من الاستمرار معك »

ورأت كاميل ألياس يدب في عيني نورما مثل الرعب البارد ، وشاهدت تهديلا خديها وفمها ، ورات كيف أن عضلات كتفيها وذراعيها أخذت في الانهيار ، وقالت كاميل لنفسها « يمكننى الحصول على قرفة في المدينة القادمة واختبئ فيها الى أن تضيق منى هذه الفتاة ، ويمكننى أن أجبرها على أن تذهب بعيدا وتتركنى وشأنى ، ويمكننى - أوه ، أيها السيد المسيح ، كيف سمحت لنفسى بالوقوع

في هذه الورطة ؟ اننى في غاية الارهاق والتعب ، اننى بحاجة لان اخذ حماما ساخنا »

ثم قالت بصوت مرتفع « لا تأخذى الامور بمثل هذه الصعوبة يا حبيبتي ، فلربما لا يكون خطيبي مستعدا ، ولربما تسير الامور على النحو الذى تريدينه يا حبيبتي ، اننا سنرى كيف تسير الامور » واطبقت نورما على شفيتها بشدة واغمضت عينيها بعرض الشئ . وراح رأسها يهتز مع اهتزازات الأوتوبيس ، ولم ترغب كاميل في النظر اليها ، وبعد فترة من الوقت استطاعت نورما أن تسيطر على مشاعرها ، وقالت في هدوء : « ربما أنت خجولة منى ، لن ألومك على ذلك ، فأنا مجرد خادمة . ولكنك لو قمت بتعليمي فلربما أتمكن من أن أصبح ممرضة للأسنان مثلك . فباستطاعتي أن أدرس طوال الليالى وأعمل في نفس الوقت كخادمة في النهار ، ولكننى أستطيع تحقيق ذلك . وعندئذ لن تشعرى بالخجل منى » . لن تجدى مشقة كبرى في مساعدتى .

وشعرت كاميل بموجة عارمة من الغثيان في معدتها : « أوه ، الله قدير على كل شئ ، اننى الآن في ورطة حقيقية ، ماذا أقول لها ؟ أقول لها كذبة أخرى ؟ هل من الأفضل أن أقول لهذه الفتاة بكل صراحة الأعمال التى أفعليها لكى اكسب قوت يومى ؟ أو أن ذلك من شأنه أن يجعل الأمور تزداد سوءا ؟ فذلك قد يسبب لها صدمة تجعلها غير راغبة في اتخاذى صديقة لها ، ربما يكون ذلك هو أفضل إجراء ، لا ، أظن أن أفضل الحلول هو مجرد أن أفقدها فى الزحام ، وكانت نورما تقول « أحب أن أحصل على ما تسمينه بالوظيفة التى تتطلب من الإنسان الذى يشغلها قدرا من الاحترام والوقار مثلك »

فقالت كاميل فى يأس « انظري يا حبيبتي ، اننى مرهقة للغاية حتى اننى لا أقوى على مجرد التفكير ، فأنا على سفر منذ أيام وبلغت حدا من الاعياء جعلنى غير قادرة على التفكير فى أى شئ ، اننا سنرى فقط كيف تسير الامور » .

وقالت نورما « اننى آسفة » لقد شعرت بمجرد الاثارة فنسيت نفسى ، ولن أتسكلم فى هذا الامر بعد ذلك ، اننا سنرى كيف تسير الامور » .

وقالت كاميل « نعم . سنرى كيف تسير الامور » واهتز الأتوبيس متوقفا ، لقد كانوا يقتربون آتذ من سفوح الجبال ، وكانت موجات عظيمة من الأراضى الخضراء تبتذو معتمة المنظر من خلال الأمطار ، ونهض جوان بعض الشئ لينظر لأسفل نحو مجرى

الطريق ، فشاهد حفرة على الطريق . حفرة مليئة بالمياه ولا توحى بمدى عمقها ، ربما يختفى فيها الاتوبيس تماما اذا وقع فيها . فنظر بسرعة الى العذراء وقال لها هامسا : « هل لى أن آخذ فرصتى ؟ » وكانت عجلات اتوبيسه عند حافة بركة المياه ، وابتسم ، ووضع الاتوبيس فى حالة التشويق المعكوس وتراجع به للخلف لمسافة ٢٠ قدما .

فقال فان برانت « هل ستحاول الخوض فيها ؟ انك ستغرق فى الوحل . »

وتحركت شفتا جوان فى صمت وهمس قائلا : « يا صديقى العزيز لو كنت فقط تدرى ، لو كان جميع الباقين منكم يدركون » ، ووضع الاتوبيس على السرعة الاولى وجرى نحو بركة الماء فتدافعت المياه بعيدا فى صوت كالفحيح . ودخلت العجلات الخلفية الى الحفرة ، وانزلق الاتوبيس وقاص وراحت العجلات الخلفية تلف وتدور واخذ الموتور يزار ، ودفعت العجلات الأربعة فى الدوران جسده الاتوبيس المليئ بالطنين والازيز عبر البركة فى ببطء ودفعته فى انزلاق نحو الجانب الاخر ، ووضع جوان التروس على التشويق الثانى ، وزحف .

وقال من فوق كتفه موجه الكلام لفان برانت « كان ينبغي أن يكون هذا ممزوجا بالحصى الصغير » ، فقال فان برانت فى تشاؤم « حسنا ، عليك بالانتظار لحين البدء فى صعود التل » .

فقال جوان « انك تضع أشياء كثيرة فى الطريق أمام الرجل الذى يريد أن يشق سبيله » .

وبدا الطريق فى الصعود ولم تعد المياه تعترض سبيله ، وكانت الحفر على طول الجوانب تجرى بالمياه ، وانزلقت عجلات الدفع الخاصة بالاتوبيس ومخضت فى العجيج ، وعرف جوان فجأة ما الذى سيفعله اذا ارتطم الاتوبيس ، انه كان قد وضع فى خطته ان يذهب الى لوس أنجلوس ويحصل على عمل كسائق لعربة لورى ولكنه لن يفعل ذلك ، انه يجمل فى جيبه خمسين دولارا من أجل الاتفاق على اصلاح الاتوبيس اذا تعطل فجأة ، وقد يكون ذلك المبلغ كافيا ، فهو قد يسير بعيدا ولكن ليس لمسافة بعيدة للغاية . وهو قد يحتوى تحت مكان سقفى مسقوف لحين توقف الامطار بل وربما ينام فى مكان ما ، أما بالنسبة للطعام فيمكنه ان يأخذ واحدة من تلك القطائر ، وبعد ان يحصل على قدر من الراحة يسير على الطريق الرئيسى ويستقل إحدى السيارات وذلك بالتوسل الى سائقها ثم ينتظر بعدئذ عند إحدى محطات خدمة السيارات الى أن يلتقطه أى شخص

ثم بعد ذلك يشير لاحدى السيارات بابهامه لكى تتوقف وتوصلة الى سان دياجو ، وعندئذ يذهب عبر الحدود الى تيجوانا ، وقد يكون الجو لطيفا هناك وقد ينام على الشاطئ ليومين أو ثلاثة أيام ، ولن يضايقه رجال الحدود هناك ، فهو على هذا الجانب يقول لهم انه أمريكي وعلى الجانب الاخر يقول لهم انه مكسيكى .

وعندما يكون مستعدا بعدئذ فانه قد يخرج من المدينة وربما يركب مواصلة أو قد يسير فقط عبر التلال وبجوار الجداول الصغيرة ربما لمسافة بعيدة تصل الى سانتو توماس وهناك قد ينتظر لحين وصول عربة البريد وربما فى سانتو توماس يشتري قدرا من الخمر ثم يدفع أجرة الركوب فى عربة البريد وبعدئذ قد يذهب جنوبا الى شبه الجزيرة عن طريق سان كوينتين مارا بخليج باليناس ، وقد يستغرق ذلك أسبوعين عبر الصخور والصحراء التى تكثر بها النباتات الشوكية وبعدئذ يعبرها الى لاباز ، ويجب عليه أن يحرص على أن تبقى بعض الأموال معه ، فهو فى لاباز قد يستقل قاربا ليمر به عبر الخليج الى جوايماس أو مازاتلان بل وحتى الى اكابالكو ، وهو قد يجد فى أى مكان من تلك الأماكن سياحا ، وعددهم فى اكابالكو يفوق عددهم فى جوايماس أو فى مازاتلان ، وطالما أن هناك سياحا يتخبطون فيما حولهم فى استخدامات اللغة الاسبانية فى دولة اجنبية فسيكون جوان على مايرام ، وهو قد يشق طريقه تدريجيا حتى يصل الى مكسيكو سيتى حيث يوجد بها السياح الحقيقيون ، وهناك يمكنه العمل فى مجال ارشاد السياح الأجانب والرحلات السياحية وتوجد طرق عديدة للحصول على النقود ، وهو لن يحتاج الكثير منها .

وضحك لنفسه فى فتور ، لماذا بحق السماء قد لازم هذا المكان طوال تلك الفترة ، وكان حرا طليقا ، كان باستطاعته أن يفعل أى شئ يطيب له ، وليدعهم يبحثون عنه ، وهو قد يرى تعليقا صحفيا عما حدث مكتوبا فى صحف لوس انجلوس ، وقد يظنون أنه مات وقد يقومون بالبحث عن جثته ، وأليس قد تقيم الدنيا وتقعدها لبعض الوقت ، وقد يعطيها هذا احساسا هائلا بالاهمية ، انه باستطاعة عدد كبير من الناس فى المكسيك أن يظنخون الفول والبقول ، وهو قد يضطجع مع واحدة من تلك النساء الأمريكيات فى مكسيكو سيتى اللاتى يفشن هناك للتهرب من دفع الضرائب ، وكان جوان يدرك أن منظره يجذب النساء بما فيه الكفاية اذا ما توفر لديه عدد قليل من الحل المناسبة . لماذا بحق الجحيم لم يعد الى بلاده من قبل ؟ .

وكان باستطاعته أن يشم رائحة المكسيك في أنفه ، ولم يستطع أن يفكر في السبب الذي جعله لم يفعل ذلك من قبل ، وما العمل بالنسبة للمسافرين ؟ فليدعهم يعتنون بأنفسهم ، فهم لم يتعدوا كثيرا عن الطريق المرصوف لقد اعتادوا كثيرا على القاء متساعبيهم على كواهل الناس الآخرين حتى أنهم نسوا كيف يعتنون بأنفسهم ، وقد يكون في هذا الاجراء منفعة لهم . وكان باستطاعة جوان أن يعتنى بنفسه ، وهو كان يصدد البدء في الاعتناء بنفسه بالفعل ، إذ كان يعيش حياة سخيقة تتمثل في نقل الفطائر من مدينة لأخرى ، حسنا ، لقد انتهى كل ذلك .

ونظر لأعلى في خفية نحو الجودالويانا . وقال في همس « سأحافظ على وعدى ، سأعبر بهم الطريق إذا كنت تريد منى ذلك ، ولكن حتى بعد أن أوصلهم الى أهدافهم فاني قد أسير بعيدا » . وأستغرق ذهنه في مشاهد عن تلال منطقة كاليفورنيا السفلى التي تغمرها الشمس الحارقة وعن الحرارة اللاسعة في سسونورا وهواء الصباح البارد فوق هضبة المكسيك المزوج برائحة حزم الصنوبر في الاكواخ ورائحة الفشار الناتج عن تحمير الكعك المكسيكي المصنوع من القمح ، وهبط عليه الحنين للوطن كشيء يشبه الاثارة اللذيذة ، مذاق البرتقال الطازج وحرقان الفلفل الأحمر الحار ، ماذا كان يفعل في هذه الدولة بعيدا عن وطنه ؟ انه لم يكن ينتمى للمنطقة هنا .

ودارت مجلة السنين للخلف ، فرأى وسمع وشم رائحة مكسيكو سيتي فوق الطريق الريفي المليء بالاورحال والطين ، كما سمع أصوات الحديد السريع والثرثرة في الاسواق وصياح الببغاوات في الحدائق وشجار الخنازير في الشوارع وشاهد الازهار والاسماك الباب والفتيات السهروات الصغيرات اللاتي ترتدين ملابسهن الزرقاء المتواضعة التي تسمى ملابس « الريبوزو » ، وقد أدهشه انه كان قد نسي كل ذلك لفترة طويلة ، وتعجب من ذلك الفخ المجنون الذي أبقاه أسيرا في أمريكا ، وشعر فجأة بنفاد الصبر والتلف على الذهاب بعيدا لماذا لم يضغط فقط بطريقة فجائية عنيفة على القسرا مل ويفتح الباب ويسير بعيدا تحت وابل المطر عندئذ كان سيشاهد وجوههم الغبية وهي تنظر خلفه ويسمع تعليقاتهم الغاضبة الهائجة . ونظر مرة أخرى الى العذراء وهمس « سأكون عنيدا وعدى » ساجتاز الطريق اذا استطعت لذلك سبيلا » وشعر بالمجالات تنزلق في الوحل وأبتسم لعذراء جادالوب . وكان النهر يقترب من التلال آنذاك ، جالبا معه اشجار الصفصاف

التي توضح حدوده ، وكان الطريق يروغ من جانب لآخر بعيدا عن النهر ، وكان المطر قد أخذ يتصاعل تدريجيا ، ومن الطريق استطاع المسافرون أن يشاهدوا المياه ذات اللون الأصفر الفاتح وهي تدور في حوض النهر العريض جاذبة خطوطا من الزيت القذر في طبقات ملتوية . وإلى الامام كان الطريق يصعد إلى فوق التل ، وعند القمة كانت توجد شريحة من الصخور الصفراء اللون ، وكان الطريق يجري أمامها ، وعند نفس قمة الشريحة الصفراء كانت توجد كلمة واحدة مكتوبة بحروف غير واضحة « التوبة Repent » ولا بد أن أجد الناس المتهورين المتحمسين قد تكبد المشاق الخطيرة إلى أن كتبها هنالك بالطلاء الأسود . ومع مرور السنين والأيام أصبحت حروف هذه الكلمة غير واضحة .

وفي الصخرة المتكونة من الحجر الرملي كانت توجد كهوف صنعتها الرياح وحفرتها الحيوانات ، وكانت تلك الكهوف تبدو كالعيون السوداء التي تحلق وتطل من الصخرة الصفراء . وكانت الأسوار هنا قوية بعض الشيء ، وبين الأعشاب المنتشرة فوق المرتفعات كانت الأبقار الحمراء تقف داکنة ومبللة بينما بعضها قد ولدت بالفعل عجلاؤها الصغيرة التي تولد عادة في فصل الربيع ، وأدارت الأبقار الحمراء رؤوسها في بطة وراحت ترقب الاتوبيس وهو يطحن الأرض بالقرب منها وجرت بقرة واحدة عجوز بلهاء بعيدا في فرع وهلع وراحت تركز برجليها وتقفز لأعلى كما لو كان ذلك سيبعد الاتوبيس عنها .

وكان مجرى الطريق قد تغير ، إذ بدأ الحصى يظهر فوق الطريق مما جعل الاتوبيس يسير بشكل أفضل ، وراح الاتوبيس يضرب ويهتز فوق الحصى المغطى بمياه الأمطار بدون أن تنزلق العجلات ، فنظر جوان بعين الشك إلى العذراء ، « أكانت تخدعه ؟ هل ستمهد له الطريق وتجبره على أن ينفذ الوعد الذي أخذه على نفسه ؟ ستكون لعبة قذرة وتخدعة غير مقبولة » وبدون إشارة من السماء لم يعرف جوان ماذا يفعل ، واتخذ الطريق انحناءة طويلة حول مزرعة قديمة وبعد ذلك تصاعد في اتجاه الصخرة في جذ وتصميم .

وضع جوان الاتوبيس على السرعة المنخفضة مرة أخرى فخرجت كمية من البخار من أنبوبة الأنسياب وتكومت أمام خزان التبريد ، وكانت المنطقة العليا على الطريق تقع مباشرة أمام الصخرة ذات الكهوف المظلمة ، وزاد جوان من سرعة موتورده وهو يكاد يكون غاضبا ، فتناثر الحصى من تحت العجلات ، وكان يوجد مكان به حفرة

معدشوة ومسندودة بحيث كانت المياه وأعلى التربة تنساب منها عبر الطريق ، فراد جوان من سرعته في اتجاه هذه الحفرة السوداء فعبرت عليها العجلات الأمامية للأتوبيس أما العجلات الخلفية فراحت تدور وتلف في الوحل والطين بدون جدوى ، وتحركت نهاية المؤخرة في التواء ودأرت العجلات واستقر طرف المؤخرة في الحفرة .
فظهرت على وجه جوان ابتسامة متوحشة ، وزاد من سرعة موتوره فحفرت العجلات إلى مسافات أعمق وأعمق ، وعكس جوان اتجاه الأتوبيس وأدار عجلاته فحفرت العجلات في دورانها حفرا لنفسها واستقر الدفرنسيه على الأرض ، وأبطأ جوان من سرعة موتوره ، واستطاع جوان أن يرى بيميلز في المراة الداخلية للأتوبيس ناظرا إليه في دهشة .

وكان جوان قد نسي أن بيميلز قد يعرف ، وكان قم بيميلز مفتوحا ، إذ كانت معلومات جوان في القيادة أفضل من ذلك ، فانت عندما تجيء إلى مكان رنخو لا تجعل العجلات تلف وتدور . واستطاع جوان أن يرى التساؤلات في عيني بيميلز . لماذا فعل هو ذلك ؟ انه ليس قلبيا إلى هذا الحد ، وتلاقى مع عيني بيميلز في المراة ، وكل ما تراءى له هو أن يفمز له بعينه بطريقة سرية . ولكنه شاهد نوعا من الارتياح يهبط على وجه بيميلز ، لو كانت تلك خطاة فلا مانع عنده من ذلك ، لو كان هناك شيء وراء هذا العمل فلا مانع لدى بيميلز ، وبعدئذ خطر على ذهن بيميلز فكرة مخيفة ، فلنفسر أن كاميل هي الهدف من وراء ذلك ؟ لو كان جوان يرغب في كاميل لن يكون لبيميلز فرصة مع كاميل . فهو لم يكن ليتنافس مع جوان . وكان الأتوبيس يقف بزاوية حادة ، كانت عجلاته الخلفية مدفونة وطرفه الأمامي يقف عاليا فوق الطريق ، كان الأتوبيس « حبيبة القلب » في وقفته يشبه البقرة العرجاء ، ثم تحل وجه فان برانت محل وجه بيميلز في المراة ، كان فان برانت أحمر اللون قاضبا وقطع أصبعه البادى العظام الهواء تحت أنف جوان .
وصاح « أذن فقد عملتها وحجرتنا هنا ومنعتنا من الوصول لأعمالنا . كنت أعرف أنك ستعملها ؟ قسما بالله كنت أعرف أنك ستعملها !! كيف يتسنى لي الآن الذهاب إلى دار القضاء ؟ كيف ستمكن من اخراجنا من هذه الورطة ؟

ويظهر يده ألقى جوان بأصبع فان برانت جانبا ، وقال « ابعد أصبعك عن وجهي ، أنتي مشمئز منك » والآن أرجع إلى مقعدك » وترنحت عينا فان برانت القاضبتين ، وأدركت فجأة أن هذا الرجل كان فاقد السيطرة على نفسه ؟ إذ لم يكن خائفا من لجنة السكك

الحديدية أو من أى شخص ، وتراجع فان برانت بعض الشيء وجلس فوق المقعد المائل بزاوية .

وأدار جوان مفتاح التشغيل الى اليسار فتوقف الموتور تماما ، وكان المطر يقطط ويفرقع على سطح الاتوبيس ، وطرق جوان براحتى يديه على مجلة القيادة لفترة قصيرة ثم استدار في مقعده وواجه المسافرين قائلاً « حسنا ، ان ذلك ينهى الموقف » .

وحملقوا في اتجاهه وقد صدموا من هول المفاجأة ، وقال المستر برتشارد في هدوء « الا يمكنك اخراجنا من هذه الوهدة ؟ » .

فقال جوان « اننى لم ألق نظرة للآن » .

« ولكن يبدو لى أننا على عمق بعض الشيء ، ماذا أنت فاعل ؟ » فقال جوان « لست أدري » وأراد أن يرى وجه ارنست هورتون ليرى ما اذا كان قد عرف أن المسألة قد تمت عمدا ، ولكن ارنست كان متواريا خلف نورما ، ولم تظهر كاميل أى انفعالات على الإطلاق ، فهي قد انتظرت لفترات طويلة للغاية بحيث لم تعد تشعر أنها نأفة الصبر .

وقال جوان « اجلسوا في ثبات » وجذب نفسه معتدلاً داخل الاتوبيس المائل بزاوية بسبب وقوفه على مؤخرته ودفع بعنقه الباب ، وأحدث القفل الخاص بالباب صوتاً كالتيككة ولكن الباب مغلقاً بواسطة الزميرك ولم يفتح ، فوقف جوان ووضع قدمه على الباب ودفعه فانفتح ، واستطاعوا أن يسمعوا خفيف المطر على الطريق وعلى الأعشاب ، وخطى جوان خارجاً الى المطر وسار نحو مؤخرة الاتوبيس ، وشعر بالمطر بارداً فوق رأسه .

لقد أدى عملاً متقناً ، وربما يتطلب الأمر استخدام عربة جلد الحظام بل واستخدام جرار لكى يخرج الاتوبيس من وهدة ، وأنحنى لأسفل ونظر تحت الاتوبيس ليفحص شيئاً كان يعرفه من قبل ، آذ كانت محاور العجل والفرنسييه راقدة على الأرض ، ومن خلال النوافذ المغلقة كان المسافرون ينظرون للخارج بوجوههم المعسوجة بسبب الزجاج المبلل بالمطر ، واعتدل جوان في وقفته وتسلق عائداً للاتوبيس .

« حسناً ؟ أيها الناس ؟ اظن انكم منتظرون فقط للانتظار ، اننى آسف ، ولا تنسوا انكم جميعاً أردتم أن تسلكوا هذا الطريق » . فقال فان برانت « أنا لم أرد ذلك » .

فالتفت جوان نحوه وقال « لعن الله ذلك » ، أخرج نفسك من هذا الموضوع ، لا تدفع بى للجنون ، اننى الآن على وشك الجنون « وأدرك فان برانت أن جوان كان يقصد ما يقول . فنظر لأسفل

نحو يديه وضغط على بشرته المتحركة فوق مفاصل أصول الأصابع وحك يده اليسرى مع يده اليمنى ، وجلس جوان بالعرض في مقعد القيادة ، ورفرفت عيناه فوق العذراء ، وأسر بأفكاره اليها « وهو كذلك ، اذن فأنا لجات للفش والخداع بقدر ضئيل ، ليس بقسدر كبير وإنما بقدر ضئيل ، وأظن أن عندك الآن من المبررات ما يدعك تجعلين الأمر غير مريح بالنسبة لى بعض الشيء » ، ثم قال بصوت مرتفع « اننى مضطر فقط للسير للامام الكى اتصل تليفونيا وأبلغ عن تحطم السيارة ، سأطلب منهم أن يرسلوا سيارة تاكسى لكم أيها الناس ولن يستغرق ذلك وقتا طويلا للغاية » .

وتكلم فان برانت في شيء من ضبط النفس « لا يوجد هناك مكان على مسافة الأميال الأربعة القادمة ، وعلى مسافة ميل واحد يوجد منزل هاوكنز القديم ولكنه يقف خاويا لا يسكنه أحد منذ أن استولى عليه بنك أمريكا ، وسيكون عليك أن تذهب إلى طريق الولاية وهو على بعد أربعة أميال كاملة » .

وقال جوان « حسنا ، اذا كان على أن أذهب فينبغى أن أذهب ، ولن أحصل الا على تبليل نفسى بالماء تماما » .

واندفع بيميلز في مشاعر الحب والصدقة وقال « سأذهب أنا ، أنت تبقى هنا . دعنى أذهب أنا »

وقال جوان « لا ، انه يوم أجازتك » وضحك واستطرد قائلا « عليك فقط بالتمتع به يا كيت » ، ومد يده إلى تابلوه الآلات وفتح صندوق القفاز بالمفتاح ثم فتح الباب الصغير وقال « يوجد هنا بعض الويسكى للطوارئ » .

وتوقف قليلا ، أينبغى عليه أن يأخذ المسدس - وهو مسدس جيد ماركة سميث وأسون عيار ٤٥ وله ماسورة ٦ بوصيات ؟ قد يكون من العار أن يترك مسدسه ، ولكنه اذا أخذه معه فقد يسبب له ذلك المتاعب أيضا ، فلو وقع في أى نوع من المتاعب سيكون المسدس في غير صالحه . وقرر أن يترك المسدس : فإذا كان هو بصدد أن يترك زوجته فمن المؤكد أن باستطاعته أن يترك مسدسه ، وقال في استخفاف « اذا تعرضتم لهجوم النمر فيوجد هنا مسدس » وقالت كاميل « أنا جائعة »

وابتسم لها جوان وقال « خذى هذه المفاتيح وافتحى الحقيبة الخلفية للاتوبيس ، فهناك توجد كمية من الفطائر » وابتسم ليميلز وقال « لا تأكل جميع الفطائر يا بنى . والآن عليك بالانتظار هنا في الاتوبيس أو يمكنك أخراج القماش المشمع من الخلف وتضعه على الأرض في تلك الكهوف اذا أردت ذلك ، بل وفي استطاعتك أن تشعل

ناراً في داخل الكهوف اذا وجدت أي أخشاب جافة ، وسأعمل على ارسال سيارة لكم بأسرع ما يمكن » .

وقال بيميلز « أود أن أذهب أنا بدلا منك » فقال جوان « لا ، عليك بالبقاء هنا ومراعاة الأشياء والانتباه لها » ، وشاهد وميضاً من السرور والابتهاج على وجه بيميلز ، وزرر جوان جاكته بأحكام فوق صدره وقال « عليكم فقط بالالتزام بالهدوء والاحجام عن أي عمل » ثم هبط الدرج خارجاً من الاتوبيس .

ونزل بيميلز هابطاً وراءه ، وتبع جوان خطوات قليلة الى ان التفت جوان ووقف في انتظاره ، فقال بيميلز في أدب جم « مستر شيكوي ، ما الذي خطر على ذهنك ؟ »
« على ذهني أنا ؟ »

« نعم ، أنك - حسناً ، أنك أدت العجلات »
فوضع جوان يده على كتف بيميلز وقال « اسمع يا كينت ، سأخبرك بالامر في وقت ما ، عليك فقط بالبقاء هنا تنفيذاً لرقبتي ، ممكن ؟ »

« حسناً ، أكيد ، يا مستر شيكوي » ، ولكنني فقط أود أن أعرف السبب » .

فقال جوان « سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع عندما تشاح لنا فرصة للانفراد قليلاً مع بعض » ، عليك فقط أن تحول دون اقتتال هؤلاء الناس مع بعضهم البعض لفترة وجيزة ، ممكن ؟ »
فقال بيميلز في قلق « حسناً ، بالتأكيد » ، ثم من الوقت فيما تظن سينقضي قبل أن تعود ؟ »

وقال جوان وقد بدا عليه نفاد الصبر « لست أدري . كيف يمكن لي أن أخبرك بذلك . عليك أن تفعل ما أقوله لك » .
فقال بيميلز « أوه . أكيد . بالتأكيد »

وقال جوان « وعليك بتناول جميع الفطائر التي تريدها » ولكن سيكون علينا أن ندفع ثمنها يا مستر شيكوي » وقال جوان « أكيد »
ثم سار خطوات مبتعداً على الطريق تحت المطر ، وكان يدرك أن بيميلز يتابعه بنظره وكان يعرف أن بيميلز قد أحس بشيء ما .
وأدرك بيميلز أن جوان بدأ يفر هارباً ، ولم يشعر جوان بالارتياح لذلك في تلك اللحظة ، إذ شعر أن مشاعره لم تكن على النحو الذي تخيله لها . ولم يبد على الموقف أن له طابع الخير أو السرور أو البهجة أو الحرية . فتوقف عن السير ونظر الى الخلف ، وكان بيميلز في تلك اللحظات يصعد داخلاً الى الاتوبيس .

وكان الطريق يمر بالقرب من الصخرة ذات الكهوف الحجرية

المتأكلة ، اونحرف جوان عن الطريق ودخل الى ماوى الكهوف لبعض الوقت ، وكانت الكهوف وتنوعاتها اكبر مما كانت تبدو من الخارج ، كما أنها كانت جافة أيضا بعض الشيء ، وأمام المدخل المؤدى الى اكبر الكهوف كانت توجد ثلاثة أحجار قد علاها السواد بفعل النيران وكانت توجد أيضا علية مهشمة من الصفيح ، فقفل جوان راجعا الى الطريق واستمر فى المسير .

وكان المطر قد أخذ يتناقص تدريجيا ، وعلى يمينه أسفل التل استطاع أن يرى المنحنى العظيم للنهر وكيف أنه كان يلف ويدور ويعود رأسا عبر الوادى مخترقا المساحات الخضراء المبللة بمياه الأمطار . وكانت المنطقة كلها مبللة للغاية ، وكانت هناك رائحة صدا تملأ الهواء ناجمة من تخمس الجذوع السمكية الخضراء ، وكان الطريق أمامه بسيطا بفعل طرق الأمطار عليه لا بفعل مجلات السيارات ، اذ لم تسر عليه سيارات منذ فترة طويلة .

وأحنى جوان رأسه تحت المطر ، وزاد من سرعة مشيته . لم يكن الأمر حسنا للغاية ، وحاول أن يتذكر حرارة الشمس الشديدة فى المكسيك والفتيات الصغيرات فى ملابسهن « الريبوزو » الزرقاء ورائحة طهو واعداد الفول ، ولكن بدلا من ذلك ظهرت صورة آليس فى ذهنه . آليس وهى تنظر الى الخارج من الباب ذى الشاشات ، وتذكر غرفة النوم يستأثرها المزدانة المزركشة بالازهار ، اذ كانت ترغب فى أن تبدو الأشياء جميلة ، كانت تحب الأشياء الجميلة . ومفرش السرير الذى أصبح مفرش أفغانستانى عملاق قد اشتغلت فيه بالابرة بنفسها فى شكل مربعات صغيرة ، ولا يوجد اثنان من المربعات من لون واحد ، وهى قد قالت أن باستطاعتها الحصول على مائة دولار ثمنها له ، وهى قد حاكت كل قطعة فيه بنفسها .

ثم فكر فى الأشجار الضخمة ، وكيف أنه من الأمور اللطيفة أن يرقد فى بانيو مليء بالماء الساخن فى غرفة الحمام وهى أول غرفة حمام أمكنه امتلاكها خارج الفنادق . وكانت هناك دائما قطعة من الصابون لها رائحة عطرية . فقال لنفسه « انها مجرد عادة لعينة . انها مجرد مصيدة لعينة ، انك تعتاد على شيء معين ثم تظن انك تحب هذا الشيء . اننى سأغلب على هذا الأمر بنفس الطريقة التى اتغلب بها على الانفلونزا ، ومن المؤكد أن ذلك سيكون مؤلما بالنسبة لى . فسوف أشعر بالقلق على آليس والأسف عليها وسوف أتهم نفسى لكونى السبب فى ما حدث ، ولربما لا أستطيع أن أنام نوما هادئا . ولكننى سأغلب على كل ذلك ، وبعد فترة وجيزة لن أفكر فى ذلك الأمر . فالمسألة لا تعدو أن تكون مجرد فخ لعين » ، ثم قفز أمامه

وجه يميلز دافئا ومليئا بالثقة والاطمئنان « سأخبرك فيما بعد .
سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع يا كيت كارسون » ، فليس هناك
عدد كبير من الناس ممن وثقوا في جوان بتلك الطريقة .
وحاول أن يفكر في البحيرة في « كابالا » فشاهد فوق مياهها
الشاحبة الهادئة أتوبيسه « حبيبة القلب » وقد هبط نصفه لأسفل
في الوحل .

والى الامام أسفل التل من جهة اليسار وفي تجويف سفوح
الجبال شاهد منزلا واستطبلا وطاحونة هواء ذات انصال مكسورة
ومتدلية ، ربما كان ذلك هو المكان القديم التابع لال هاوكنز . وكان
يفكر في تلك اللحظة في الترتيبات التي سيتخذها لنيل قسط من
الراحة ، وفكر في الدخول الى المنزل ولكنه غير رآيه وفضل الدخول
الى الاسطبل ، فالاسطبل القديم يكون عادة أكثر نظافة من المنزل
القديم . فمن المؤكد أن الاسطبل يوجد به القليل من الاغشاب الجافة
والقش بحيث يمكن لجوان أن يزحف الى هناك وينام . وهو قد
لا يفكر في أى شيء ، وقد ينام الى أن يجيئ مثل هذا الوقت من اليوم
التالى وبعدئذ قد يسير الى طريق الولاية هناك يصطاد سيارة
لتوصيله . وماذا يهم المسافرين سواء ، بقى معهم أم لا ؟ « انهم لن
يهلكوا . لن يتسبب ذلك فى الحاق الضرر بهم على الاطلاق . بل
سيكون ذلك شيء حسن بالنسبة لهم . ومع كل ذلك ليس من شأنى
إبائى حال من الاحوال » .

وأسرع الخطى هابطا التل ومتجها نحو مكان هاوكنز القديم .
انهم قد يبحثون عنه . وقد تظن آليس أنه قد أغتيل وقد تستدعى
العمدة لمساعدتها ، اذ لم يكن أحد يظن أنه قد هرب بهذه الطريقة .
وذلك هو ما جعل الأمر نكتة لطيفة الى هذا الحد ، فلا أحد كان يظن
أنه يمكن أن يفعل ذلك ، حسنا ، أنه سيريهم ذلك ، فيصل الى سان
دياجو ويعبر الحدود ويصطاد عربة البريد لتوصله الى لايانز . وأربما
تستدعى آليس رجال البوليس للبحث عنه .

وتوقف عن السير ونظر للخلف على الطريق ، لقد كانت آليس
أقدامه على الأرض واضحة بما فيه الكفاية ، ولكن ربما تقوم الامطار
بإزالتها . اباستطاعته أن يخفى آثار أقدامه اذا ما أراد ذلك . وحاد
عن الطريق متجها الى الداخل نحو منزل آل هاوكنز .

وكان المنزل القديم قد تحول الى أنقاض بسرعة كبيرة منذ أن
هجرة سكانه ، اذ ان ذمرة من الصبية الجائلين قاموا بكسر النوافذ
وسرقوا الانابيب المصنوعة من الرصاص ولحام الرصاص وسرهان
ما تخبط وتدافعت الابواب مع بعضها البعض وانخلعت عن المفاصل

التي تمسك بها . وجذبت لأسفل أوراق الحوائط الداكنة القديمة تحت وطأة الرياح التي تسوقها الأمطار فظهرت تحتها أوراق من الجرائد القديمة بها صور كاريكاتورية عتيقة : « الجد الماكر كالثعلب » ، « نيمو الصغير » ، « الافاق السعيد » ، « براون المفلس المشاغب » وكان الافاقون اللجسائلون قد وصلوا الى ذلك المكان وخلفوا وراءهم قماماتهم وزبالتهم وحرقوا اطارات الأبواب في المدفأة السوداء القديمة ، وكانت رائحة الهجر والرطوبة والحرارة تهيمن على المكان ، ونظر جوان الى المدخل ثم عبر الى الداخل وشم رائحة المنزل المهجور وخرج من الباب الخلفي متجها نحو الاسطبل . وكان سور الحظيرة مهدها وكان الباب الضخم مخلوعا من مكانه ولكن الهواء كان متجددا في داخل الاسطبل ، وكانت مرابط الخيول مصقولة ولامعة في الأماكن التي تحك الخيول نفسها على الخشب ، وكانت الأركان مليئة بخيوط العنكبوت ، وبين نوافذ السماد كانت صناديق الشموع بفرشاتها البالية ومحركات الخيول التي يعلوها الصدا ما زالت موجودة ، وفوق مشجب بجوار الباب كانت تتدلى ياقة قديمة وخطاف رقابية خاض بالخيول ومجموعة من الحبال والسلاسل التي تستخدم في جذب الأشياء ، وكان جلد الياقة مشقوقا وقد برز منها الحشو الداخلي .

ولم يكن للأسطبل « سندرة » . وكان الجزء الأوسط كله من الاسطبل قد استخدم في تخزين الدريس والحشائش الجافة ، وسار جوان حتى نهاية آخر مرابط للخيول ، كان الجو معتما في الداخل ، وكان ضوء السماء ينفذ من خلال الشروخ والكسور في السقف ، وكانت الأرضية مغطاة بقش قصير مكفر اللون بفعل الزمن كما كانت مغطاة برائحة خفيفة من الزناخة والعفن . واستطاع جوان أن يسمع لدى وقوفه دون حراك في المدخل صراخ الفئران واستطاع أن يشم رائحة مستعمرات الفئران ، ومن فوق عرق خشب مائل من السقف كانت بومتان في لون الكريم تنظران لأسفل نحو جوان ثم أغلقتا عيونهما الصفراء مرة أخرى .

وكانت كمية الأمطار قد تناقصت حتى أنه لم يعد هناك سوى رذاذ خفيف فوق السطح . وذهب جوان الى أحد الأركان في الاسطبل وأزاح بقدمه طبقة علوية من القش مليئة بالأتربة ، وجلس ثم استلقى على ظهره ووضع يديه تحت رأسه . وكان الاسطبل يعج بأصوات سرية ضعيفة ولكن جوان كان يشعر بالتعب الشديد وكانت أعصابه تؤلمه وتوخزه وأحس بالوضاعة والامتهان وأنه ليس على ما يرام ، وأعتقد أنه إذا استغرق في النوم فقد يشعر بالتحسن .

وهو منذ فترة قصيرة عندما كان متواجدا بالأتوبيس كان يشعر مقدما بمشاعر متفجرة من بهجة الحرية بلغت حد القمة ، وليسكن الأمر لم يعد كذلك ، إذ أخذ يشعر بالتعاسة ، كان كتفاه يؤلمانه ، وأما أن مدد جسده في استرخاء حتى شعر أنه لا يميل للنوم . وساءل نفسه في تعجب : « ألن أشعر أبدا بالسعادة ؟ إلا يوجد هناك أى شيء أفعله ؟ » وحاول أن يتذكر لحظات السعادة التي مرت عليه في الأزمنة الماضية والتي اتسمت بالبهجة الصافية التي لا تشوبها شائبة فقفزت الى ذهنه صور قليلة ضئيلة الأهمية ، كان هناك صباح في وقت مبكر للغاية مع لفحة هواء بارد بينما الشمس تبرغ من وراء الجبال وطيور قليلة رمادية تحجل في طريق موصل ، ولم يكن هناك ما يدعو للبهجة والسرور إلا أن البهجة كانت هناك في داخل أعماقه .

وشيء آخر ، كان الوقت في المساء ، وكان هناك حصان مشرق يحك عنقه الجميل على سور بينما طائر من نوع السمان يطلق أصواتا تجذب الانتباه علاوة على ترامى أصوات مياه متساقطة في مكان ما ، وتلاحقت أنفاسه في إثارة بمجرد أن تذكر ذلك .

شيء آخر ، لقد ركب في عربة كارو قديمة مع ابنة عمه ذات يوم ، وكانت أكبر منه سنا ، ولم يكن بمقدوره أن يتذكر الشكل الذي كانت عليه ، وجفل الحصان الذي يجر العربة لدى مشاهدته قطعة من الورق فسقطت ابنة عمه عليه ومدت يدها وهي تحاول أن تعتدل في جلستها فلمست يدها ساقيه فتفجرت البهجة في معدته وتأجج ذهنه بالسعادة والمتعة .

وشيء آخر ، كان واقفا في منتصف الليل في كاتدرائية عظيمة معشمة بينما كانت هناك رائحة قوبال قوية غريبة تؤلم أنفه ، وكان يمسك في يده شمعة صغيرة هزيلة مربوطة بها فيوتكة حريرية بيضاء بشكل يغطي نصف المسافة لأعلى ، وجاءت همهمة الجمهور الحلوة بطريقة تشبه الحلم من مسافة بعيدة عند المخراب العالى ، وهنأا اقتربت منه مشاعر النوم المحيية للنفس وهبطت عليه .

فارتخت عضلات جوان وأخلته سنة من النوم بين قش الاسطبل المهجور ، وأحست القتران المتهيبة خوفا بنومه فخرجت من تحت القش وراحت تلعب في نشاط وحركة ، وكان المطر حينئذ يهمس في هدوء فوق سطح الاسطبل .

الفصل الخامس عشر

وراقب المسافرون جوان وهو يسير بعيدا ويختفى عبر حافة التل ، ولم يتكلموا ولا حتى عندما صعد بيميلز عائدا الى داخل الاتوبيس متخذاً مكانه في مقعد السائق ، وكانت المقاعد مائلة فحاول كل فرد من المسافرين أن يريح نفسه في جلسته .

وأخيراً تساءل المستر برتشارد طارحاً السؤال بوجه عام « كم من الوقت سيلزمه لكى يحضر سيارة الى هنا فيما تظنون ؟ »

وحك فان برانت يده اليسرى فى عصبية « ربما لا يمكننى توقع عودته فى خلال ثلاث ساعات ، فهو عليه أن يسير لمسافة أربعة أميال . وحتى لو أمكنه الحصول على سيارة للخروج معه لهذه المهمة فان الأمر يستلزم ساعة للاستعداد قبل البدء فى التحرك ثم ساعة للوصول الى هنا ، هذا فى حالة اذا وافق أحد على المجيء بالمرّة فانا لست واثقا من أن أى شخص سيوافق على المجيء على هذا الطريق ، كان ينبغي علينا أن نسير معه ونلتقط سيارة عند طريق الولاية لتوصلنا » .

فقال المستر برتشارد « لا يمكننا عمل ذلك ، فنحن معنا جميع حقايبنا » .

وقالت المدام برتشارد « اننى فضلت الالتزام بالصمت عندما جاءتك هذه الفكرة المجنونة ، يا اليوت وفضلا عن ذلك فانهمـا أجازتك »

وكانت لديها الرغبة فى أن تشرح للمسافرين الآخرين كيف ان اناسا لهم المركز المرموق الذى يتمتع به آل برتشارد تحتم عليهم أن يجذوا أنفسهم على اتوبيس - تحتم عليهم أن يضعوا أنفسهم فى طريق هذا النوع من الأمور ، وذهبت فى تقديراتها الى أنهم لابد وأن يكونوا فى دهشة من أمرهم ، ثم التفتت ووجهت الحديث لهم « لقد ابتدأنا رحلتنا على قطار ، قطار ممتاز من مدينة سان فرانسيسكو ، قطار سريع ومريح للغاية وثمان التذكرة عليها أجرة اضافية ، وبعدئذ جاءت لزوجى الغريب الأطوار هذه الفكرة المجنونة باسئسخدام الاتوبيس ، حيث اعتقد أنه قد يرى الريف بشكل أفضل اذا استخدم الاتوبيس » .

فقال زوجها فى مرارة « بحسنا » هانحن نشاهدك الريف أيتها الفتاة الصغيرة » .

واستطردت هي قائلة « وقال زوجي انه قد ظل بعيثا عن المجتمعات لفترة طويلة ، واراد أن يعرف الامور التي يحدث فيها الناس ، الناس الحقيقيون » وكانت نزعة خفية من الحق وتعمد الأذى تزحف في داخلها : « وكان في رأيي أن ذلك أمر سخي ، ولكن الاجازة اجازته ، فهو الذي قد عمل بكل جِد واجتهاد من أجل المجهود الحربي ، والزوجات لم تكن امامهن الكثير من الأعمال ، مجرد اعداد الطعام ولا شيء غير ذلك ، ونحن لم نتذوق البلوبيف مرة واحدة خلال شهرين . لا شيء سوى الدواجن » .

ونظر المستر برتشارد الى زوجته في شيء من الدهشة ، اذ لم تكن معتادة على اظهار هذه الحدة في صوتها . فأحدث هذا تأثيرا سيئا عليه وفجأة وجد مشاعر الغضب تتصاعد بوحشية في داخله وقال « اننى لم أرغب على الاطلاق في المجيء اذ كان باستطاعتي الحصول على راحة حقيقية بأن الصب قدرا يتسيرا من الجولف وأتام في سريري الخاص بي فانا لم أرغب أبدا في المجيء » .

وكان المسافرون الآخرون يرقبون الموقف في شغف واهتمام وحب استطلاع ، اذ كان الضجر والملل محدقا بهم ولربما كان هذا حسنا ، وكان غضب هذين الاثنين قد أخذ يملأ الاتوبيس .

وقالت ميلدريد « ماما . بابا . توقفا عن هذا » فقال المستر برتشارد « لا تتدخل في هذا الأمر ، اننى لم أرقب في المجيء ، لم أرغب على الاطلاق ، فانا اكبر الدول الأجنبية .. وخاصة الدول القذرة منها .. »

وانضغط فم المدام برتشارد في شحوب ، وكانت عيناها باردتين وفي غير اكتراث ، وقالت « ان هذا الوقت مناسب تخبرني فيه بذلك » واستطردت « فمن الذي أعد جميع الخطط للرحلة ، ومن الذي اشترى جميع تذاكر السفر ؟ ومن الذي وضعنا في هذا الاتوبيس الذي تعطل بنا في مكان غير قريب من أى موقع ؟ من الذي فعل كل ذلك ؟ هل انا الذي فعلت ذلك ؟ »

وصرخت ميلدريد « ماما ! » اذ لم يسبق لها أن سمعت مثل هذه النغمة في صوت أمها من قبل .

وتغير صوت المدام برتشارد فجأة وهي تقول « يبدو هذا أمرا غريبا ، اننى أبذل كل ما في جهدي ، وهذه الرحلة - عندما تدفع كل نفقاتها سوف تتكلف ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ دولار ولو انك لم ترقب في المجيء لكنت قد تمكنت من بناء بيت نباتات الأركيديا التي رغبت فيه منذ فترة طويلة للغاية . مجرد بيت لنبات الأركيديا بسيظ وصغير ، ولقد قلت لي أن بناء هذا البيت أثناء الحرب لن يكون

مثلا طيبا ولكن الحرب انتهت الآن ونحن نخرج في رحلة لم ترغب في القيام بها ، حسنا ، فانت الآن قد أضعت على فرصة بنساء هذا البيت أيضا وأفسدت الأمر على ، فلن أتمكن من الاستمتاع بمثل هذا البيت ، انك تفسد كل شيء ، كل شيء » وغطت عينيها بيديها .

فوقفت ميلدريد وقالت « كفى عن هذا يا أمي ، كفى عن هذا في الحال يا أمي »

وتأوهت المدام برتشارد قليلا .

فقالت ميلدريد « اذا لم تكفى عن هذا سأسير بعيدا » ، وقالت المدام برتشارد « اذهبى بعيدا ، أوه ، اذهبى بعيدا ، أنت لا تفهمين أى شيء » .

وتجمد وجه ميلدريد ، والتقطت معطفها المصنوع من القماش الجبردين وارتدته ، وقالت « سأسير الى طريق الولاية » . فقال فان برانت « انه على مسافة أربعة أميال ، انك ستتلفين حذاءك »

فقالت ميلدريد « أننى إ جيد المشى » وكانت مضطرة للخروج لأن كراهيتها لأمها كانت تتصاعد في داخلها وتسبب لها الفتيان . وكان منديل المدام برتشارد قد خرج فملأت رائحة اللافاندر جميع أرجاء الأتوبيس .

وقالت ميلدريد في غلظة « استجمعى قواك وتمالكى نفسك . فانا أعرف مقدما الشيء الذى ستفعلينه ، انك ستحصلين على الصداق وتنزلين العقاب بنا جميعا . فانا أعرفك ، حالة من حالات الصداق الكاذب الذى تدعيه » ثم استطردت في شر مستطير « اننى سأبقى هنا لأشاهدك فانت تدعين الصداق دون أن يكشف أمرك أحد » . وكان يميلز يرقب الموقف وهو مفتون فى أنبهار ، وكان يتنفس من طريق قمه .

ونظرت المدام برتشارد لأعلى نحو ابنتها فى رعب : « يا الهى ، انك لا تعتقدين فى ذلك »

فقالت ميلدريد « لقد بدأت أعتقد فى ذلك » ، فتلک الحالات من الصداق تاتى فى أوقات لها مناسباتها تماما »

وقال المستر برتشارد « كفى عن هذا يا ميلدريد »

« سأستمر فى ذلك »

« ميلدريد ، أننى أرفض ذلك »

فاستدارت ابنته بسرعة نحوه وقالت « أرفض ، ودعها تجدف فى حقك !! » وذررت معطفها فوق صدرها .

ومد المستر برتشارد يده « ميلديريد ، أرجوك يا عزيزتى » فقالت
لقد حصلت على ما فيه الكفاية ، اننى بحاجة للترييض . « وسارت
خارجة من الاتوبيس وانطلقت بسرعة بعيدا .
وصاحت المدام برتشارد « اليوت ، اليوت ، أوقفها ، لا تدعها
تذهب » .

فربت على ذراعها « والان يافتاتى الصغيرة انها سيستكون على
ما يرام ، اننا فقط متوترون وحادو الطباع ، نحن جميعا » .
... وتلاوحت « أوه ، اليوت ، لو استطعت فقط أن استلقى على
الارض ، أريد فقط الحصول على شيء من الراحة ، انها تظن أن حالات
الصداع التى اتعرض لها ليست حقيقية ، اليوت ، اننى سأقتل
نفسى اذا كانت هى تعتقد فعلا فى ذلك ، أود ، أريد فقط أن اضطجع
وأتمدد لأريح جسدى »

فقال بيميلز « ياماما ، لدينا بعض القماش المشمع فى الجزء
الخلفى من الاتوبيس ، ونستخدم هذا المشمع فى تغطية الامتعة عندما
نضعها فوق سطح الاتوبيس ، فاذا أخذ زوجك واحدا من هذين
المشمع لوضعه فى ذلك الكهف ، عندئذ يمكنك أن تستلقى على الارض
هناك »

فقال المستر برتشارد « حقا ، انها لفكرة مدهشة » وتساءلت
« انام أنا فوق الارض القديمة الرطبة ؟ لا » ، « لا ، فوق المشمع ،
باستطاعتى أن أهوى لك سريرا صغيرا حلوا لفتاة صغيرة حلوة »
فقالت « حسنا » لست أدري .

فأصر قائلا « انظرى يا عزيزتى ، انظرى ، اننى سأطوى معطفى .
وعليك فقط أن تضعى رأسك عليه هناك ، والان سآذهب الى هناك
وبعد برهة قصيرة سأحضر وأخذك الى السرير الصغير الخاص
بك » .
وبكت .

« وتريحين رأسك فوق الوسادة وتغلقين عينيك » وقال بيميلز
« لقد قال لى المستر شيكوى أن أخرج القطائر اذا شعر أى شخص
بالجوع ، يوجد أربع قطائر لها رائحة جميلة وهى أيضا للذئذ بعض
الشيء ، يمكننى أن أتناول قطعة منها الآن » .

وقال المستر برتشارد « دعنا نخرج ذلك المشمع أولا ، فزوجتى
تشعر بالارهاق والتعب ، قهى تقريبا فى نهاية قواها ، وأرجو أن
تساعدنى فى اعداد سريرها ، ممكن ؟ »

وقال بيميلز « وهو كذلك » وشعر أنه يتصرف على ما يرام فى
غياب جوان ، وشعر أنه فى حالة طيبة للغاية وأنه مبتهيج للقسيابة .

ودلت وقفته على بحالته النفسية . اذ كان كنفاه مقصوعين للخلف
وكانت عيناه الشاحيتان ذات اللون الاصفر المائل للسواد مشرقتين
ومليئتين بالثقة ، شيء واحد فقط كان يكدر جفوه بيميلز ، كان يتمنى
لو كان عنده شيء من الادراك السليم بحيث يلقي زوجا من الاخذية
القديمة داخل الاتوبيس ، اذ كان من المتوقع من يأخذ حذاءه
الاكسفورد ذا الطراز الحديث علقه ساخنة بسبب الطين مما يضطره
الى بدل مجهود كبير لتنظيفه بفرشاة الاسنان ، ولم يكن باستطاعته
أن يبدو حريصا للغاية على حذائه لان ذلك من شأنه أن يبين لكامل
أنه شخص بعيد عن الطيش والتهور ، فهي لن تقع تحت تأثير رجل
يحرص على حذائه حتى لو كان ذلك الحذاء من نوع الاكسفورد
الجديد ذي اللونين الأبيض والبني .

وقال ارنست « سأذهب لألقى نظرة على تلك الكهوف » ووقف
ثم تشبث هابطا من باب الاتوبيس ، وزمجر فان برانت في تدمر
وتبعه .

وأراحت مدام برتشارد خدما في استكانة على معطف المستر
برتشارد وأغلقت عينيها ، كانت مليئة بمشاعر الفرع والخوف .
كيف تسنى لها أن تهاجمه وتجادله علنا أمام الناس - تهاجم زوجها
الخاص بها ؟ ان ذلك لم يحدث أبدا من قبل ، فعندما كان الأمر يتطلب
الشجار كانت تحرص على أن يكونا بمفردهما ، ولا حتى ميلدريد كان
يسمح لها أن تسمع الشجار ، وشعرت أنه من الابتدال أن تشاجر
أمام الناس الغرباء هذا بالإضافة الى ان هذا الشجار قد حطم الصورة
التي ظلت تشيدها لسنوات ، حطم ما كان يردده الناس بأن عدوبتها
ورقتها هي التي جعلت زواجها يأخذ الطابع المثالي ، فكل شخص
عرفته كان يعتقد في صحة هذه الرواية ، وهي نفسها قد صدقت
ذلك ، اذ أنها أقامت بجهودها الخاصة حياة زوجية هائلة ولكنها
انزلت لأنها تشاجرت معه وتحدثت عن البيت الصغير لنبيات
الاركيديا بحيث لم يعد الأمر سرا محجبا .

إنها قد أرادت مثل هذا البيت على مدى سنوات عديدة ، وكان
ذلك في الحقيقة منذ أن رأت مقالا في « الهارباز بازار » عن المدام
بوليام أو ماكينزي التي كانت تمتلك بيتا من تلك البيوت . وكانت
الصور جميلة ومحبة للنفس ، وكان يمكن للناس أن يقولوا عن المدام
برتشارد إنها تمتلك أجمل بيت صغير من بيوت الاركيديا ، وبيت
الاركيديا غالي الثمن وله قيمة كبيرة للغاية . فهو أفضل من المجوهرات
أو الفراء ، وحتى الناس الذين لم تتعرف عليهم كانوا سيسمعون

عنها وعن بيت الأركيديا الصغير الخاص بها ، وهي كانت قد عرفت الكثير من المعلومات عن مثل هذه المشروعات خفية ، وكانت قد وضعت الخطط وعرفت تكاليف أجهزة التسخين والآلات التي تبعث الندى والرطوبة ، وعرفت المكان الذي تشتري منه شتلات الأشجار بل وعرفت كافة التكاليف ، كما أنها درست بعض الكتب التي تتناول موضوع تفريغ النباتات ، وتمت كل هذه الأمور في سرية تامة لأنها كانت تعرف أنه لو جاء الوقت المناسب الذي تستطيع فيه الحصول عليه فسيكون المستر برتشارد في حاجة لأن يكتشف هذه الأمور ويخبرها بها ، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة وهي لم تستنكر هذه الطريقة ، فذلك كان بكل بساطة أسلوباً في الحياة ، الأسلوب الذي جعل زوجها ناجحاً ، وهي قد أبدى تأثيرها وأنبهارها بمعلوماته او قد تطلب منه النصيح والمشورة في كل شيء .

ولكنها كانت متضايقه لأنها قد جعلت الأمر ينزلق مع الغضب . فمثل هذه الغلطة قد تؤخر تقدمها لمدة ستة شهور أو مايزيد على ذلك . فهي كانت قد وضعت خططها على أساس أن تجعله يقترح بنفسه إنشاء هذا البيت ، وتجنله عن طريق أحجامها الحريص يتغلب على معارضتها للفكرة . ولكن الموضوع الآن قد ذكر بكل بصراحة أثناء ثورة الغضب مما قد يضع العراقيل أمام التنفيذ . وهي اذا لم تكن حريصة للغاية في اعداد خطط المستقبل لما تمكنت أبداً من تحقيق هذه الرحلة . لذلك كان شجارها هذا يدل على الغباء والبداة .

وكان باستطاعتها سماع نورما وكاميل وهما يتحدثان بصوت منخفض خلفها ، وكانت عيناها مغلقتين ، وكان الأعياء والمرض والضعف يدب في كيانها حتى أنها لم تتصورا أنها كانت تحاول الأصغاء اليهما .

وكانت نورما تقول « ومن الأمور التي أحب أن تعلميها لي هو كيفية التعامل مع الرجال »

وضحكت كاميل في اقتضاب وتساءلت : « ماذا تقصدين ؟ » « حسناً ، مثال ذلك أن بيميلز قد حاول التولد اليك ومع ذلك لم يتمكن من الوصول الى مجرد التمهيد الأولى معك ، وأنت في نفس الوقت لا يبدو عليك أنك تبدلين مجهوداً لصده وردعه ، وتخذي مثلاً آخر يتعلق برجل المبيعات ذاك ، فهو رجل لبق بعض الشيء ولكنك تعاملت معه كأنه لا شيء . أنني أتمنى أن أعرف كيفية التعامل مع هؤلاء الناس بنفس أسلوبك »

فشعرت كاميل بالسرور ، ورغم أنها كانت متضايقه مع هذا العبد الثقيل الملقى على عاتقها إلا أنها شعرت بالبهجة بسبب هذا

الاعجاب بها ، وأصبح الوقت مناسباً لأن تخبر نورما بأنها لا تعمل
كممرضة للأسنان وتحدثها عن كأس الخمر العملاق الضخم والحفلات ،
ولكنها لم تستطع الاعتراف لها لأنها في الحقيقة لم تكن ترغب في أن
تسبب لنورما صدمة كبرى . وكانت تريد أن تظل محل إعجابها .
واستطردت نورما : « والشئ الذي أحبه فيك هو أنك لست
وضيعة أن بديهة في هذا الأمر ، ومازالوا غير قادرين على بضـعوا
أصبعا عليك » .

فقالت كاميل « اننى لم الحظ ذلك على نفسى أبداً .
وأظن أن هذه الخاصية الموجودة في امر أشبه بالفريزة ،
وبضحكت ، واستطردت « ولى صديقة تستطيع التعامل فعلا مع
الرجال ، وهى لا تطلق صيحة استهزاء واحدة . وهى مع ذلك كانت
وضيعة مع الرجال ، وكان اسمها لورين ، وكانت مخطوبة لذلك
الشخص الذى كانت له وظيفة مناسبة مما جعله لا يواجه أية متاعب ،
وكانت لورين ترغب في الحصول على معطف من الفراء ، وهى
بالطبع كان عندها جاكيت صغير مصنوع من فراء الدب وكان لديها
معطفان من فرو الثعلب الأبيض اللون لأن لورين فتاة محبوبة للغاية ،
وهى جميلة وصغيرة في السن . وعندما تكون مع الفتيات تجعلك
تضحكين طوال الوقت . وأرادت لورين معطفاً من الفراء الثمين ،
ليس معطفاً قصيراً ولكن معطفاً مكتمل الطول تماماً ويصل ثمنه
إلى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف دولار »

وأطلقت نورما صغيراً بين أسنانها وقالت « يا الهى » ، فقالت
كاميل « حسناً ، وقالت لورين بعد ظهر أحد الأيام « أظن اننى
سأحصل على المعطف المصنوع من الفراء الثمين على الفور » فقلت لها
« أنت تمزحين وتكذبين على » .

« اتظنين اننى امرح ؟ سيعطنى ايدى هذا المعطفك » .

وسألتها « متى قال لك ذلك ؟ »

« فاكثفت لورين بالضحك وقالت « انه لم يقل لى ، بل والاكثر
من ذلك انه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع حتى الآن »
وقلت « حسناً اسمعى ، أنت مخبولة » .

« اتراهنيننى ؟ وكانت لورين تتراهن على أى شئ » .

وقلت لها اننى لا اتراهن على الأشياء وسألتها « كيف سيتسنى
لك الحصول عليه ؟ »

وقالت « هل ستحافظين على السر اذا قلت لك ؟ »

واستطردت « المسألة سهلة ، فانا أعرف ايدى جيداً ، اننى
سأثيره في هذه الليلة وأقدم له مشروبات روحية وأستمر في إثارة

الى أن يجن جنونه ، وأظن هكذا الى أن يضربنى بجماع يده وقد
أعتمد أن تصيبنى احدى لكلماته نظرا لأن ايدى عندما يكون مخمورا
لا يصيب الهدف أمامه ، حسنا وبعدئذ سأجعل ايدى يتساجج في
عصاراته ، فانا أعرفه جيدا ، وعندئذ سيشعر أنه سافل وسيشعر
بالأسف ، اتراهنين على ذلك ؟ بل وسأضطجع مرة واحدة ، واتراهنك
على أننى سأحصل على ذلك المعطف غدا بالليل .

« حسنا ، اننى لا أراهن على أى شيء ، ولذلك قلت لها « انت
لا تراهنين على مبلغ بسيط مثل ٢٥ سنتا » وكان فم نورما مفتوحا
بفعل الاثارة ، ومن بين رموش المدام برتشارد ظهر وميض ضئيل
منعكس .»

واستفسرت نورما « وهل حصلت هى على المعطف ؟ » « حسنا ،
لقد ذهبت الى المكان الذى تقيم فيه لورين في صباح يوم الأحد ،
وكانت لورين مصابة بكدمة متورمة تحت عينها ، كدمة زرقاء سوداء
حقيقية ، وكانت تضع عليها رقعة ، وكان أنفها أيضا مجروحا »
« حسنا ، وهل حصلت هى على المعطف ؟ » فقالت كاميل « حصلت
على المعطف بكل تأكيد » وظهر على وجهها تبهيم وحيرة واستطردت
« حصلت على المعطف ، وكان قطعة من الحسن والجمال ، حسنا ،
وبعدئذ قامت بخلع جميع ملابسها ، وكنا نحن الاثنان فقط في هذا
المكان ، ثم قلبت المعطف بحيث يكون وجهه الى الداخل وارثته
على اللحم بحيث يكون شعر الفراء ملاصقا لبشرة جسدها ، ثم راحت
تندحرج وتندحرج على الأرض وتضحك وتضحك بصوت يوحى
بالبلادة والعصبية كما لو كانت مجنونة . »
وخرجت أنفاس نورما المحبوسة في بطنها وقالت « يا الهى ولماذا
فعلت هى ذلك ؟ »

فقالت كاميل « لست أدري ، كان الأمر يبدو كأنها متخولة بعض
الشيء ، تكاد تكون مجنونة »

وكان وجه المدام برتشارد قد أخذ يتوهج ، وراحت تتنفس بسرعة
كبيرة للغاية ، وتحدت بشرتها وأحست بمشاعر الألم والوخز تسرى
في ساقها وفي معدتها على نحو لم يسبق لها أن جربته من قبل ،
وشعرت من وراء ذلك بمتعة لم تحصل عليها من قبل سوى مرة
واحدة ، وكان ذلك فوق ظهر حصان منذ فترة طويلة مضت .

وقالت نورما في شيء من الرزائفة والحكمة « لا أظن أن ذلك كان
أمرا لطيفا ، فاذا كانت هى قد أحبت ايدى حقيقية وكان هو
بصدد الاقتران بها فلا أظن أن ذلك كان شيئا لطيفا تفعله »

وقالت كاميل « وهذا هو رأى أيضا ، فهذا التصرف من جانب

لورين قد ضايقني وقد أخبرتها بذلك ولكنها قالت لي .
حسنا ، أن بعض الفتيات يسلكن الطريق الطويل للوصول
الى الهدف ، ولكنى أردت الوصول بسرعة ، وعلى كل حال فالأمر
سيان في النهاية ، ولا بد أن انسانية أخرى كانت تستخدم نفس هذه
الحيل لكسب المنافع من وراء أيدي .

« وهل تزوجته ؟ »

« لا ، لم تتزوج »

فقالت نورما في غضب « أراهن على انها استنزفت أموال أيدي ،
وهذا هو كل ما في الأمر »

وقالت كاميل « ربما ، ولكنها كانت صديقتي لفترة طويلة ،
وكانت دائما تساعدني وتلبى رغبتي اذا احتجت لأي شيء ، وفي
احدى المرات عندما أصبت بالتهاب رئوي فانها ظلت بجوارى على مدى
ثلاثة أيام بلياليهم ، وكنت أنا مفلسة أثناء المرض فدفعت لي أجور
الطبيب » .

وقالت نورما « اظن انك لا تستطيعين الحكم عليها » وقالت كاميل
« لا ، لا أعتقد ذلك ، وعلى كل حال فانك قد استفسرت منى عن كيفية
معاملة الرجال » .

وكانت المدام برتشارد تدق نفسها بالكلمات وأخافتها ردود الفعل
عندها ، وقالت لنفسها وهي تكاد تهمس بالكلمات « يالها من قصة
مرعبة مبتدلة ، يالهن من حيوانات أولئك الفتيات الصغار ، اذن فهذا
هو ما يعنيه اليوت بقوله « النزول الى الناس » ، آوه ، ان ذلك لأمر
مرعب ، اننا فقط ننسى الكيفية التى يكون عليها الناس وكيف يمكن
أن يكونوا منحطين أخلاقيا » وراحت تكتب فى ذهنها بجنون وحماس ،
وكانت الاثارة لا تزال تحدث تخديرا على الجوانب الداخلية لفخذيها
« عزيزتى ، أيلين ، لقد كانت الرحلة مرعبة فى المنطقة ما بين سان
يسيدرو وسان جوآن دي لا كرونا ، وقع الاتوبيس فى حفرة ولم نملك
سوى الجلوس والانتظار لبضع ساعات ، وكان زوجى اليوت لطيفا
معى للغاية فأعد لي فراشا فى كهف عجيب ، لقد سبق أن قلت لى
اننى قد أحصل على المغامرات ، اذكرين ؟ لقد قلت لى اننى قد تناح
لى فرصة الدخول فى المغامرات باستمرار ، حسنا ، لقد
دخلت فعلا فى المغامرات ، وكانت توجد هناك فتاتان مبتدلتان أميتان
فى الاتوبيس احدهما تعمل جرسونة والأخرى جميلة بعض الشيء :
كانت من النوع اياه الذى يعرفينه ، وكنت أنا مستسلمة للراحة
فخيل اليهما اننى مستقرقة فى النوم ، فاستطردتا فى الحديث ،
ولا أستطيع أن اذكر لك حرفا واحدا مما سمعته منهما ، فانا لأزلت

أشعر بالخجل مما سمعت ، أن المهذبين من الناس لا يعرفون حياة هذه المخلوقات المسكينة ، انه أمر لا يصدق العقل ، وفي رأيي دائما أن الجهل هو الذي يؤدي الى كل ذلك ، فلو كان عندنا مدارس أفضل أو بمعنى أصبح لو كنا نحن بمثابة الأمثلة أفضل يحتذى بها الناس لكانت صورة المجتمع قد تغيرت بأسرها تدريجيا ولكن بشكل أكيد » وقد تقرأ ايلين الخطاب مرات ومرات أمام الناس « لقد تلقيت تورا رسالة من برتيس ، انها تدخل في أشد المغامرات إثارة ، وهي دائما ما تفعل ذلك كما تعرفون . وأريد منكم أن تسمعوا ما تقوله . اننى لم أعرف أى شخص يستطيع أن يرى الجوانب الطيبة في الناس مثلما تستطيع برتيس » .

وكانت نورما تقول « اننى اذا أعجبت بشخص لا أفكر في عمل شيء كهذا معه ، فاذا رغب في تقديم هدية لى فعليه أن يفكر في ذلك الأمر بدافع من ذاته »

وقالت كاميل « حسنا ، وهذا هو ما أشعر به ازاء هذا الامر أيضا . ولكنى لم أحصل على معطف واحد من الفراء ولا حتى على معطف من النوع السميك ، أما لورين فقد امتلكت ثلاثة معاطف » . وقالت نورما « حسنا ، لا أظن أن هذا التصرف يتسم بالأمانة والشرف ، ولا أظن اننى أعجبت بلورين » .

فصرخت كاميل في داخل عقلها « يا الهى ، انك لا تعسرفين ما اذا كنت ستظفرين بأعجاب لورين ، اننى لاتساءل عما اذا كانت لديك أية فكرة عن البراى الذى قد تكونه لورين هناك ؟ » وفكرت : لا ، ليس ذلك صحيحا ، فلربما تأخذ لورين هذه الفتاة وتصلح من شأنها وتقدم لها المساعدة ، ومهما قال الناس عن لورين فلا أحد يمكنه أن يقول عنها انها فتاة لا تحب الخير للآخرين .

الفصل السادس عشر

ونكست ميلدريد رأسها لأسفل لكي تمنع المطر من احداث الضباب والظلمة على نظارتها ، وكان ملمس الطريق المنيء بالحصى حسنا تحت قدميها ، وقد جعلها التريض تستنشق الهواء في عمق ، وخیل اليها أن ضوء النهار كان آخذا في الاظلام من ذي قبل ، لا يمكن أن يكون الوقت متأخرا للغاية ، وكان ضوء من أضواء المساء لا يزال يزحف على الوجرد جاعلا الأشياء الفاتحة مشمس قطع البلور الصخري والحجر الجيري تبدو أكثر نضاعة والأشياء المعتمدة مثل أعمدة السور تبدو سوداء .

وسارت ميلدريد بسرعة ، وكانت قدماها تطعنان في الأرض وكعباها يضربان في الحصى ، وكانت تحاول أن تبعد عن ذهنها الشجار الذي حدث ، وهي لا تذكر أنها شاهدت من قبل والدها وأما يتشاجران ، ولكن هذا الشجار الذي حدث أمامها كان شيئا مألوفاً وروتيني الطابع مما يدل على أنه كان بعيداً عن كونه أمراً قبيحاً عادياً ، لابد أن أمها تحرص على أن تتم المشاجرات في غرفة النوم حتى لا يتمكن أحد من سماعهما ، لقد شيدت خرافة عن الزواج الذي يتصف بالكمال وعملت على استمرار تلك الخرافة ، ولكن في هذه المرة كان التوتر قد وصل إلى نقطة الانفجار ولم تكن هناك غرفة نوم لتأوي إليها . وكانت هناك نقاط صغيرة وضئيلة من الأحقاد والسموم الصفراء في الشجار مما سبب القلق والأزعاج لميلدريد . كانت سموماً من خبث ودهاء ، لم يكن غضبها مكشوفاً أميناً وإنما كان قصباً زاحفاً بعض الشيء يطعن بسلاح حاد ثم يختفي السلاح على وجه السرعة .

وكانت هناك هذه الرحلة الطويلة للغاية إلى المكسيك ، ولنفرض أن ميلدريد لم تعد اليهم ؟ لنفرض أنها استمرت في المسير والتقطت سيارة لتوصلها إلى مسافة ما واختفت - واستأجرت غرفة في مكان ما ربما على الساحل بالقرب من البحر وأمضت الوقت على الصخور أو على البلاج ؟ وأدخلت هذه الفكرة السرور والبهجة عليها إلى حد بعيد . ويمكنها أن تطهو الطعام لنفسها وتتعرف على أناس جدد على البلاج . وكانت فكرة مضحكة تستوجب السخرية ، فهي لم تكن لديها أية نقود . لقد كان أبوها كريماً للغاية ولكنه لا يعطيها نقوداً . كان باستطاعتها أن تشتري ملابسها على الحساب وتوقع

على الشيكات في المطاعم ولكن نقودها الحقيقية كانت دائما قليلة للغاية ، كان والدها كريما للغاية ولكنه كان محبا للاستطلاع الى حد بعيد ، فكان يريد أن يعرف الأشياء التي اشتريتها وأين تناولت طعامها وكان باستطاعته اكتشاف هذه الأمور من قراءة الفواتير الشهرية .

وبالطبع كان باستطاعتها أن تلجأ إلى العمل لتكسب قوت يومها ، وقد تحقق هذا الأمر كيفما كان في فترة قصيرة بعض الشيء لأن العثور على عمل لا يتم في الحال ، لا يجب عليها أن تكشف عن نواياها بكل صراحة ، وعليها أن ترتكب الخطيئة خلال هذه الرحلة المربعة للمكسيك التي كانت ستصبح رائعة لو أنها كانت بمفردها وبحيث تعسود للكلية بعد ذلك ، وعلى كل فلن يمضي وقت طويل حتى تلتحق بوظيفة وقد يوافق والدها على ذلك وقد يقول لتشارلي جونسون « باستطاعتى أن أعطيها أى شيء تريده ، ولكن ، لا ، ياسيدى فقد سبق لها أن حصلت على الكثير من الملابس والفساتين التي تسير الموضة ، وهي الآن تعمل لتنفق على نفسها » وقد يقول تلك العبارة في شيء من الفخر وكأن الفضل في ذلك يرجع إليه في بعض الجوانب وهو أن يعرف مطلقا أنها تعمل من أجل تحقيق العزلة والخلوة لنفسها حتى تتمكن من أن تعيش في شقة خاصة بها وتتمكن من انفاق بعض النقود بغية تحقيق أشياء لا يعرف عنها شيئا .

وهي في المنزل كان لها - على سبيل المثال - مطلق الحرية في الذهاب الى غرفة المشروبات الروحية في أى وقت كما تشاء ، ولكنها كانت تدرك أن والدها كان يتذكر على وجه الدقة مستوى السائل في كل زجاجة بحيث أنها لو أخلت ثلاث جرعات مثلا فانه كان يعرف ذلك على الفور . فقد كان محبا للاستطلاع للغاية . وخلعت نظارتها ومسحتها على البطانة الداخلية لمعطفها ثم لبستها مرة أخرى ، واستطاعت أن تشاهد آثار أقدام جوان على الطريق ، وكانت توجد أماكن انزلت عليها قدمه فوق الصخور كما كانت هناك مساحات ممتدة من الأرض الموحلة حيث ظهرت عليها الانطباعات الكاملة للأقدام بشكل واضح مع انكسار الخطوط بفعل اندفاع أصابع أقدامه ، وحاولت ميلديدا السير فوق آثار أقدامه ولكن خطواته كانت طويلة بالنسبة لها حتى أنها شعرت بالشد والجذب فوق فخذيها بعد أن ظنت سائرة على هذا المنوال لبعض الوقت .

وراحت تفكر : أنه رجل قريب يتميز بالقوة والتسلط ممسا

يتسبب في الاستسلام ، وكانت مسرورة لأنها قد تخلصت من تلك التجربة المجنونة. التي حدثت في الصباح ، وكانت تعرف ان ذلك الأمر لا علاقة له بالعقل والاتزان وحسن الادراك السليم ، ولكنها مسألة التأثير المتبادل بين التهيج وافرازات الغدد - وكانت هي تعرف كل هذه الأمور ، وهي كانت تعرف عن نفسها أن لها رغبات جنسية هائلة ، وسيكون أمامها في القريب العاجل اما أن تتزوج واما أن تقوم ببعض الترتيبات التي لها صفة الديمومة ، وذلك لأن الأوقات التي تشعر فيها بالضيق والقلق والرغبة أخذت تتزايد بشكل كبير ، وفكرت في وجه جوان الداكن اللون وفي عينيه اللامعتين إلا أن ذلك لم يحدث تأثيراً عليها ، ولكن جوان كان يوجد في داخله دفء وصدق وأخلاص ، وكانت معجبة به .

وعندما تخطت قمة التل شاهدت المزرعة المهجورة الى أسفل وشعرت بالانبهار . واستطاعت أن تحس بالقنوط والياس الذي يلف المكان . وأدركت انها لن تستطيع المرور على المنزل دون أن تنظر في داخله ، وأسرعت الخطى بعد أن أثير اهتمامها وشغفها . ان فانت برانت سبق أن قال « البنك أنتزع الملكية نظير الإيفاء لدين واضطرت الأسرة أن تترك المنزل ولم يكن البنك ليهتم بأمر منزل قديم ، ولكن الأرض هي التي كانت تهمة » .

وأصبحت خطواتها في نفس اتساع خطوات جوان تقريباً ، وهبطت في تارجح الى سفح التل ومنه الى المدخل الموصل للمزرعة ثم توقفت فجأة ، اذ لاحظت أن آثار أقدام جوان قد حادت الى الداخل . وسارت على الطريق قليلاً لكي تعرف ما إذا كانت آثار أقدامه قد خرجت من الناحية الأخرى واستمرت الى المسير ولكنها لم تجد أية آثار أقدام متجهة للأمام .

فقالت لنفسها « لابد أنه مازال هناك في الداخل ، ولكن ما السبب في ذلك ؟ لقد كان ذاهباً الى طريق الولاية ولا يمكن أن يكون هنا في هذا المكان تليفون » ، وتملكها الحذر عندما أدركت انها لا تدري ما يدور في الداخل علاوة على انها لم تكن تعرف الكثير من هذا الرجل ، وسارت ببطء في المدخل ثم حرصت على أن تسير فوق العشب لكي لا تحدث أقدامها أصوات احتكاك فوق الحصى .

كان هناك شيء يوحى بالخطر في هذا المنزل المهجور ، واستعدادات في ذهنها القصص التي سبق أن قراتها في الصحف عن جرائم قتل في أماكن تشبه هذا المكان ، وتوتر حلقها بسبب الخوف ولكنها هدأت من نفسها : « حسناً ، باستطاعتي أن أستدير وأخرج من المكان ، ان أحداً لا يستوقفني ولا أحداً يدفعني الى الداخل » ولكنها

أعرف أنه يجب على عدم التراجع ، أعرف أنني لن أترك المكان ،
ربما كان باستطاعة أولئك الفتيات اللاتي قتلن الانصرافا بعيدا
أيضا ، وربما كن يطلبن السماح لهن بالانصراف .

وشاهدت منظرا لنفسها وهي ملقاة على الأرض في أحسدى
الغرف وقد خنقت أو طعنت بالسكين ، وكان هناك شيء في المنظر
جعلها تضحك - إذ كانت نظارتها مازالت على عينيها ، وما الذي
كانت تعرفه عن جوان ؟ أن له زوجة وعمل تجارى يديره ، وعندئذ
تذكرت مانشيت سبق أن قرأته في الصحف « اغتيال أب لثلاثة
بطريقة سادية وحشية » .

وتعجبت من السبب الذي يجعل عددا كبيرا للغاية من منشدى
الكوارس وعازفى الأرغن يفتالون ، يبدو أن هناك مخاطر وظيفية
تتعلق بغناء الكوراس . إذ دائما ما يتم العثور على منشدى
الكوراس متخوفين خلف الأرغن ، وضحكت ، وأدركت أنها تخطو
إلى داخل هذا المنزل ، وتساءلت : أينبقى على فقط أن أجوس
بأقدامى فى قوة وبصوت مسموع أم أنه ينبغي على أن أنسل فى
هدوء إلى الداخل واصطاد جوان شيكوى وهو يقوم بأى عمل مهما
كان نوعه ، ربما كان ذاهبا فقط إلى المتواليت ليقضى حاجته .

وضعت قدمها فى حرص على السلمة وتوقفت عندما زيق خشب
الأرضية تحت وطأة ثقلها ، وراحت تفتش فى جميع أرجاء المنزل
وفتحت الدواليب وكانت هناك علبة فلفل مقلوبة فى المطبخ وكان
هناك مشجب لمعطف فى دولاب قرفة النوم ، وأدارت رأسها من
جانب لآخر لتلقى نظرة على الصفحات القديمة الهزيلة الموجودة
خلف ورق الحائط المنتزع ، وقرأت قصاصة مستطيلة من مجلة
« هابى هوليجان » ، وجذبت البغلة « مود » ساقيها للخلف وركلت
فطار سى فى الهواء وعلى مؤخرة بنطلون سى كانت توجد آثار
منطبعة لحوافر البغلة ، واستقامت برأسها ، لماذا لم تفكر من قبل
فى الأسطبل ؟ وتسالت ميلدريد للخلف نحو الشرفة الامامية
ونظرت عن كثب إلى الألواح الخشبية واستطاعت أن ترى آثار
الأقدام المبللة التى تركها حذاء جوان ، فتتبعت الآثار إلى قرفة
الجلوس ثم فقدتها . وذهبت إلى الباب الخلفى المفتوح ونظرت
إلى الخارج ، وكانت المفاجأة : لقد كانت هناك آثار الأقدام متخذة
طريقها إلى الخارج ومتجهة بالفعل نحو الأسطبل .

ونزلت على السلالم المكسورة وتبعث الملق عبر أجزاء من
المبنى وتخطت طاحونة الهواء القديمة . ودخلت الأسطبل ووقفت
هناك مصغية ، لم تكن هناك أصوات ، وفكرت فى أن تنادى

بصوتها ولكنها عدلت عن هذه الفكرة ، وفي بضع مرات على جميع مرابط الحيوانات في الاسطبل الى ان وصلت الى المربط الأخير . واستلزم الأمر مرور فترة قصيرة قبل ان تعتاد عيناها على الضوء وتتوافق معه ، ووقفت في المدخل المؤدى الى الجزء الأوسط ، وهربت جميع الفئران الصغيرة واختفت عن الانظار وبعدئذ شاهدت جوان مستلقيا على ظهره وقد ضم يديه خلف رأسه ، وكانت عيناها مغالقتين وكانت أنفاسه منتظمة .

وقالت ميلدريد « يمكنني الآن ان اذهب بعيدا وانصرف ، فلا أحد يعمل على ابقائي هنا ، وستكون الغلطة غلطتي ، اننى أريد فقط ان أتذكر ذلك . انه يرمى شئونه الخاصة ويهتم بها فقط ، أبوه ، ما هذا الكلام الفاضى ؟ »

وخلعت نظارتها ووضعتها في جيبها ، فأصبحت الخطوط الخارجية المحددة للرجل مشوشة في غير وضع أمامها حيث لم تستطيع عيناها التركيز على الهدف ، ولكن كان لا يزال باستطاعتها ان تراه ، وسارت في بضع وحرص عبر الأرضية المفطاة بالقش وعندما صارت الى جواره وضعت كعبيها في شكل متقاطع وأنزلت نفسها وجلست على قدميها المتقاطعين ، وكانت الندبة الفائرة الموجودة فوق شفطه بيضاء اللون وكانت أنفاسه منتظمة وهادئة فقالت لنفسها « انه كان متعبا فقط ، وقد استلقى على الأرض لينال قسطا من الراحة فاستغرق في النوم ، لا ينبغي أن أوقظه » .

وفكرت في الناس الذين تركتهم وراءها في الاتوبيس - لنفرض انها لم تعد اليهم أبدا ، لا هى ولا جوان ، فماذا سيفعلون ؟ عندئذ ستصاب أمها بالانهيار أما والدتها فسيرسل برقية الى المحافظ - الى اثنين أو ثلاثة من المحافظين وقد يتصل تليفونيا بمكتب التحريات الفدرالى ، وقد يتكبد نفقات باهظة ، ومع ذلك فما الذى يمكنهم أن يفعلوه ؟ انها قد بلغت سن الواحد والعشرين ، واذا أمسكوا بها يمكنها أن تقول لهم « أننى أبلغ من العمر ٢١ عاما وأفعل الآن كل ما أريد أن أفعله ، ولا دخل لأحد في شئونى الخاصة » أو لتفرض انها ذهبت الى المكسيك مع جولن ؟ سيكون ذلك قصة مختلفة تماما ، شيء مختلف تماما .

ومببطت على عقلها بعض التخيلات والافهام غير المقبولة والتي لا علاقة لها بالأمر ، لو أنه كان هنديا أو تجرى في عروقه دماء هندية فكيف يتسنى لأحد الاقتراب تدريجيا منه في تلصص ؟ وأمسكت بزوايا عيناها لكي تضع وجهه تحت بؤرة نظرها ، وكان وجهه يشبه الجلد وبه آثار جرح قديم ولكنه كان وجهها حسنا من وجهة

نظرها ، كانت الشفاة ممثلة وهزيلة ولكنها شفوقة ، ولربما يكون لطيفا عندما يكون مع امرأة ، وقد لا يبقى معها ، ولكنه كانت له تلك الزوجة ، تلك الزوجة الفظيعة ومع ذلك فقد بقي معها ، والله يعلم الفترة التي أمضاها معها ، لابد أنها كانت جميلة عندما تزوجها ، ولكنها أصبحت قبيحة . ماذا حدث في الدنيا ؟ كيف استطاعت تلك المرأة الفظيعة الابقاء عليه ؟ ربما كان شأنه في ذلك شأن أى فرد آخر ، ربما كان شأنه شأن والدها ، ولربما يكون قد ظل أسيرا لظروف الحياة بسبب المخاوف أو بسبب التعود على نمط من الحياة ، ولم تتصور ميلدريد كيف يمكن أن يحدث ذلك لأى شخص ، ولكنها أدركت أن ذلك الأمر يحدث بالفعل فالناس عندما يتقدمون في السن يتحولون الى الخوف من الأمور الصغيرة تدريجيا ، إذا كان والدها يخاف من سرير قريب أو لغة أجنبية أو من حزب سياسى لا ينتمى اليه ، ولقد كان والدها يعتقد اعتقادا جازما أن الحزب الديموقراطى بمثابة منظمة هدامة قد يودى أسلوبها الى تدمير الولايات المتحدة الأمريكية ووضعها فى أيدي الشيوعيين ذوى اللحيات ، وكان خائفا من أصدقائه كما كان أصدقاؤه يخافون منه . جيل من الفئران .

وحركت عينها لأسفل فوق جسد جوان ، جسد ناشف ذو الياف جامدة قد يصبح أشد تصلبا وتخشباً عندما يتقدم أكثر في السن ، وكان ينظرونه مبلا بعض الشيء بسبب المطر وملتصقا بساقيه ، وكان يبدو عليه شيء من الأناقة - أناقة الميكانيكى الذى أفتسل لتوه ، ونظرت الى بطنه المنخفض الى الداخل بعض الشيء وإلى صدره العريض ، وتلاحظ لها أنه لا يوجد تغير فى أنفاسه ولا تغير عضلى ، ولكن عيناه كانتا مفتوحتين ، وكان ينظر اليها ، ولم تكن عيناه نائمتين نوما عميقا ولكنها كانتا ناصعتين .

وجفلت ميلدريد فى فزع ، ربما لم يكن نائما بالرة ، وربما كان يرقبها وهى تدخل الى الأسطبل ، فراحت تبرز تصرفاتها « اننى كنت بحاجة الى التبريض ، والنزهة ، فقد ظللت جالسة للفتسرة طويلا كما تعرف ، وظننت أن بإمكانى السير الى طريق الولاية لالتقاط سيارة هناك . ثم رأيت هذا المكان القديم ، وأنا أحب الأماكن القديمة » .

وكانت قدماها بصدد التعرض للتخدير والتشميل ، قمالت على جانبها وسندت نفسها على يد واحدة ثم تحركت ساقها وقدميها الى جانب واحد وقطعت ركبتهما فى حرص وعناية بجونلتها ، قرنت قدماها وسرى الذفء مع عودة الدماء اليهما .

ولم يرد جوان عليها . كانت عيناه فوق وجهها ، وتدحرج في
بطء على جانبه ، وسند رأسه بأن وضع يدا تحت أذنه ، وهبط
على عينيه بريق داكن وتجعد فمه بعض الشيء في زاريتيه ، وتراءى
اليها أن وجهه جامدا ، فلا سبيل إلى النفاذ فيما وراء العينين إلى
الرأس ، فاما أن يكون كل شيء طافيا على السطح واما أن تكون
الأمور محجبة تماما بحيث يتعذر النفاذ اليها .

وسألته « ماذا تفعل هنا ؟ »

فانفرجت شفتاه قليلا وقال « ماذا تفعلين هنا ؟ »

« لقد أخبرتك أنني كنت بحاجة إلى النظرة والترىض ، لقد
أخبرتك » .

« نعم ، أنت قلت لي ذلك »

« ولكن ماذا تفعل أنت هنا ؟ »

ولم يبد عليه أنه في حالة استيقاظ حقيقية ، وقال : « أنا ؟
أوه ، لقد جلست على الأرض لاستريح ، وغلبني النوم . لأنني
لم أتم في الليلة الماضية »

وقالت « نعم ، أذكر ذلك » ، وكان عليها أن تستمر في الحديث
وكانت متوترة إلى حد كبير « لقد تعجبت من أمرك ، أنك لست
في مكانك الصحيح الملائم هنا . أقصد قيادتك للاتوبيس ، فمكانك
ليس هنا ولكن في مكان ما آخر » .

فسألها في مداعبة « مثل أين ؟ » ووقعت عيناه على المكان الذي
تقاطعت فيه طيات معطفها .

فقالت في قلق « حسنا ، لقد خطرت لي فكرة قريبة النساء
سيرى ، ظننت أنك ربما لا تعود ، وأنت قد تستمر فقط في السير
وربما تعود إلى المكسيك ، فأنا قد أفعل ذلك لو كنت مكانك »
وغمرت عيناه ، وحملق في وجهها ، وسألها « أنت مخبولة ؟
ما الذي جعلك تفكرين في ذلك ؟ »

« حسنا ، كان ذلك مجرد شيء خطر على ذهني ، أن حياتك ،
أقصد حياتك كسائق للاتوبيس لابد أنها غير ممتعة إلى حد ما بعد
- حسنا ، بعد أن تركت المكسيك »

« ألم تذهب من قبل إلى المكسيك »

« لا »

« إذن فأنت لا تعرفين كيف أن الحياة ستخيف هناك »

« لا »

ورفع رأسه ومد ذراعه ثم وضع رأسه على ذراعه .

« ما الذى سيحدث - من وجهة نظرك - لهؤلاء الناس الذين تركناهم هناك وراءنا ؟ »

فقالت « أوه ، انهم سيرجعون من حيث أتوا بأية طريقة ، فالمسافة ليست بعيدة ، ولن يهلكوا »

« وماذا سيحدث لزوجتى فيما تظنين ؟ »

« حسنا - « وأصابها الاضطراب ، واستطردت « اننى لم أفكر فى ذلك الأمر »

وقال جوان « انك قد فكرت فى ذلك الأمر. وانت لا تترتاحين اليها ، سأقول لك شيئا : لا يوجد أحد معجب بها سوى « ومن الأسباب التى تجعلنى معجب بها هو أن احدا لا يحبها »

وابتسم ، وقال لنفسه « بالها من كذبة » وقالت « انها فقط فكرة مجنونة هببت على ، بل اننى ظننت أيضا اننى قد أهرب بعيدا ، اذ فكرت فى أن أختفى وأعيش بمفردى و - حسنا ، ولا أشاهد أبدا أى شخص ممن عرفتهم من قبل » ونهضت على ركبتيها ثم جلست مرة أخرى على جانبها الآخر .

ونظر جوان إلى ركبتيها ، ومد يده وجذب جواربها لأسفل فوقها . فجعلت عندما امتدت يده نحوها ثم استرخت فى قلق .

وقالت « لا أريد منك أن تظن اننى قد تبعتك الى هنا » .

فقال جوان « أنت لا تريدين منى أن أظن ذلك ، ولكنك فعلت ذلك بالفعل »

« حسنا ، وماذا يهم اذا كنت فعلت ذلك »

ونخرجت يده مرة أخرى واستقرت فوق ركبتيها المغطاة فسرت المنار فى كيانها بسرعة هائلة .

وقالت « لست أنت السبب فى ذلك » وكان حلقها جافا ، واستطردت « اننى لا أريدك أن تظن انك السبب فى ذلك ، ولكن المسألة ترجع الى ، فأنا أعرف ما أريد ، بل والاكثر من ذلك اننى غير معجبة بك ، فانت لك رائحة مثل الجسد ، وتهديج صوتها « أنت لا تعرف نوع الحياة التى أعيشها ، فأنا أعيش وحيدة ، ولا أستطيع أن أخبر أى شخص بأى شيء . وكانت حينها دافئتين ولامعتين ، وبدا كأنهما تغسلانها فى حرارة ساخنة .

واستطردت قائلة « ربما اننى لا أشبه أى فتاة أخرى كيف لى إن أعرف ؟ ولكن الأمر لا يرجع اليك ، بل اننى غير معجبة بك » .

فقال جوان « أنت تسوقين لنفسك فيضا من الحجب ، أليس كذلك ؟ »

وسأله « اسمع ، ما الذى ستفعله بشأن الاتوبيس ؟ » هل
ستذهب إلى الطريق ؟ »

وزاد من ثقل يده على ركبته ثم رفع يده بعيدا عنها ، وقال
« سأعود وأخرج الاتوبيس من وهدته ، وأتخلص من أولئك الناس .
» اذن فلماذا جئت الى هنا ؟ »

فقال « بسبب شيء سار فى الاتجاه الخاطيء ، اعتقدت فى شيء
واتضح لى أن اعتقادى غير سليم »
« ومتى ستعود ؟ »

« بعد وقت قصير بعض الشيء »
فنظرت الى يده الملقاة فى استرخاء على القش أمامها وكانت
بشرة يده داكنة ولامعة ومتجمدة بعض الشيء
« ألن تحاول ملاطفتى ؟ »

فابتسم جوان وكانت ابتسامته من الأعماق وصريحة ، « نعم ،
أظن ذلك ، ولكن بعد أن تناقش الأمر مع نفسك ، فأنت الآن أمام
الخيارين ، ولربما تقرر فى وقت قريب ما اذا كنت موافقة أو غير
موافقة ، أما أنا فساأشغل نفسى فى عمل ما خلال هذه المدة »
« ألا - ألا تريدنى ؟ »

وقال جوان « بالتأكيد ، بالتأكيد . »
« الا انك تعرف اننى سأقع فى أحضانك بأية طريقة ، ولذلك فأنت
لا تريد أن تتكبد أية مشقة ؟ »

وقال جوان « لا بدخلىنى فى مناقشاتك ومناوراتك ، فانا اكبر
منك سنا ، وانا أحب ذلك الأمر ، احبه كثيرا لدرجة اننى أستطيع
الانتظار بل وأستطيع الاستغناء عنه لبعض الوقت »
فقالت « انك تجعلنى أكرهك كرها شديدا لانك لا تعطينى أى
قدر من الاعتزاز بالنفس ، كما إنك لا تستخدم أى قدر من العنف
يجعلنى أستسلم لك بعده » « انك تحصلين على قدر اكبر من
الاعتزاز بالنفس ، اذا تركتك تقرر الأمر بنفسك . »
« حسنا ، اننى لا أحصل على ذلك الاعتزاز »

وقال « لا أظن » ، واستطرد « الفتيات فى بلادى يرغبن فى هذه
الأمور على ذلك النحو أيضا ، اذا ينبغي التزلف اليهن أو اغتصابهن
بالقوة ، وعندئذ يشعرن بالارتياح لهذا الأسلوب أو ذاك »
« حسنا ، وهل تتصرف أنت دائما بهذه الطريقة التى تسلكها
معى ؟ »

فقال جوان « لا ، اننى أجا إلى هذه الطريقة معك فقط ، فأنت
قد جئت الى هنا لهدف معين . وقلت بنفسك أن الأمر لا يتعلق بى »

ونظرت الى أصابعها وقالت « انها لمسالة مضحكة فانا ما يمكن
أن تسميها بالفتاة المثقفة ، وأقرأ الكتب والمراجع ، وانا لست
عدراء ، وأعرف الالاف من تاريخ الحالة المرضية وتطورها عند
المرضى ، ومع ذلك لا أستطيع البدء بالتودد الى الرجل «
وابتسمت بسرعة وفي دفء ، واستطردت « الا يمكنك أن تستخدم
القوة معى بعض الشئ ؟ »

وامتلأت يداه ، وسقطت هى فى المكان المناسب الى بجواره فوق
القش .

« الآن تحبنى على الأسراع ؟ »

وقال « لدينا اليوم بأكمله »

« هل ستحتقرنى أم ستتهزأ بى ؟ »

« وما الذى يهمنى ؟ »

« حسنا ، اننى أهتم سواء أردت أم لم لأرد » فقال « انت

تتكلمين كثيرا للغاية ، أنت فقط تتكلمين كثيرا للغاية . »

« أعرف ذلك » وهكذا الحال بالنسبة لى طوال الوقت « هل

ستأخذنى معك بعيدا ؟ وربما الى المكسيك ؟ » فقال جوان « لا .

ولنرى ما إذا كان باستطاعتك أن تكفى عن الكلام لفترة قصيرة . »

الفصل السابع عشر

واخذ بيميلز المفاتيح من قفل تشغيل الاتوبيس الموجود فوق لوحة الآلات وذهب الى مؤخرة الاتوبيس وفتح القفل الذى يعلق على الامتعة فى حماية ودفع بالغطاء لأعلى ، فنفلت رائحة الفطائر حلوة الى أنفه ، ونظر المستر برتشارد الى الداخل عبر كتفيه . وكانت الامتعة مكدسة فى أحكام فى الحقيبة الخلفية للاتوبيس .

وقال بيميلز : « أظن أن على أولا أن اخرج جميع الامتعة لكى أتمكن من الحصول على ذلك القماش المشمع » وبدأ يجذب حقائب السفر المحشورة .

وقال المستر برتشارد : « انتظر ، دعنى أرفع لك الحقائب وأنت تشد المشمع » وبذلك يمكننا أن نتركها كلها فى أماكنها » . ووقف فوق الاكصدام وراح يشد قاع الحقائب الى أعلى بينما اخذ بيميلز يجذب بشدة طيات المشمع الثقيلة ، وكان بيميلز يجذب المشمع من جانب لآخر الى أن أستخرجه تدريجيا من تحت الامتعة . وقال بيميلز : « ربما يحسن بنا أن نحصل على اثنتين من الفطائر طالما أننا فتحنا حقيبة الاتوبيس ، يوجد التوت والكسريم بالليمون والزبيب وكريم الكاستارد بالكأراميل ومن المناسب الآن تناول قطعة من كريم الكاستارد بالكأراميل » .

وقال المستر برتشارد : « فيما بعد » واستطرد : « فلنحقق لزوجتى الاستقرار أولا » وأمسك بجانب من قماش المشمع الثقيل وأمسك بيميلز بالجانب الآخر وتقدما نحو الصخرة المليئة بالكهوف .

لقد كانت بمثابة تكوينات مألوفة وعادية الى حد ما ، فجانب التل الصغير قد سقط فى أحد الأزمنة القديمة تاركا سطحا ناعما من الحجر الجيرى الهش الضعيف . وتذريجيا قامت الرياح والأمطار بأعمال النخر فى المنطقة السفلى بينما ظلت قمة الصخرة ثابتة فى مكانها بفعل التربة العليا وجذور الأعشاب ، وعبر العصور تكون العديد من الكهوف تحت الصخرة البارزة الناتئة ، وهنا وضعت ذئبة صقارها وهنا فى الأيام السابقة عندما كانت هناك حيوانات مماثلة جاءت دبة شيباء لتنام ، وفى الذيق الأكد ارتفعا كانت البومات تجلس أثناء النهار .

ولقد تكونت ثلاثة كهوف عميقة مظلمة عند سفح الصخرة ، كما تكونت في المنطقة الأكثر ارتفاعا أعداد قليلة من الكهوف الصغيرة ، وأصبحت جميع مداخل الكهوف في حماية من المطر بسبب النتوء العالي للصخرة ذاتها ، ولم تكن هذه الكهوف من ابتكارات الطبيعة كلية ، إذ أن عصابات الهنود الحمر التي تصطاد بقرالوحش قد استراحت هنا وعاشت هنا ، ثم أصبحت فيما بعد مكانا يتوقف عنده ويستريح فيه الرجال البيض الذين يقطعون المسافات فوق الدواب عبر الريف وقام الرجال بتوسيع الكهوف وشيدوا مواقدهم تحت نتوء الصخرة البارز .

وكان الهباب العالق فوق الحجر الرملي قديما وكان بعضه حديثا بعض الشيء وكانت الأرضية في الكهوف جافة نسبيا لأن هذا التل الذي سقط أحد جوانبه لم يكن يستقبل المياه المنجرفة من التلال الأخرى التي تفوقه ارتفاعا ، وكان عدد قليل من الحروف الأولى للأسماء قد حفرت في خربشة على الصخرة المتكونة الحجر الرملي ولكن سطح هذه الحروف كان ناعما للغاية حتى أنها أصبحت غير مقروءة بعد فترة قصيرة ، وكانت الكلمة الكبيرة الضخمة التوبة **Repent** التي لا تتأثر بعوامل الطقس هي فقط التي ظلت واضحة ، فالواعظ المتجول قد أنزل نفسه بواسطة حبل لكي يرفع شعار تلك الكلمة العظيمة بالطلاء الأسود ثم اتصرف مبتهجا من الطريقة التي كان ينشر بها كلمة الله في عالم مليء بالخطايا .

ونظر المستر برتشارد وهو يحمل طرف القماش المشمع إلى كلمة « التوبة » ، وقال « ان شخصا ما قد تكبد كثيرا من المشقة ، وسساءل نفسه في تعجب : « ترى من الذي قام بتمويل مثل هذه المجازفة » ، واعتقد أن الذي قام بذلك هو أحد المبشرين .

وقام هو وبيميلز بوضع القماش المشمع تحت البوابة اليسرى للصخرة « ثم ذهبا ليفحصا الكهوف ، وكانت الحفرة الضحلة متشابهة إلى حد ما ، فالارتفاع جوالي خمسة أقدام والعرض ثمانية أو تسعة أقدام والعمق يتراوح من عشرة إلى اثني عشر قدما واختار المستر برتشارد أبعد الكهوف من جهة اليمين لأنه كان يبدو أكثر جفافا ولأنه كان أكثر ظلما بعض الشيء في الداخل ، واعتقد أن الاظلام مفيد في مواجهة صدى زوجته المرتقب ، وساعده بيميلز في بسط القماش المشمع .

وقال المستر برتشارد « أتمنى أن نحصل على بعض فروع أقصان شجر الصنوبر أو بعض القش لكي نضعه تحت المشمع »

فقال بيميلز « الاعشاب مبللة للغاية . كما أنه لا توجد شجرة صنوبر واحدة لمسافة خمسين ميلا » .

ومسح المستر برتشارد القماش المشمع بمعصم يده ليرى ما اذا كان القماش جافا . وقال « يمكنها أن ترقد فوق معطفي . ويمكنها أن تضع معطف الفراء الخاص بها فوقها » .

وجاء كل من أرنست وفان برانت لينظرا الى الكهف وقال ارنست « باستطاعتنا أن نبقى هنا لاسبوع لو كان عندنا أى شيء نأكله » . وقال فان برانت « حسنا . ربما نتأخر الى ذلك الحد . فاذا لم يحضر سائق الاتوبيس مع صباح الغد سنأسير على أقدامنا . فأننا لا أحمل معي شيئا يذكر من الامتعة » . وقال بيميلز « يمكننى تقسيم فطيرتين اذا كنتم أيها الناس تريدون الطعام » .

وقال ارنست « قد تكون هذه فكرة حسنة » .

فسأله بيميلز « ما هو النوع الذى تفضله ؟ »

« أوه . أى نوع » .

« الكريم الكاستارد بالكاراميل لذيذ الطعم . فهو يحتسوى على دقيق القمح الصافى بدلا من قشرة الخبز الجافة الخارجية » . وقال ارنست « ستكون هذه لذيذة » .

وعاد المستر برتشارد الى الاتوبيس من أجل زوجته . وكان شاعرا بالخجل من نفسه بسبب ثورة غضبه التى حدثت منذ وقت قصير . وكانت توجد فى معدته تلك الكتلة الصلبة التى يحس بها دائما عندما لا تسير الامور على ما يرام . وهى كتلة تشبه قبضة اليد . وقد قال له تشارلى جونصون أنه لابد أن يكون مصابا بقرحة فى المعدة . وتناول تشارلى هذا الامر فى شيء من الفكاهة . اذ قال له أنه لا يوجد شخص يقلل ايراده السنوى عن ٢٥ ألف دولار مصاب بقرحة المعدة . وقال تشارلى أن قرحة المعدة تعتبر من الاعراض التى تدل على وجود رصيد كبير فى البنك . ولذلك كان المستر برتشارد بطريقة لاشعورية فخورا بعض الشيء بالالام الموجودة فى معدته .

وعندما سعد المستر برتشارد الى داخل الاتوبيس كانت عينها المدام برتشارد مخلقتين .

وقال المستر برتشارد « لقد هيأنا لك سريرك الصغير » ففتحت عينيها وحمقت فيما حولها فى اضطراب وبدون هدف . وقالت « أوه » .

فقال « أكنت نائمة ؟ ما كان ينبغي لي أن أوقظك . اسف » .
 « لا . يا عزيزى . اننى على ما يرام . كنت فقط فى اغفاساء من النوم » وساعدها على الوقوف على قدميها « ويمكنك أن تستلقى على معطى وتضعى معطف الفراء الصغير الخاص بك فوقك » .
 فابتسمت فى ضعف لدى سماعها نغمة صوته .
 وساعدها لدى هبوطها من الاتوبيس وقال « اسف على ما صدر منى من وقاحة يا فتاتى الصغيرة » .
 « كل شىء على ما يرام . انك متعب ومرهق فقط . وأنا أعرف أنك لم تكن تقصد ذلك » .
 « حسنا سأطلب لك وجبة عشاء عظيمة فى جوليود لكى أعوضك عما حدث . ربما فى مطعم رومانوف . مع الشمبانيا . أتحيين ذلك ؟ »
 فقالت فى مداعبة « لا يمكن الثقة فيك بالنسبة للنواحي المتعلقة بالنقود . كل شىء قد نسى الان . لقد كنا فقط فى حالة من الأعياء والتعب » .

« يا عزيزتى ايلين . اننا سنحصل على أشهى الطعام فى مطعم رومانوف . ولن تستطيعى مطلقا أن تخمنى من سيكون جالسا الى المنضدة التالية » .
 وقالت « واعجبى !! المطر يكاد يكون قد توقف تماما » .
 « فانا أريد لفتاتى الصغيرة أن تحصل على قدر من النوم حتى تصبح نشيطة وعلى ما يرام » .
 « أمتأكد من أنه لا يوجد بلل أو رطوبة ولا توجد أى ثعابين ؟ » .
 « لا . لقد بحثنا فيما حولنا » .
 « ولا عنكبوت ؟ »
 « حسنا . لم يكن هناك أى نسيج للعنكبوت » .
 « ولكن ما العمل مع حشرة (أبو شبت) الضخمة ذات الجسد المغطى بالشعر ؟ فهذا النوع لا يفرز نسيجا ؟ » .
 فقال « باستطاعتنا أن نفتش فى المكان مرة أخرى . وعلى كل حال الحوائط ناعمة . ولا توجد هناك أماكن تختبئ فيها الحشرات »
 وقادها نحو الكهف الصغير « أترين كم هو جميل ؟ ويمكنك أن ترقدى مع رفع رأسك بهذه الطريقة حتى تتمكنى من النظر الى الخارج اذا أردت ذلك » .
 وبسط معطفه . وجلست هى عليه .

« والان ، استلقى وأنا سأقوم بوضع الغطاء عليك » .
« كيف حال رأس فتاتي ؟ »
« حسنا . انها ليست على الحالة السيئة التي خشيت أن تصل اليها » .

وقال « هذا شيء حسن . عليك بالنوم قليلا . أتشعرين بالراحة ؟ »
وصدر عنها تأوه بسيط من تأوهات الشعور بالراحة .
« لو أردت أى شيء عليك فقط بمناداتي . فساكون قريبا منك »
وجاء بيميلز الى مدخل الكهف . وكان فمه مليئا وكان يحمل علبة فطائر « أتحبين أن تأخذى قطعة من الفطير يا ماما ؟ »
فرفعت المدام برتشارد رأسها ثم ارتعدت وأنزلت رأسها وقالت « لا . شكرا لك » واستطردت « انه لشيء لطيف منك أن تفكر فى امرى . ولكنى لا أستطيع تناول أية فطائر » . وأضافت فى ذهنها « لقد عاملنى اليوت كأبنى ملكة ، يا ايلين . وكم عدد الناس الذين يمكنهم أن يفعلوا ذلك بعد أن يكون قد مضى على زواجهم ٢٣ عاما ؟ فأنا أشعر أننى سعيدة الحظ طوال الوقت » .

ونظر المستر برتشارد لاسفل نحوها . كانت عيناها مغلقتين . وكانت هناك ابتسامة صغيرة فوق شففتيها . فشعر بذلك الاسف الفجائى الموحش الذى كثيرا ما هبط عليه . وتذكر . تذكر تماما أول مرة أحس فيها بهذا الشعور . كان يبلغ من العمر خمس سنوات عندما ولدت أخته الصغيرة . وفجأة كانت هناك أبواب مغلقة فى وجهه ولم يكن بمقدوره الدخول الى غرفة الاطفال ولم يكن باستطاعته أن يلمس الطفلة الصغيرة . وشعر أنه قدر دائما بعض الشيء وكثير الصخب والضوضاء ولا يستحق شيئا من الاهتمام . وكانت أمه مشغولة دائما وعندئذ هبطت عليه مشاعر الوحدة الباردة وهى نفس المشاعر التى هبطت عليه لدى اغلاق برنيس عينيها فهذا كان يعنى أنها اعتزلت العالم بأسره ودخلت الى غرفتها الخاصة بها بحيث لم يكن بمقدوره أن يتبعها الى هناك .

وأخرج من جيبه ملقاطه الذهبى الخاص بالاطافر وفتح وراح ينظف أظافره أثناء سيره بعيدا . ورأى أرنست هورتون جالسا وظهره الى الصخرة على الجانب الاخر من النتوء البارز . وكان الكهف العالى متواجدا فوق رأسه ، وكان أرنست جالسا فوق بعض الجسرات . وعندما اقترب منه المستر برتشارد جذب من تحته ورقة مزدوجة وقدمها للمستر برتشارد .

وقال « أكثر الاشياء فائدة في العالم . باستطاعتك ان تفعل
أى شئ بها فيما عدا قراءتها » .

وضحك المستر برتشارد وأخذ الورقة وجلس عليها بجوار أرنست
وقال المستر برتشارد مرددا نفس الكلام الذى سبق أن سَمِعَهُ من
تشارلى جونصون « اذا قرأت خبرا فى الجرائد فهو غير صحيح » .
واستطرد « حسنا . ها نحن هنا . منذ يومين فقط كنت أقيم فى جناح
بفندق أوكلاند . وهانحن الآن فى كهف . وهذا يدل فقط على أن
الانسان لا يستطيع أن يضع خططا » .

وحملق فى الاتوبيس . واستطاع أن يرى من خلال النافذة أن
بيميلز كان هناك فى الداخل مع الفتاتين وانهم كانوا يأكلون الفطائر
وشعر برغبة قوية فى الانضمام اليهم . يمكنه تناول قطعة من الفطير
وقال أرنست « ان كل الامور تسير على نحو يجعلنى أضحك فى
سخرية فى بعض الاحيان ، فنحن كما تعرف من المفروض أن نكون
شعبا ميكانيكيا . فكل شخص يقود سيارة وكل شخص عنده ثلاجة
وراديو . وأنا أفترض أن الناس يعتقدون بحق أن لهم عقلية ميكانيكية
ولكن دع قدرا ضئيلا من التراب والشوائب يدخل الى الكربوريتور
وعندئذ ستتوقف السيارة فى المكان الذى تعطلت فيه الى أن يحضر
ميكانيكى ويخرج منها الشوائب . ودع نورا ينطفئ وعندها فلا بد من
مجى كهربائى ليضع كبسا كهربائيا جديدا . ودع آلة رافعة تتعطل
وعندئذ سيكون هناك نزل وفزع » .

وقال المستر برتشارد « حسنا . لا أدري . وعلى كل حال
فالشعب الأمريكى فى مجملوه شعب ميكانيكى الى حد ما وأجدادنا
قاموا بأعمال عظيمة من أجل أنفسهم » .
« انهم فعلوا أعمالا عظيمة بالتأكيد . وكذلك يمكننا أن نكون
مثلهم اذا أردنا . هل باستطاعتك أن تتركب سساعة السباق فى
سيارتك ؟ » .

« حسنا . أنا ... »

وقال أرنست « فلنذهب الى أبعد من ذلك . فلنعرض أنك
اضطرت للبقاء هنا لمدة أسبوعين . أتستطيع أن تقى نفسك من الهلاك
جوعا ؟ أم أنك ستتعرض للالتهاب الرئوى وتموت ؟ » .
وقال المستر برتشارد « حسنا . ان الناس كما ترى يتخصصون
فى الاعمال الان » .

وأصر أرنست على وجهة نظره « أباستطاعتك أن تذيب بقرة ؟
إمكانك أن تقطعها الى أجزاء وتطهئها ؟ » .

وأدرك المستر برتشارد أن صبره بدأ يتفد مع هذا الشاب . فقال
في حدة « ان الدولة تجتاحها في هذه الايام موجة من السخرية والتهكم
ويبدو لي أن الشباب فقد ثقته في أمريكا . أما اجدادنا فكانت لديهم
الثقة في أمريكا » .

وقال أرنست « انهم كانوا يسمعون وراء لقمة العيش ، لم يكن
لديهم متسع من الوقت للثقة والايان . أما الناس الان فانهم لا يعملون
كثيرا ومن ثم أصبح لديهم الوقت للثقة والايان . »
وصاح المستر برتشارد « ولكنهم ليس لديهم أى ثقة أو ايمان .
ماذا دهاهم . ما الذى يوجد في داخلهم ؟ » .

وقال أرنست « اننى لاتعجب . وقد حاولت أن أفهم السر وراء
ذلك . فوالدى يؤمن ايمانا راسخا في مسألتين : احدهما أن الامانة
لا بد أن تكافأ بطريقة أو بأخرى . كان يعتقد أن الرجل اذا كان أميناً
فانه يشق طريقه بنجاح بأية كيفية . كما كان يعتقد أن الرجل اذا
اجتهد في العمل فانه يستطيع أن يجمع لنفسه قدرا من المال مما يحقق
له الامن والامان والطمأنينة . والذى جعله يؤمن بالمسألة الاولى هو
قبة ابريق الشاي في الكنيسة وعدد كبير من الاشياء المشابهة . أما
الذى جعله يؤمن بالمسألة الثانية فهو عام ١٩٣٠ ميلادية . ثم اكتشف
أن أكثر الناس تمتعا باعجاب الآخرين لم يتصفوا بالامانة على الإطلاق
ومات وهو يعاني من الحيرة الشديدة المخيفة . لان المسألتين اللتين
آمن بهما ايمانا راسخا لم يثبت نجاحهما في الحياة . لم يثبت نجاح :
الامانة وحسن التدبير والتوفير . ولقد صدمت أنا لان أحدا لم يبتكر
شيئا بدلا من هذين المبدئين » .

وهز المستر برتشارد هذا الكلام لكى يخر مهد رأسه .
وقال « لا يمكن لك أن تكون حسن التدبير والتوفير وذلك بسبب
الضرائب . لقد كان هناك وقت يتمكن فيه الانسان من أن يشترى
لنفسه عزبة ، ولكن الانسان لا يستطيع ذلك الان . فالضرائب تلتهم
كل شيء . فأنت تعمل فقط من أجل الحكومة . ويمكننى القول بأن
الضرائب تدق الفرد مبتدئة برأسه . ولم يعد هناك أحد لديه طموح »
وقال أرنست « لا يوجد هناك فارق كبير بين أن تعمل عند
الحكومة أو عند القطاع الخاص اذا كنت مؤمنا بذلك » .
وقاطعه المستر برتشارد قائلا « ان الجنود العائدين من الحرب

هم الذين يشيرون قلقى واهتمامى . فهم لا يرغبون فى أن يعيشوا عيشة استقرار ولا يرغبون فى الذهاب للعمل . انهم يظنون ان الحكومة متكلفة باعاشتهم مدى الحياة مع أننا لا نقدر على ذلك » .

وأصبح جيبين أرنست مزركشا بحبات العرق وكان هنساك خط أبيض حول فمه ونظرة علية فى عينيه . وقال فى هدوء « أنا كنت فى الجيش . ولكن لا تقلق . فأنا لست بصدد أن أطلب منك أن توفر لى عملا . لن أعمل ذلك . لا أريد ذلك » .

وقال المستر برتشارد « اننى بالطبع أحترم جنودنا كل الاحترام وأظن أنه ينبغي أن يكون لهم صوت » .

وزحفت أصابع أرنست الى العروة فى طية صدر جاكته وقال « بالتأكيد . أعرف ذلك . بالتأكيد » وكان يعكلم كما لو كان يخاطب طفلا . « لقد قرأت فى الجرائد عن أفضل الرجال عندنا . وهم ينبغي أن يكونوا أفضل الرجال عندنا لانهم قد اضطلعوا بأضخم الاعمال . وقرأت ما يقولونه وما يفعلونه . وقد اكتسبت عددا كبيرا من الاصدقاء الذين تسميهم صعاليك . ولا يوجد بينهم سوى اختلاف ضئيل للغاية ولقد سمعت أن هؤلاء الصعاليك يقول كلاما له وقع أفضل من كلام وزير الخارجية الأمريكى - أوه . يا للجحيم ! » . وضحك . واستطرد « لقد توصلت الى اختراع . عبارة عن طبلية من المطاط تطرق عليها بقطعة من الاسفنج . وهى طبلية من أجل المخمورين الذين يرغبون فى الدق على الطبول الخاصة بالاوركسترا . اننى ذاهب الان للتريض قليلا » .

وقال المستر برتشارد « أنت عصبى المزاج » .

وقال ارنست « نعم . أنا عصبى . وكل شخص عصبى » . . . سأقول لك شيئا . اننا اذا دخلنا فى الحرب مرة أخرى أتعرف ما هى أفظع الامور شناعة ورعبا ؟ اننى سأذهب للحرب أيضا . وذلك هو أشد الامور شناعة ورعبا » .

ونفض وسار عائدا الى الاتجاه الذى جاء منه الاتوبيس . وكان رأسه منكسا وكانت يده فى جيبه وكانت أقدامه تضرب على حصى الطريق . وكان قابضا على فمه بأحكام شديد ولم يستطع التوقف وقال « اننى فقط عصبى المزاج ، وهذا هو كل ما فى الامر » .

وحملق المستر برتشارد فى أرنست هورتون ثم أخفض من بصره الى أن وقع نظره على يديه فأخرج مبرد أظافره مرة أخرى وراح ينظف أظافره . وكان المستر برتشارد مهزوزا مما حدث . ولم يدر السبب فى ذلك . فرغم كل التشاؤم الذى يحس به المستر برتشارد ازاء تدخل

الحكومة فى الاعمال التجارية الا انه كان يوجد دائما فى مؤخرة عمله
تفاؤلات عظيمة . ففى مكان ما كان يوجد رجل مثل كولييدج C Ooligo
أو هوفر Hover وقد يظهر فى الافق ويستولى على الحكم من
أيدي هؤلاء الحمقى القائمين على ادارة البلاد وعندئذ تسير كل الامور على
ما يرام فتتوقف الاضرابات ويستطيع كل شخص أن يحقق لنفسه ثروة
ويصبح سعيدا . وكان المستر برتشارد يعتقد أن ذلك الامر وشيك
الوقوع فقد حدثت بعض الاخطاء ولكن الرجل المناسب سيظهر فى
الافق - ربما يكون بوب تافت Bob Taft وعندئذ ستسير الامور
بطريقة سليمة هادئة مرة أخرى وتتوقف هذه التجارب الملعونة .

ولكن هذا الشاب ضايقه لانه شاب متفتح وسريع البديهة ومع
ذلك تجتاحه مشاعر اليأس والقنوط . وكان المستر برتشارد يدرك
أن ارنست هورتون لن يعطى صوته لصالح بوب تافت اذا رشح اسمه
ولو انه لم يذكر ذلك صراحة . وكان المستر برتشارد ، شأنه فى ذلك ،
شأن معظم زملائه يعتقد فى المعجزات ولكنه أصبح مهزوزا بعمق بسبب
ما حدث . صحيح أن هورتون لم يهاجم المستر برتشارد هجوما مباشرا
ولكنه هاجمه فى الاونة الاخيرة بخصوص الكاربويتور . وسمح المستر
برتشارد لعقله أن يصور له الشكل الذى يكون عليه الكاربويتور .
أكان باستطاعته أن يفك أجزاءه ؟ وأدرك فى غير وضوح وجود عوامة
فى الكاربويتور واستطاع أن يشاهد فى ذهنه الشاشة المصنوعة من
النحاس الاصفر وأن يرى الحلقات الموجودة حول البيستون .
ولكنه قال لنفسه أن أمامه أمورا أخرى أكثر أهمية تستاهل التفكير
فيها . فقد قال له هورتون « لو أن الاضواء انطفأت » - وحاول المستر
برتشارد أن يتذكر المكان الذى توجد فيه صناديق كبس الكهرباء فى
منزله ولكنه لم يعرف . ان هورتون كان يهاجمه . ان هورتون لم يحبه
ولنفرض أن صلتهم انقطعت بالعالم الخارجى بسبب تعطل الاتوبيس
كما قال هذا الشاب .

وأغلق المستر برتشارد عينيه وشاهد نفسه واقفا فى طرقة
الاتوبيس ورأى نفسه يقول لباقي المسافرين « لا تقلقوا . سأعتنى
بشئونكم . سأجنبكم الوقوع فى المتاعب . فانا لم أشسب مؤسسية
تجارية كبرى دون أن تكون لدى بعض القدرات كما تعرفون
ولنحلل الموقف تحليلا منطقيا يتمشى مع العقل السليم . . اننا نحتاج
أولا الى الطعام وتوجد هنا بعض الابقار فى ذلك الحقل هناك » .
وهورتون قد قال عنه أنه لا يعرف كيف يذبح بقرة . حسنا انه

سيبين له كيف أنه يعرف ذلك . ان هورتون لم يكن يعرف أنه يوجد
مسدس في قسم خاص فوق لوحة الآلات . ولكن المستر رتشارد كان
يعرف ذلك .

وأخرج المستر برتشارد المسدس . وخرج من الاتوبيس وسار
بعيدا تجاه الحقل وتسلق سورا . وأمسك بالمسدس الكبير الاسود
في يده . لقد سبق للمستر برتشارد أن ذهب مرات كثيرة لمشاهدة
الافلام السينمائية . وبطريقة لا شعورية أحدث ذهنه انفصالا . فلم
يشاهد نفسه وهو يذبح البقرة أو يقطع أوصالها وإنما رأى نفسه وهو
يعود ثانية الى النتوء البارز ومعه كتلة ضخمة من اللحوم الحمراء
وقال « ها هو طعام لكم . ولاشعل الان نيرانا » . وأحدث انفصالا
مرة ثانية . وكانت النيران تتواهب وكانت قطعة كبيرة من اللحم معلقة
فوق عصي على اللهب .

وقالت كاميل « ولكن ما العمل ازاء الاستيلاء على ذلك الحيوان ؟
فهو ملك لشخص ما » .

وأجاب المستر برتشارد « الضرورة لها أحكام . فقانون البقاء
ياتي في المرتبة الاولى من حيث الاهمية . ولا يمكن لاي شخص أن
يتوقع مني أن أترككم تهلكون جوعا » .

وفجأة أحدث انفصالا مرة أخرى وهز رأسه وفتح عينيه وهمس
لنفسه « ابتعد عن ذلك ، يجب الابتعاد عن ذلك » . ترى أين رآها
من قبل ؟ لو استطاع فقط التحدث اليها لفترة قصيرة فانه قد يتوصل
الى حقيقة ذلك الامر . وكان يدرك أنه لم يكن خاطئا في تصوره لان
وجهها قد أعطاه احساسا راسخا في صدره . ولا بد انه لم يرها مجرد
رؤية عادية فقط وإنما قد حدث أيضا بشكل أكيد . ونظر نحو
الاتوبيس وكان بيميلز والفتاتان ما زالوا في الداخل .

فنهض واقفا على قدميه وراح يربت على مؤخرة بنطلونه كما لو
إن الورقة التي جلس عليها لم تحمه من التراب . وكان المطر يتساقط
في شكلا رذاذ خفيف بعض الشيء . وفي الغرب كانت توجد مساحات
صغيرة من السماء الزرقاء الصافية . وأصبح من المتوقع أن يصير الجو
على ما يرام . فسار الى الاتوبيس وتسلق الدرج صاعدا الى الداخل .
وكان فان برانت ممددا على المقعد الخلفي الذي يشغله الاتوبيس
بالعرض في المؤخرة . وكان يبدو على فان برانت انه نائم . وكان
بيميلز والفتاتان يتحدثون بصوت منخفض لكي لا يقلقوا نومه .
قال بيميلز « ما أريده في الزوجة هو أن تكون مخلصه » .

وقالت كاميل « وما الامر بالنسبة لك ؟ هل مستعرج على أن تكون مخلصا لها أيضا ؟ »

فقال بيميلز « أكيد . سأكون مخلصا لها إذا كانت بمثابة النموذج السليم للزوجة » .

« حسنا . ولنفرض أنها ليست كذلك ؟ »

« حسنا . عندئذ سأريها شيئا أو شيئين . سأريها أن الاثنين يمكن أن يلعبا تلك اللعبة . مثلما فعل كاري جرانب في ذلك الفيلم السينمائي » . وعلى المقعد الذي يوجد في الجانب الآخر من المجموعة كانت توجد علبة فطير شاغرة وكذلك علبة فطير أخرى قد ترك بها ربع فطيرة فقط .

وكانت الفتاتان تجلسان سويا أما بيميلز فكان يجلس بالعرض على المقعد الموجود أمامهما وقد وضع ذراعه على ظهر المقعد . ونظروا جميعا لأعلى عندما دخل المستر برتشارد الى الاتوبيس .

« أ يوجد مانع من أن أجلس معكم ؟ »

فقال بيميلز « تفضل » واستطرد « أترغب في تناول قطعة من الفطير ؟ توجد قطعة في هذا المكان بالضبط » ثم ناول القطعة للمستر برتشارد وحرك العلبتين الشاغرتين حتى يتمكن من الجلوس .

واستطردت كاميل « هل لك الان صديقة ؟ »

« حسنا . حسنا ، يمكن القول أن لي صديقة ولكنها . ولكنها حقا بشكل ما » .

« أهي مخلصه لك ؟ »

وقال بيميلز « بالتأكيد » .

« كيف تمنى لك معرفة ذلك ؟ »

« حسنا ، ليس باستطاعتي أبدا - أقصد - نعم . أنا متأكدا من إخلاصها » .

وقال المستر برتشارد في مداعبة « أظن أنك ستتزوج في وقت قريب بعض الشيء ، وأعتقد أنك ستدير عملا تجاريا لحسابك الخاص » .

وقال بيميلز « لا . لن يتم ذلك قبل مرور فترة معينة . لأنني أدرس الان بالمراسلة . فالرأدار يوفر للانسان مستقبلا عظيما . فالاجر يصل الى ٧٥ دولارا في الاسبوع . والعمل فيه مستمر طوال العام » .

« أهذا صحيح ؟ »

« أعرف أشخاصا حصلوا على تلك الدراسة • وبعثوا الى بخطابات وقالوا أنهم يحصلون على ذلك الاجر • وقد حصل أحدهم عقب مرور سنة واحدة على منصب مدير المنطقة » •

فتساءل المستر برتشارد « مدير منطقة لاية شتون ؟ »
« مدير منطقة فقط • فذلك هو ما قاله لي في خطابه • كما أن هذا مطبوع على خطابه في الجزء العلوى المخصص للعنوان الخاص به »
وكان المستر برتشارد قد أخذ يشعر بالتحسسن مرة أخرى اذ كانت هذه حالة من حالات الطموح أمامه • فعنى ذلك أن الناس جميعا لا يميلون الى التهمك والسخرية والزهد في الحياة •
وقالت كاميل « متى ستتزوج على ما تظن ؟ » •

وقال بيميلز « لم يحن الوقت المناسب لذلك بعد • فمن رأى أنه ينبغي على المرء أن يجوب العالم لبعض الوقت قبل أن يبدأ ويستقر في نطاق الحياة الزوجية • يجب على الانسان أن يقوم ببعض الاسفار • ولربما أعمل في باخرة • والانسان الذى يتعلم الرادار فإنه يتعلم اللاسلكى أيضا •

وفى تصورى أننى ربما أعمل على باخرة وأكون عامل لاسلكى لبعض الوقت » •

وتساءل المستر برتشارد « ولكن متى تنتهى من دراستك ؟ » •
« حسنا • الدروس ستبدأ فى وقت قريب بعض الشيء • وقد ملأت جميع الكوبونات وكتبت جميع الاوراق الخاصة بذلك • وأنا الآن أقتصد النقود اللازمة لكى أسدد المصاريف نقدا وبالكامل ، ولقد أجروا لى اختبارا ، وقالوا أننى على قدر كبير من الموهبة والذكاء ، وقد وصلنى منهم ثلاثة أو أربعة خطابات » •

وكان الارهاق باديا على عينى كاميل • ونظر المستر برتشارد الى وجهها • وكان يدرك أن عينيه كانت مستترة وراء نظارته • وظن أن لها وجهها جميلا اذا ما نظرت اليه عن كثب • وان كانت شفتاها فى تلك اللحظة ممثلتين للغاية ومتميزتين بالود والصدقة • كل ما هنالك أن الارهاق كان باديا فى عينيه • وراح يفكر :

انها قطعت المسافة كلها ابتداء من شيكاغو فى الاتوبيسات • ولم يكن يبدو عليها أنها قوية بالقدر الكافى • وكان باستطاعته أن يرى تدييها الممثلتين تحت ملابسها ، وكانت ملابسها مكرمشة : وكانت قد قبلت الاسورة الفرنسية لقميصها من الداخل الى الخارج لكى تكون الحواف نظيفة • فلاحظ المستر برتشارد ذلك • واعتقد أن هذا يعنى

أنها حريصة على النظافة والالاقة ، وراح يدرس بعض التفصيل الدقيقة .

وشعر أن هذه الفتاة تكاد تشبه العطر . وأحس بالاثارة والجوع وقال لنفسه أن المسألة ترجع فقط الى أن المرء نادرا ما يشاهد فتاة كهذه من حيث شدة الجاذبية والجمال . وبعدئذ سمع نفسه وهو يتكلم دون أن يعرف أنه كان يصدد التحدث .

قال « آنسة أو كس . لقد كنت أفكر في شيء خطر على ذهني . واعتقدت أنك ربما تحبين الانصات لهذه الفكرة البسيطة التي جاءتني والتي تتعلق بالعمل التجاري ، فأنا رئيس مؤسسة تجارية كبيرة للغاية . وظننت - حسنا . واني متأكد أن هذين الشخصين الصغيرين في السن سيسمحان لنا بأن نتركهما لفترة قصيرة . هذا اذا لم يكن عندك مانع من سماع أفكارى ، أيمكنك الذهاب معى الى الصخرة هناك ؟ وأنا معى بعض الجرائد لنجلس عليها » . ودهش من نفسه لقوله هذا الكلام .

وقالت كاميل لنفسها « أوه ، يا الهى . ها هى المتاعب آتية فى الطريق » .

ونزل المستر برتشارد من الاتوبيس أولا ثم ساعد كاميل فى مرعوة على النزول من الاتوبيس وأمسك بمرفقها وهى تخطو عبر الحفرة ثم أرشدها فى رفق الى الجرائد المفروشة التى سبق أن جلس عليها ارنست . وأشار بيده لها لكى تجلس .

فقال كاميل « أوه . لست أدري . لقد ظللت جالسة لفترة طويلة » .

وقال المستر برتشارد « ربما التغيير فى المكان يجعلك تشعرين بالراحة . فأنا عندما أقضى الساعات الطويلة فى العمل جالسا الى مكتبي أقوم بتغيير ارتفاع الكرسي الذى أجلس عليه كل ساعة تقريبا واكتشفت أن هذا العمل يجدد نشاطى » ، وساعدها على الجلوس على الجرائد . وغطت ركبتيها بجونلتها . وجلست محتضنة ركبتيها الى صدرها .

وجلس المستر برتشارد بجوارها . وخلع نظارته ، وقال « لقد كنت أفكر ، ان أى رجل فى مثل مركزى ينبغى عليه - كما تعرفين - أن ينظر للامام ويخطط للمستقبل . وأنا الان ، من حيث المصطلح الفنى فى أجازة » . وابتسم واستطرد « أجازة - ولست أدري على أى وجه تكون الاجازة الحقيقية » .

وابتسمت كاميل . وشعرت بالأرض جافة للغاية تحتها . ولم تعرف كم من الوقت سيستغرقه هذا الحديث .
وقال المستر برتشارد « ان المادة الخام الرئيسية لاي شركة ناجحة هي الان العنصر البشري . ولذلك فأنا دائم البحث عن العنصر البشري باستطاعة الانسان الحصول على الصلب والمطاط في أي وقت ولكنه من الصعب عليه الحصول على الازهان والمواهب والطموح والجمال » .
فقالت كاميل « اسمع يا سيدي . اننى أشعر بالتعب الى حد مخيف » .

« أعرف ذلك يا عزيزتى ، سأدخل فى الموضوع مباشرة . اننى أريد لك أن تعملى موظفة عندي . وتلك هي أبسط صيغة يمكننى أن أقولها لك » .

« وما هو نوع العمل الذى ستلحقنى به ؟ » .
« تعملين كفتاة استقبال ، وهو عمل تخصصى للغاية . وبعد ذلك يمكنك أن تصبحى - حسنا تصبحى سكرتيرة خاصة لى » .
وكان ذلك هو أقصى ما يمكن أن يقوله لكامل . ونظرت كاميل الى مدخل الكهف الذى ترقد فيه المدام برتشارد الا أنها لم تتمكن من رؤية أى شيء . « وما الذى ستقوله زوجتك ازاء ذلك الامر ؟ »
« حسنا . وما الذى يمكنها أن تفعله ازاء ذلك ؟ انها لا تدبر لى أعمالى ولا تصرف لى شئونى » .

« سيدي . اننى كما قلت لك أشعر بالإرهاق الشديد . لا داعى لان نتوصل الى اتفاق فى هذا الشأن ، فأنا أرغب فى الزواج . وربما أكون زوجة ممتازة تعيش عيشة الاستقرار مما يجنبنى القلق والمتاعب لبعض الوقت . بل وربما أكون مخلصه للرجل الذى أتزوجه » .
فقال المستر برتشارد « لا أعرف ما تهدفين اليه » .

فقالت كاميل « أنت تعرف . وأنت لن تشعر بالارتياح نحوى لاننى لا أجعل الامور تسير وفق هواك . فأنت تريد أن تكسب ودى وتتملقنى لبضعة شهور ثم تفاجئنى بإجراء غير متوقع لكى تجبرنى على ذلك الامر . ولكننى الان أكاد أكون مفلسة وأنت تقول أن زوجتك لا تدبر شئون عملك التجارى ولكنى أقول انها تفعل ذلك . انها تتصرف فى أمورك وفى عملك التجارى وفى كل شيء يتعلق بك . اننى أبذل جهودا لكى أكون لطيفة معك ولكننى أشعر بالإرهاق . ومن المحتمل أن تكون هى التى تختار لك هيئة السكرتارية الخاصة بك دون أن تدري . انها امرأة تتصف بالقسوة والصلابة » .

« اننى لا أعرف عم تتحدثين ؟ »
وقالت كاميل . « أنت تعرف . ومن الذى اشترى لك رابطة
عنقك ؟ »

« حسنا - »

« ان زوجتك ستكشف أمرى فى دقيقة واحدة ، ستكشف أمرى ،
والان دعنى أتكلم معك كلمات قليلة . انك لا تستطيع أن تطلب من
فتاة ما تريده منها بكل صراحة ، فتضطر لان تلف وتدور حول الموضوع
ولكن لا يوجد هناك سوى طريقين يا سيدى ، فأنت إما أن تقع فى
الحب والغرام وإما أن تقترح عملاً . ولو أنك قلت لى (ها هو السبيل
إليك . مبلغ كبير للغاية من أجل نفقات الشقة ومبلغ كبير مماثل من
أجل الملابس) لكنت قد توصلت الى قرار فى هذا الشأن ولكن ذلك
الاسلوب قد نجح معى . ولكنى لن أدع نفسى أأكل وأنقصرض حتى
الموت بسبب الدولارات . أتريد أن تفاجئنى بعد شهرين أو ثلاثة عقب
جلوسى الى احدى المكاتب ، لقد أصبحت كبيرة فى السن الى درجة
تجعلنى لا أرحب باللعب »

وكان ذقن المستر برتشارد شامخاً فى كبرياء واعتزاز بالنفس .
وقال « زوجتى لا تدير لى أعمالى . ولست أدري كيف حصلت على هذه
الفكرة ؟ »

فقالت كاميل « أوه ، دعك من هذه النقطة »

واستطردت « ولكننى باستطاعتى أن أثور على مجموعة من الحيات
الرقطاوات الشبيهات بزوجتك اذا لم يشعرن نحوى بالموودة والارتياح »
وقال المستر برتشارد « اننى مندهش من اتجاهاتك ، فأنا لم
أفكر مطلقاً فى أى شىء من هذا القبيل . لقد حاولت فقط أن أعرض
عليك وظيفة . ويمكنك أن توافقى أو ترفضى »

فقالت كاميل « أوه . اذا كنت تضلل نفسك وتدفع نفسك الى
الاعتقاد فى ذلك . فإله يكون فى عون أى فتاة تحصل عليها . فهى
لن تعرف مطلقاً المكان الذى تقف عليه »

فابتسم المستر برتشارد وقال « انت فقط تشعيرين بالارهاق
والتعب . وآمل عندما تحصلين على قسط من الراحة أن تفكرى فى
هذا الامر وتقولين لى وأيك »

وكان الحماس قد تخلى عن صوته وعندئذ شعرت كاميل بالارتياح
واعتقدت أنها قد ارتكبت خطأ لانه كان من السهل للغاية التعامل معه
بالشكل الذى يرضيها فهو ، لا يبدو أن يكون طفلاً رضيعاً . وكان
باستطاعة لورين أن تأخذ منه قميصه فى يوم واحد .

ورأى المستر برتشارد وجهها حينئذ بشكل مختلف اذ شاهده في وجهها الصلابة والتحدى . وما أن تم هذا عن كتب حتى رأى المكياب والطريقة التي كان موضوعا بها ، وشعر أنه عاريا أمام هذه الفتاة وتضايق لانه سمح لها أن تتحدث اليه بهذه الطريقة . وهو كان قد وضع في خطته أنه لو سارت الامور على ما يرام فانه سيتصرف على ذلك النحو ولكن المشكلة هي أنها قد عرفت مقدما خطته فكشفت الاعيبه . وكان مضطربا ومرتبكا ومن خلال اضطرابه بدأ الغضب يزحف في داخله مرة ثانية . وكان تعرضه للغضب مرتين في يوم واحد يعتبر أمرا غير طبيعي بالنسبة له . وكانت رقبتة قد بدأت تكتسى باللون الاحمر بسبب مشاعر الغضب . وكان عليه أن يتخلص من انفعالات الغضب من أجل صالحه هو . فقال في اقتضاب « ابني بكل بساطة عرضت عليك وظيفة وأنت لا تريدنها . وهو كذلك فهذا يرجع اليك . ولكن لا داعي لان تكوني مبتذلة فهناك ما يسمى بالذوق الذي تتصف به النساء » .

فظهرت الحدة في صوتها وقالت « اسمع يا ماك ان باستطاعتي أن أغلظ في القول أيضا . فسيده الاعمال هذه تفعل ذلك . اننى سأقول لك شيئا : لقد ظننت أنك رأيتنى من قبل . والان فانى أسسالك : أنت تنتمى لاية نوادى مثل : الاكتاجون الدورى أو ذى بيردز أوف ذا ورلد أو نادى توفيفتى - ترى ثاوزاند ؟ » .

فقال المستر برتشارد فى فتور « أنا عضو فى نادى الاوكتاجون » « أتذكر تلك الفتاة التى تجلس فى كأس الخمس ؟ لقد رأيت الشكل الذى تبدون عليه أيها الاولاد . وأنا لا أعرف ما تحصلون عليه من وراء ذلك ولا أريد أن أعرف . ولكنى أدرك أن ذلك ليس أمرا حسنا يا سيدى . وربما قد تعرف سيده اذا رأيت واحدة . لست أدري » .

وبدأ صوتها يتهدج قليلا . وكانت تتعرض فى الغالب لهستيريا الارهاق . فقفزت واقفة على قدميها « اننى ذاهبه الان للنزهة يا ماك ولا تحاول احداث متاعب لى لاننى أعرفك وأعرف زوجتك » .

وسارت بعيدا على وجه السرعة . وشاهدها المستر برتشارد وهى تنصرف . وكانت عيناه متسعيتين وكان صدره يروح تحت هم ثقيل وتحت نوع من الرعب الفيزيقي الذى يعتمل فى داخله الى أقصى مراحلها وشاهد جسدها الجميل وهى تتمخطر وتمايل أثناء ذهابها . ورأى ساقيهما الجميلتين وقام ذهنه بخلع ملابسها فظهرت واقفة بجانب

الكأس الضخم بينما الخمر تنساب فى جداول حمراء اللون فوق
بطنها وفخذيها وردفيها .

وكان فم المستر برتشارد مفتوحا . وكانت رقبته حمراء للغاية .
ثم أشاح بنظره بعيدا عنها وراح يفحص يديه . وأخرج مبرد أظافره
الذهبي ثم أعاده الى جيبه مرة أخرى وهبط عليه شئ من الدوار . ووقف
فى حيرة . ثم سار تحت الصرة متجها الى الكهف الصغير الذى ترقه
فيه المدام برتشارد .

وفتحت عينيها وابتسمت لدى دخوله اليها ، واضطجع المستر
برتشارد الى جوارها بسرعة وجذب معطفها لاعلى وزحف تحته .
فقالت « يبدو عليك الارهاق يا عزيزى اليوت » ماذا تفعل ؟

اليوت !! »

وقال « اخرسى ، أسمعيني ؟ اخرسى . أنت زوجتى . أليس
كذلك ؟ ألا يكون للزوج أية حقوق على زوجته ؟ » .

« اليوت . أنت مجنون . سيراك - سيراك أى شخص » .
وقاومته فى هلع ورعب وقالت « اننى لا أعرف » واستطردت
« اليوت . انك تمزق ردائى » .

« لقد اشتريته . أليس كذلك ؟ لقد سئمت من أن أعامل كأننى

قط مريض » .

وراحت برئيس تبكى بهدوء فى خوف ورعب . وعندما تركها
أخذت تبكى ووجهها ملقى فى استرخاء على معطف الفراء الخاص بها .
وتدريجيا توقف بكائها ثم جلست ونظرت الى الخارج من خلال فتحة
الكهف . وكانت عيناها متوحشتين . ثم رفعت يديها ووضعت أظافرها
على خدها وجذبت الاظافر لاسفل مرة واحدة على سبيل التجربة ثم
عضت شفتها السفلى ونزلت بأظافرها لاسفل محدثة خدوشا وقطوعا .
وشعرت بالدماء تنساب فى بطنها من الاجزاء المخدوشة فمدت يدها
ولوثتها فوق أرضية الكهف ثم حكّت التراب فى خدها النازف بالدماء
فانسابت الدماء لاسفل عبر التراب وهبطت الى أسفل ذقنها حتى
وصلت الى الجزء الاعلى من ردائها .

الفصل الثامن عشر

وخرج كل من ميلدريد وجوان من الاسطبل . وقالت ميلدريد
« انظر ! لقد توقف المطر . وانظر الى الشمس فوق الجبال . سيصبح
الجو جميلا » .

فابتسم جوان .

وقالت ميلدريد « اننى كما تعرف أشعر اننى رائعة . . . أشعر
اننى فى قمة السعادة » .

وقال جوان « أكيد » .

« أتشعر بأنك رائع الى الحد الذى يجعلك تمسك لى مرأتى ؟ فانا
لا أستطيع أن أرى ما بداخلها هناك »

وأخرجت مرآة صغيرة مستديرة من حقيبة يدها وقالت :

« هنا . لا . أعلى من ذلك قليلا » ومشطت شعرها على وجه
السرعة . وربت بالبودرة فى رفق على خديها ووضعت أحمر الشفاه
وحملت عن كذب للغاية فى المرآة لأنها كانت ترى على مسافة قصيرة
للغاية « أظن أننى ثرثرة بشكل لا يتناسب معى كفتاة غير عذراء ؟ »
فقال « أنت على ما يرام . وأنا معجب بك » .

« مجرد اعجاب فقط ، ولا شيء أكثر من ذلك ؟ » .

« أتريدن منى أن أكذب عليك ؟ » .

فضحكت « أظن أننى أريد ذلك بعض الشيء . لا ... لا أريد ذلك
هل تريد أن تأخذنى معك الى المكسيك ؟ » .
« لا » .

« وهذه هى نهاية المطاف إذن ؟ ألا يوجد هناك أى شيء آخر ؟ » .

فسألها جوان « وكيف لى أن أعرف ؟ »

وأعادت المرآة وأحمر الشفاه الى حقيبة يدها ونعمت أسعد الشفاه
على شفتيها بوضع شفة فوق أخرى . ثم قالت « نظف معطفى من
القش . ممكن ؟ » .

واستدارت . وراح جوان ينظف معطفها بيده . واستطردت قائلة
« لان الذى ووالدتى لا يعرفان شيئا عن هذه الامور . فانا واثقة من
أنهما ينظران الى على أننى غير مدنسة وطاهرة تماما . لقد غرست أسمى
بذرتى . غرست بصلة من أجود الانواع قبل أن يجرى الثلج ثم هالت
على التربة والرمال والسماد » . وكانت تشعر بالدوار . « ألا نستطيع
الذهاب الى المكسيك ؟ وما الذى سنفعله الان ؟ » .

« سأعود وأخرج الاتوبيس من وهدته وأقوده الى سان جوان » ثم سار نحو بوابة الاسطبل القديم .

« أباستطاعتي أن أمسك بيدك لبعض الوقت فقط ؟ »

فنظر جوان الى يده ذات الاصبع المبتور فى جزئه الاعلى وبدأ يتحرك الى الجانب الاخر ليعطيها يده الكاملة .

فقالت « لا . أننى أحب تلك اليد الاخرى » ثم أمسكت يده وراحت تحك اصبعها فوق الجلد الناعم للمكان المبتور .

فقال « لا تفعل ذلك . لان هذا يثير أعصابى »

فأمسكت يده فى احكام وقالت « لا داعى لان أضع نظارتى على عيني »

وكانت سلاسل الجبال الواقعة الى الشرق منهما ساطعة وذهبية مع غروب الشمس . واستدار كل من جوان وميلدريد نحو اليمين وبدأ فى الصعود الى أعلى التل فى اتجاه الاتوبيس .

« أستقول لى شيئا كأجر - حسنا كأجر لى على ارتكاب الخطيئة معك ؟ »

فضحك جوان « وماذا تريدان ؟ »

« لماذا اتجهت الى هنا ؟ أظننت أننى كنت سأجيبك وراءك الى هنا ؟ »

فسألها جوان « أتريدان أن أذكر لك الحقيقة أم تريدان مجرد المداعبة واللعب ؟ »

« حسنا . أريد كلا الامرين . ولكن لا . أظن أننى أريد الحقيقة أولا »

فقال جوان « حسنا . لقد كنت فى طريقى للهروب . كنت بصدد شق طريقى عائدا الى المكسيك وأختفى نهائيا . وأترك المسافرين يهتمون بشئون أنفسهم »

« أوه . ولماذا لم تفعل ذلك ؟ »

فقال « لست أدري . لقد سارت الامور بطريقة غير مستحبة . فعذراء جود اليوت أوقعتنى فى الحفرة . ولكنى أعتقد أننى خدعتها . وهى بالطبع لا تحب الخداع . فأماتت الحماس اللازم لتنفيذ فكرتى »

وقالت له فى جد « انك لا تعتقد فى ذلك . وأنا أيضا لا أعتقد فى ذلك القول ، فما هو اذن السبب الحقيقى ؟ »

« السبب الحقيقى لاي شيء ؟ »

« السبب الحقيقى فى مجيئك الى ذلك المكان القديم ؟ »

فاستمر جوان فى المسير وانفرج وجهه عن ابتسامة مشرقة فأبعدت

الندبة الغائرة فوق شفته الابتسامة عن مركزها • ونظر لاسفل اليها
وكانت عيناه السوداوان دافئتين • « لقد جئت الى هنا على أمل أن
تخرجني للنزهة • وخطر على ذهني أنني قد أتمكن من التوصل اليك
والفوز بك » •

فلفت ذراعها حول ذراعه • وجذبتا بشدة على كم جاكته • وقالت
« انني أتمنى استمرار ذلك الامر لفترة أطول قليلا • ولكنني أعرف أن
ذلك لن يحدث • مع السلامة يا جوان » •
فقال « مع السلامة » • وسارا في بضع عائدتين تجاه الاتوبيس •

الفصل التاسع عشر

كان فان برانت يرقد ممددا على المقعد الخلفى للاتوبيس . كانت عيناه مغلقتين ولكنه لم يكن نائما . وكانت رأسه مستندة على ذراعه الايمن . وتسبب ثقل رأسه فى منع سريان الدماء الى يده اليمنى سريانا كاملا .

وعندما غادر المستر برتشارد وكاميل الاتوبيس ظل بيميلز ونورما صامتين لبعض الوقت .

وانصت فان برانت الى الكهولة وهى تزحف فى أوردته . وكان باستطاعته أن يحس بحفيف الدماء فى شرايينه الدقيقة كالورق كما كان باستطاعته سماع قلبه الذى يدق فى صفير حاد قصير . وكانت يده اليمنى على وشك التتميل والتخدير ولكن يده اليسرى هى التى سببت له الضيق والمتاعب اذ لم يكن بها قدر وفير من الاحساس . اذ كانت بشرة يده اليسرى خالية من الاحساس كما لو كانت مصنوعة من المطاط السميك . وهو كان يدرك يداه عندما يكون وحيدا لكن يعيد اليها الدورة الدموية وكان يعرف حقيقة أمره ولكنه لم يذكر ذلك صراحة لنفسه الا فيما ندر .

وهو منذ شهور قليلة أغمى عليه لفترة قصيرة فقط . وقام الطبيب بفحاسب ضغط الدم وأخبره أن يأخذ الامور ببساطة كما طمأنه وأوضح له أنه سيتحسن ويصبح على ما يرام . ومنذ أسبوعين فقط حدث له شيء آخر . اذ كان هناك وميض كهربائى فى رأسه خلف عينيه عبارة عن احساس شبيه بضوء قوى أزرق فاتح يخطف بالابصار بشكل مريع استمر لثانية واحدة فقط فأدى هذا الى فقد قدرته على القراءة . الا أن هذا لم يؤد الى فقد الرؤية تماما . اذ كان يرى بوضوح بالقدر الكافى ولكن الكلمات فوق أى صفحة من الورق كانت تسبح وتجرى مع بعضها البعض وتتلوى كالثعابين مما أدى الى تعذر متابعتها وفهم معناها .

وكان يدرك تماما أنه قد تعرض لهجومين صاعدين فجائيين من المرض . ولكن ذلك كان سرا لم يبع به لزوجته وهى نفسها كانت تعرف عنه ذلك السر وأخفته عنه والطبيب عرف ذلك وأخفاه عن كليهما وانتظر . انتظر حدوث هجوم آخر . وكان يدرك أن الهجوم الجسدي

سيحدث وميضاً في ذهنه وميضاً يسرى في أرجاء جسده مما قد يؤدي إلى قتله أو تخدير جميع احساساته . وكان يدرك أن ذلك الأمر قد حوله إلى شخص حاد المزاج وساخط وغاضب من كل شخص . وتزاحم في حلقه الغضب الفيزيقي من جميع الأشخاص المتواجدين حوله . وجرب جميع النظارات التي يمكن الاستعانة بها فاستخدم نظارة مكبرة لدى قراءته للصحف والمجلات لأنه هو نفسه كان يحاول بنصف ذهنه إخفاء حالته الصحية عن نفسه بحيث تظل سرا . وأصبحت ثورات غضبه تتفجر عنه بطريقة فجائية ودون سابق انذار . ولكن الرعب الحقيقي بالنسبة له هو أنه أصبح يصيح في عويل وصراخ دون أن يتمكن من التوقف وكبح جماح نفسه .

ومنذ وقت قريب استيقظ في الصباح الباكر وقال لنفسه « ولماذا ينبغي علي انتظار حدوث ذلك ؟ » .

لقد مات والده بسبب نفس الشيء ولكنه قبل أن يموت ظل طريح الفراش مثل الدودة الرمادية التي لا حول لها ولا قوة لمدة ٢١ شهراً حتى أنه أنفق جميع الأموال التي اقتصدها لمواجهة شـيـخـوخـته على روستات الأطباء . وكان فإن برانت يدرك أنه لو حدث له نفس الشيء فإن رصيده في البنك الذي يصل إلى ٨٠٠٠ دولار سيذهب أدراج الرياح بحيث لا يتبقى شيء لزوجته عقب دفنه ومواراته التراب .

وبمجرد أن فتحت مخازن الأدوية أبوابها في ذلك اليوم ذهب إلى صديقه ميلتون بوستن صاحب مخزن أدوية بوستن .

وقال « أريد أن أقدم السم لبعض حيوانات السنجاب يا ميلتون . اعطني قليلاً من مادة السيانييد السامة . ممكن ؟ » .

فقال ميلتون « إنها مادة خطيرة للغاية . وأنا لا أحب بيعها . ويمكنني أن أعطيك شيئاً من مادة الانستركنين السامة . فهي تقسم بنفس المهمة » .

فقال فإن برانت « لا » واستطرد « لقد حصلت على نشرة حكومية بها صيغة جديدة تروج للسيانييد » .

فقال ميلتون « حسناً . وهو كذلك . وسيكون عليك أن توقع في دفتر السموم بالطبع . ولكن يجب عليك الاحتراس من تلك المادة يا فإن . احترس منها . ولا تتركها فيما حورك » .

لقد كانا صديقين حميمين لسنوات عديدة . وقد التحقا بالمحفل الأزرق Blue lodge سوياً ونفذا إلى المناصب العليا ومع تعاقب السنين شغلا منصب المعلم المقدس الموقر لمحفل سان يسيدرو . وبعدئذ

صعد ميلتون الى الرويال آرش Royal Arch والى الاسكوتش رايت
Scottish Rite أما فان برانت لم يتخط الدرجة الثانية .

ولكنهما ظلا صديقين .

« ما هي الكمية التي تريدها من هذه المادة ؟ »

« حوالى أوقية فيما أظن »

« هذه كمية كبيرة للغاية . يا فان » .

« سأعيد اليك الجزء الذي لا أستخذه » .

وشعر ميلتون بالخوف والارتعاد . وقال « لا تلمس هذه المادة

بيديك على الإطلاق . ممكن ؟ » .

فقال فان برانت « أعرف كيفية استخدامها » .

ثم ذهب الى غرفة مكتبه في بدروم منزله ووخز ظهر يده
بمطواة جيب حادة . وعندما خرجت كمية ضئيلة من الدماء فتش
الانبوبة الزجاجية المحتوية على البلورات الكريستال ، وعندئذ توقف
لم يستطع أن يفعل ذلك . لم يستطع أن يغمس الكريستال في الجرح
وبعد ساعة أخذ الانبوبة الى البنك ووضعها في صندوق الودائع
الخاص به الى جوار وصيته وبوليصات التأمين الخاصة به . وفكر في
شراء أنبوبة صغيرة ليضعها حول عنقه ، بحيث اذا جاءته النوبة
يضعها في فمه مثلما فعل أولئك الناس في أوربا . ولكنه لم يستطع
أن يأخذها في هذه الرحلة . فربما لا تجيء له النوبة الكبرى .

وكانت هناك أثقال من اليأس ومشاعر الاحباط في داخله
كما كانت هناك موجات من الغضب في أعماقه . فجميع الناس المحيطين
به الذين لم يكونوا في طريقهم الى الموت كانوا يثيرون غضبه . وشيء
آخر كان يضايقه . فقد أزعجت نوبة المرض الفجائي النقاب عن إحدى
المنوعات عنده . اذ أخذ يشعر فجأة مرة أخرى برغبات قوية وراح
ينجذب انجذابا لاهثا نحو النساء بل ونحو الفتيات المراهقات .
وأصبح لا يستطيع أن يمنع عينيه وفكره عنهن . وفي ذروة رغباته
المريضة قد انفجر باكيا بالدموع . وكان يشعر بخوف مثل خوف
طفل من منزل غريب غير مألوف له .

وكان كبيرا في السن على نحو لا يسمح له بالتوافق مع التغيرات
التي حدثت في شخصيته عقب نوبة المرض وما نتج عن ذلك من طبيعة
جديدة له . وهو لم يتنبأ له مطلقا أن كان قارئاً جيداً . ولكن ما أن
أصبح غير قادر على القراءة حتى أخذ يشعر بالرغبة الشديدة في القراءة
وأصبح مزاجه أكثر حدة وعنفاً طوال الوقت حتى أن الناس الذين

عرفوه لسنوات طويلة بدأوا يتجنبونه ويتخلون عنه . .
 وأنصت للوقت وهو يمر في شرايينه . وأراد للمسوت أن يجيب .
 ولكنه كان خائفا من الموت في نفس الوقت . ومن خلال عينيه شبه
 المغلقتين شاهد الضوء الذهبي لغروب الشمس يدخل الى الاتوبيس .
 فتحركت شفتاه قليلا وقال « المساء . المساء . المساء » وجاءت الكلمة
 جميلة للغاية . وكان باستطاعته سماع الصغير في قلبه . وهبطت عليه
 مشاعر عارمة منتفخة في صدره ومتورمة في حلقه ونابضة في رأسه
 وتراءى له أنه سيصبح في صراخ وعويل مرة ثانية . وحاول أن يقبض
 يده اليمنى ولكنها كانت نائمة ولم تنقبض .
 وبعدئذ صار متخشباً متصلباً بفعل التوتر . وبدأ جسده ممدداً
 مثل قفاز من المطاط مملوء بالهواء . وتوهج ضوء المساء في داخله .
 وفي مؤخرة عينيه جاء وميض مخيف مرفوف . وشعر بنفسه يتشقلب
 ويتشقلب نحو ألوان رمادية ونحو ظلام وفي سواد وفي سواد . .
 ولامست الشمس التلال الغربية وبسطت نفسها . وكان ضوءها
 أصفر وصافياً . وكان الوادي المشبع بالماء مثاقفا تحت الضوء
 المنبسط . وكان الهواء النظيف المغسول هشا . وفي الحقول أحكمت
 الغلال المنبسطة وجذوع أشجار الشوفان البرية الفاقدة الحركة وثاق
 نفسها . وارتخت أوراق الخشاش الذهبية الداخلة في غمدها بعض
 الشيء . وكان النهر الأصفر يغلي ويلف ويدور في شكل دوامة ويقطع
 جسوره في شر مستطير وعنق شديد . وفي المقعد الخلفي للاتوبيس
 كان فان برانت يشخر بصوت خشن فوق سقف فمه . وكانت جبهته
 مبللة وكان فمه مفتوحاً . وكذلك كانت عيناه .

الفصل العشرون

وانتقل بيميلز الى المقعد الموجود بجوار نورما . فجمعت جوثلتها حولها بطريقة مهذبة وانزلت قليلا الى جوار النافذة .
وسألها فى شىء من الشك . « ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من تلك الفتاة على ما تظنين ؟ » . وقالت نورما « لا أدرى . ولكنى أقول لك شيئا واحدا . انها تستطيع التعامل معه بلباقة . فهى فتاة رائعة »
وقال بيميلز « أوه . لا أعرف ذلك ، فهناك أخريات رائعات » .
فسرى الغضب فى داخل نورما وقالت له فى سخرية :
« مثل من ؟ »

وقال بيميلز « مثلك » .
فقلت « أوه » ولم تكن تتوقع سماع هذا القول . ونكست رأسها وحملت فى أصابعها المزدانة محاولة استعادة توازنها .
وقال بيميلز « ما هو السبب فى ذهابك وتركك العمل » .
« حسنا . كانت المدام شيكوى غير لطيفة معى » .
« أعرف ذلك . فهى غير لطيفة مع أى شخص ، ولكنى أود الا تتركى العمل ، فربما نتمكن من مواجهة الحياة سويا » .
فالتزمت نورما بالصمت . وقال بيميلز « أنا تحت أمرك . اذا كنت تريدین طعاما سأخرج لك واحدة من فطائر الزبيب . فهى لذيذة الطعم » .

« لا . لا . شكرا . لا أستطيع تناول أى شىء » .
« أنت مريضة ؟ »
« لا » .

« حسنا . لو أنك عدت الى العمل فى الكورنرز فلربما نستطيع الذهاب الى سان سيدرو فى أيام السبت ليلا ونرقص سويا وأشياء من هذا القبيل » .

فقلت « أنت لم تفكر فى هذا الامر من قبل » .
« لائنى كنت أعتقد أنك غير معجبة بى » .
وكانت قد أصبحت آنثذ على قدر من النحاء والمكر . وكانت هذه لعبة ممتعة . فقلت له « وما الذى يجعلك تظن أننى معجبة بك الآن ؟ » .

« حسنا . أنت الان مختلفة عن ذى قبل . طراً عليك نوع من التغيير . اننى أحب تسريحة شعرك الجديدة » .
فقالت « أوه . تلك ، حسنا . لا يوجد هناك أى داع لان أعود ثانية الى صالة الطعام . فمن ذا الذى سيرانى هناك ؟ » .
فقال بيميلز فى شهامة ومروءة « أنا الذى سأراك ، ارجعى الى العمل . فهم سيعطونك وظيفتك مرة أخرى . وأنا أضمن لك ذلك »
فهزت رأسها « لا . عندما أترك العمل فأنا أترك العمل . لا رجعة فى ذلك . لن أركع على ركبتى وأعود اليهم . الى جانب ذلك فالمستقبل أمامى . فنحن قد وضعنا خططا » .
« وما هى هذه الخطط ؟ » .

ولم تدبر نورما ما اذا كان عليها أن تخبره . فالتحدث فى مثل هذه الامور يجلب فى بعض الاحيان الحظ السيئ . ولكنها لم تستطع كتمان السر فى داخلها « اننا سنحصل على شقة صغيرة بها كنبه كبيرة من النوع الذى يتحول الى سرير فى حالة الضرورة . وبها راديو ، وسيكون لدينا موقد وثلاجة . كذلك سألتحق بالدراسة لكن أصبح ممرضة فى طب الاسنان » . وكانت عيناها لامعتين .
« من الذين تقصدينهم بكلمة (نحن) ؟ » .

« أقصد بكلمة نحن : أنا والانسة كاميل أو كس . عندما أصبح ممرضة للاسنان سيكون باستطاعتى أن أرتدى الثياب الجميلة وسأذهب الى العروض السينمائية وغيرها من العروض الأخرى وربما نتناول العشاء فى الخارج من وقت لآخر » .
فقال بيميلز « كلام فارغ . لن تفعل ذلك أبدا » .
« وما الذى يجعلك تقول ذلك ؟ » .

« لن تفعل ذلك . وهذا هو كل ما فى الامر . والان . لماذا لا تعودين الى الكورنوز ؟ اننى أقوم بدراسة الرادار وسوف أخرج سويا فى بعض الاحيان ومن يدري فربما يرتبط مصيرنا ببعض . ولكنك تأخذين فتاه - وهذه الفتاة على وشك أن تتزوج . أما أنا فشباب صغير . وانه - وانه لمن المناسب للشباب الصغير أن تكون له زوجة . فذلك يعطى له نوعا من الطموح » .

فنظرت نورما فى وجهه نظرة مستفيضة مليئة بالتساؤل والاستفسار لترى ما اذا كان يهزأ بها . وكان هناك شئ مباشر فى نظرتها مما جعل بيميلز يحرف المعنى المستتر وراء نظرتها . فنظر بعيدا عنها فى خجل وارتباك .

وقال في مرارة « أعرف • أنت تظنين أنك لا تستطيعين الذهاب للنزهة مع شباب تعلو وجهه هذه الاشياء • لقد فعلت المستحيل • وانفقت ما يزيد على خمسمائة دولار في الذهاب للأطباء وشراء الادوية من مخازن الادوية • ولكن كل ذلك لم ينفع • وقال لي أحد الأطباء أن هذه البثور لن تدوم طويلا • وقال أنها ستتلاشى في خلال عامين آخرين ولكني لا أعرف ما اذا كان هذا القول سيمتحقق • واستطرد في وحشية « اذهبي الى سبيلك واحصلي على شقتك المعلقة • وربما أحصل أنا على متع في الحياة لم تسمعي عنها من قبل • ولست ملزما بسماع الكلام الفاضى من أى شخص وتصديقه » وكان صوته بائسا للغاية ، وحملني لاسفل نحو حجره •

ونظرت نورما اليه في دهشة ، فهي لم يسبق لها أن عرفت هذا النوع من الألم الدنيء في أى شخص آخر باستثناء ذاتها • حيث لم يسبق لاحد أن كان بحاجة لنورما من أجل الحنان أو إعادة توكيد الذات • فانفجرت في داخلها فقايق من الدفء ونوع من الامتنان والتقدير •

وقالت « لا تفكر على ذلك النحو • لا يجب عليك أن تفكر بهذه الطريقة • لان أية فتاة اذا اهتمت بأمرك لن تفكر مثل ذلك التفكير • والطبيب الذى قال لك أن البثور ستتلاشى يعرف تماما ما يقوله • كما أننى سبق لي أن عرفت ثلاثة آخرين كانوا يعانون من البثور وتلاشت هذه البثور بعد فترة قصيرة » •

وظل بيميلز منكسا رأسه • كان البؤس لا يزال في داخله • ولكن كان الشيطان يتحرك في داخله في نفس الوقت • وأحس أن كفة الميزان تميل الى داخله فبدأ يستغل الموقف • وكان ذلك الامر جديدا عليه • كان بمثابة اكتشاف جديد • وهو دائما ما كان يتحدث في عنف وحرية مع الفتيات في شيء من التباهى والتفاخر وكان ذلك أمرا سهلا للغاية وبدأ شيطان خبيث يعمل في داخله •

وقال « حسنا ، انها تظهر فقط ولا يستطيع الانسان تحملها • بل اننى في بعض الاحيان أعتقد أننى سأقتل نفسى » وأرغم نفسه على التظاهر بالبكاء مع شيء من التنهيد •

فقالت نورما « والان • لا تقل هذا الكلام » • وكانت هذه مهمة جديدة بالنسبة لها أيضا ولكنها مهمة متناسب معها ربما بشكل أفضل من أى انسان آخر •

وقال بيميلز « لا أحد يحبني » واستطرد « لا أحد يشغل باله من
أجلي » .

وكررت نورما قولها « لا تقل مثل هذا الكلام » فهذه ليست حقيقة
فأنا معجبة بك دائما » .

« لا » أنت لم تشعري نحوى بالاعجاب أبدا » .

« أؤكد لك ذلك » . ثم وضعت يدها على ذراعه لتؤكد ذلك المعنى

وفي اندفاع أعمى ارتفع بهامته لاعلى وضغط بيده على ذراعها .

وأمسكت ذراعه ذراعها واعتصر أصابعها فتراجعت للخلف تلقائيا .

واستدار في مقعده ولف ذراعيه حولها ودفع بوجهه الى وجهها .

فصاحت « لا تفعل ذلك » كف عن ذلك !! »

فأمسك بها في مزيد من الاحكام .

وقالت « توقف عن ذلك » كف عن ذلك ، فذلك الرجل العجوز

موجود في الخلف هناك » فهمس بيميلز قائلا :

« استمعي الى شيخير ذلك الرجل العجوز ابن الحرام ، ان شيخيره

يدق أذنه . هيا تعالى . تعالى » .

وحشرت مرفقيها على صدره لكي تباعد بينها وبينه . وبدأت يدها

تجذبان بشدة جونلتها فهمست قائلة :

« توقف . . عليك فقط بالتوقف » . وأدركت أثبتة أنها وقعت في

حيله والأعيبه . « كف عن ذلك » دعني أخرج من هنا » .

فقال لها في حماس مجنون « هيا تعالى . أرجوك . هيا تعالى »

وكانت عيناه متوهجتين ولامعتين . وكان يصارع مع جونلتها .

« كف عن ذلك ، أرجوك أن تكف عن ذلك ، ولنفرض أن كاميل

جاءت ودخلت الاتوبيس ؟ ولنفرض أنها رأت هذه الامور التي تفعلها »

فزالت الغيوم عن عيني بيميلز لبعض الوقت . ونظر اليها والشرر

يتطاير منه « ولنفرض أنها رأتنا . فما الذي يهمك اذا رأتنا هذه

الفتاة الافاقة الملعونة ؟ » . وهنا انفرج فم نورما واسترخت عضلاتها

ونظرت اليه في غير تصديق وكأنها لم تسمع ما قاله . وبعدئذ جاءها

الغضب باردا وفتاكا . وتصلبت عضلاتها الناشئة بسبب العمل في

شيء من التوتر وجذبت يدها بشدة وخلصتها منه وضربتته على فمه ثم

قفزت ناهضة على قدميها وهبطت عليه بجماعي يديها . انفزع للغاية

وغطى وجهه بيديه ليحمي نفسه .

وكانت تصرخ غاضبة في وجهه كالقطة المعتسوة وقالت « أنت

ثعلب مأكرا ! » واستطردت « أوه . أيها الثعلب القذر الصغير ! »

وراحت تركله وتدفعه الى الخارج نحو طرقة الاتوبيس . ثم خرجت الى الطرقة ومنها الى خارج الاتوبيس . وتشسابت أقدامه في دعائم المقاعد وحاول أن يتدحرج . وهبط على نورما الاعياء والتعب والمرض . وكانت شفتها ترتعدان . وكان عيناها تسيل بالدموع . وصاحت « أوه . الثعلب القذر . الثعلب القذر الذى تشمئز منه النفس » .

وعبرت الحفرة وألقت بنفسها على العشب ووضعت رأسها لاسفل بين ذراعيها . ونهض بيميلز على قدميه ونظر خلسة من نافذة الاتوبيس الى الخارج . وتملكته الحيرة ولم يدري ماذا يفعل .

وكانت كاميل تسير ببطء عائدة على الطريق فشاهدت نورما مستلقية على العشب وقد أطرقت برأسها لاسفل فخطت عبر الحفرة وانحنى عليها « ماذا حدث ؟ هل وقعت على الارض ؟ وماذا دهاك ؟ »

فرفعت نورما وجهها الملىء بالدموع وقالت « اننى على ما يرام » فقالت لها كاميل فى اقتضاب « انهضى . انهضى من فوق ذلك العشب المبلل » وانحنى لاسفل وحركت نورما الى أن وقعت على قدميها وسارت بها الى المكان الموجود تحت الصخرة وأجلستها على الجرائد المطوية « والان قولى بحق الجحيم ماذا حدث لك ؟ »

فمسحت نورما وجهها المبلل بالدموع بكما وأتلقت بذلك آخر جزء من أحمر الشفاه وقالت « لا أريد التحدث فى ذلك الامر » فقالت كاميل « حسنا . ذلك يرجع اليك فهذه مسألة خاصة بك » .

« انه ذلك الولد بيميلز . لقد أمسك بى » .

« حسنا ، أليس باستطاعتك حماية نفسك ؟ أكان عليك أن تجذبى نفسك جذبة قوية لاسفل ؟ »

« لم يكن ذلك هو السبب » .

« حسنا . وما هو السبب إذن ؟ » ولم تكن كاميل فى الحقيقة تشعر بالشغف والاهتمام . اذ كان لديها ما يكفيها من متاعبها ومشاعلها الخاصة بها .

ومسحت نورما عينيها الحمرتين بأصابعها وقالت : « لقد ضربته . ضربته لانه قال عنك انك أفاقة » .

فأشاحت كاميل بنظرها بعيدا على وجه السرعة وحملت عبر الوادى بينما كان آخر جزء من قرص الشمس يختفى خلف الجبال ثم دلت خلفها بيدها . وكانت عيناها كئيبتين ولكنها أرغمتها على الحيوية وعلى الابتسام وأعطت الابتسامة لنورما .

وقالت « اسمعى . يا أختاه . سيكون عليك فقط أن تصدقنى

هذا الى أن تكتشفى بنفسك حقيقة هامة وهى أن كل شخص يكون
افاقا فى مرحلة ما من مراحل حياته • كل شخص بدون استثناء •
وأسوأ الافاقين على الإطلاق هم أولئك الذين يطلقون على الصياغة اسما
آخر •

« ولكنك لست أفاقا • »

فقالت كاميل « أتركى ذلك الامر • واستطردت « أتركى ذلك
الامر الان • هيا بنا • فلنحاول أن نفعل شيئا مع وجهك • وصحيح
أن وضع أحمر الشفاه من جديد لن يكون جميلا مثلما يتم فى الحمام
ولكنه أفضل من لا شيء • »

وفتحت كاميل حقيبة يدها وراحت تبحث بعجد فى داخلها
واستخرجت مشطا •

الفصل الحادى والعشرون

وأسرع جوان الخطى حتى أن ميلدريد وجدت مشقة فى السير بمحاذاة • فسألته « اينبغى علينا أن نجرى ؟ » •
« من السهل علينا كثيرا اخراج الاتوبيس من وحدته اذا كان ضوء النهار ما زال موجودا • فذلك أفضل من التعثر فى الظلام » •
وهرولت على الطريق بجانبه « أتظن أن باستطاعتك اخراجه ؟ »
« نعم » •
« حسنا • اذن لماذا لم تفعل ذلك فى بادىء الامر بدلا من السير بعيدا ؟ »
فأبطأ من خطواته للحظة وقال « لقد أخبرتك ، أخبرتك مرتين »
« أوه • نعم • اذن فأنت كنت تقصد ذلك حقا » •
وقال جوان « اننى فى الحقيقة أقصد كل شيء » •
ووصلا الى الاتوبيس بعد أن انزلت الشمس تحت سلسلة الجبال ولكن السحب العليا كانت مضاءة بلون وردى وكانت تلقى شفافية وردية فوق الاراضى والتلال •
وتحرك بيميلز فى خفية خارجا من خلف الاتوبيس عندما اقترب جوان • وكان يبدو عليه نوع من الانكماش العدائى • وسأل بيميلز « متى سيحينون اليك لنجدتنا ؟ » •
فقال جوان فى اقتضاب « لم أستطع احضار أى شخص »
واستطرد « سيكون علينا أن نفعل ذلك الامر بأنفسنا •
سنحتاج للمساعدة • أين بحق الجحيم جميع الاشخاص الموجودين معنا ؟ » •
فقال بيميلز « انهم مبثرون هنا وهناك » •
« حسنا • أخرج القماش المشمع »
« لقد أخذته تلك السيدة المستلقية هنالك » •
« حسنا • أيقظها • وأنا أريدك أن تبحث عن بعض الصخور والحجارة وتحضرها الى هنا كما أريد ألواح خشبية سميكة أو بعض الأعمدة وقد نضطر الى هدم جانب من السور • ولكن يجب المفتوح ودفع اللسان له أسفل وإلى الامام • ثم صاح « بيميلز !! »

فانفرج فم بيميلز متدليا وارتخت كتفاه . .
« انك قلت »

استدعى جميع الرجال لاننى سأحتاج للمساعدة .
وسأحضر أنا الرافعة الضخمة من تحت المقعد الخلفى .
وتسلق جوان صاعدا الى الاتوبيس . وكان الجو مظلم بعض الشيء
فى الاتوبيس آنئذ . وشاهد فان برانت مستلقيا على المقعد الخلفى
فقال له « عليك بالتحرك حتى أستطيع استخراج الآلة الرافعة » .
وفجأة انحنى جوان عن كثر . كانت عينا الرجل العجوز مفتوحتين
ومتدحرجتين . وكان ينبعث من فمه شخير منتظم كما كان هناك لعاب
حول زاويتي فمه . فقلبه جوان على ظهره فسقط لسانه فى حلقه مما
أدى الى انسداد حركة الشهيق عنده . فادخل جوان أصابعه فى الفم
المفتوح ودفع اللسان الى أسفل وإلى الامام . ثم صراح . بيميلز !!
بيميلز !! وراح يطرق بيده الشاغرة فوق النافذة مستخدما خاتم
زواجه المصنوع من الذهب . فصعد بيميلز الى الاتوبيس .
« هذا الرجل مريض . ياللهول . استدعى الناس لكى يقدموا
العون والمساعدة . انفخ فى البوق » .

وكان المستر برتشارد هو الذى اضطلع برعاية فان برانت . وكان
يكره ذلك الامر الا أنه اضطر للقيام به . وقطع جوان قطعة صغيرة من
الخشب وأوضح للمستر برتشارد الطريقة التى يبقئ بها اللسان
لاسفل بحيث يحشر هذا الوتد بين سقف الفم واللسان حتى يتمكن
الرجل العجوز من التنفس . وأثار منظر الرجل العجوز اشمئزاز
المستر برتشارد ونفوره بل وأصيب بالغثيان بسبب الرائحة الحمضية
المرة التى تنبعث من الصدر الذى يعتمل بالتنفس . ولكنه كان عليه أن
يقوم بذلك العمل . ولم تكن لديه الرغبة فى التفكير فى أى شيء . كان
ذهنه يرغب فى التوقف . ودخلت زوجته الى الاتوبيس وراته فاتخذت
لنفسها المقعد الاول خلف الباب بحيث تكون على أبعد مسافة ممكنة منه .
واستطاع أن يرى حتى تحت ضوء الغسق الخسوف والدماء الموجودة
فوق ياقتها . ولم تتحدث اليه .

وقال فى ذهنه « لا بد أننى قد أضيت بالخيل والجنون . اننى لا
أدرى كيف فعلت ذلك . ألا يمكنك يا عزيزتى أن تتصورى أننى كنت
فقط مريضا وخارجا عن صوابى ؟ » وقال فى ذهنه أنه سيقدم لها بيت
الاركاديا الصغير . ولكنه لن يكون مثل البيوت الصغيرة وإنما سيشيد

لها أجمل بيت أركاديا يمكن أن تشتريه النقود . ولكنه لن يستطيع ذكر ذلك لفترة طويلة . سيكون عليهم الاستمرار في رحلة المكسيك وهي قد تكون رحلة مرعبة ولكن سيكون عليهم الاستمرار فيها . ويأتري كم من الوقت سينقضي قبل أن تمنحني تلك النظرة من عينيها ويزول التأنيب والشعور بوقوع الأذى عليها وتتلأشى اتهاماتها له ؟ كان يدرك أنها ربما لا تتكلم لأيام عديدة أو عندما تتكلم سيكون كلامها متسما بالادب الجرم والاجابات المقتضبة والصوت العذب وقد لا تتقابل عيناها مع عينيها . وراح يفكر « أوه . يا الهى . كيف تسنى لي الدخول في هذه الامور ؟ ولماذا لم أكن أنا الذى يعانى من سكرات الموت هنا بدلا من ذلك الرجل العجوز ؟ فهو لن يتعرض مطلقا لاي شئ بعد الآن » .

وكان يحس بالرجل يعمل في الاتوبيس تحته . كان يسمع ضربات الجاروف وأزيز الطين والوحل كما كان يسمع الاحجار التي تلقى تحت العجلات . وكانت زوجته تجلس في خشيب وقد ظهرت فوق شفتيها ابتسامة تنم على التسامح والغفران . ولم يكن يعرف حتى ذلك الوقت الطريقة التي ستتبعها في تناول الموقف . ولكنها ستتوصل الى طريقة معينة .

وكانت هي حزينه . وقالت لنفسها « يجب الا أفكر في الشر . فمجرد استسلام اليوت للنزعات المتوحشة ليس مبررا لان أفقد جمالى وتسامحي وغفرائى » . وكان هناك خفقان من النصر في داخلها . وهمست لنفسها : « لقد انتصرت على الغضب . لقد انتصرت على الاشمزاز . باستطاعتي أن أعفو عنه . أعرف أن باستطاعتي العفو عنه . ولكن من أجل صالحه هو يجب ألا يتم عفو عنى عنه في وقت مبكر للغاية - من أجل منفعتي هو سيكون على أن انتظر » وكان وجهها مليئا بالوقار والمعاناة . وفي الخارج كان بيميلز يصنع الاعاجيب والمعجزات باستخدام عضلاته في صبر وجلد وثبات وعزم . وقد أتلف الطين حذاءه الاكسفورد ذا اللونين . وربما أتلف هو حذاءه متعمدا . وكانت هناك طبقة من الطين فوق بنطلونه البنى الكاكاوى . لقد أتلف ملابسها الجميلة اتلافا شديدا . ودفع بيميلز بجاروفه في الارض وراح يحفر لاسفل خلف العجلات وتحت الجوانب ويلقى بالطين الى الخارج ونزل على ركبتيه في الوحل لكي يستخدم يديه . وكانت عيناها الذئبيتان تلمعان بسبب المجهود وندف العرق فوق جبينه . وراح يرتب جوان بنظرة جانبية . لقد نسي جوان . نسي في الوقت الذي كان فيه بيميلز في أشد الحاجة اليه

أكثر من أى وقت مضى . وكان بيميلز يضرب بجاروفه فى الأرض ضربات قوية مليئة بالحماس .

وأخذ ارنست هورتون معولا وعبر الحفرة وراح يلتقط الاعشاب والجذور وأعلى التربة ويزيحها بعيدا الى أن وجد ما كان يريده ألا وهى قطع الاحجار المتكسرة الناجمة عن الانهيار القديم الذى أصاب التل . فرفع تلك الاحجار وكومها على العشب بجانب الحفر .

وجاءت كاميل اليه وقالت له « سأساعدك فى نقل بعض هذه الاحجار الى مكان الاتوبيس » .

فقال لها ارنست « سيؤدى ذلك الى اتساخك تماما » فقالت « لن أصبح أكثر اتساخا مما أنا عليه الآن » .

ووضع ارنست رأس المعول على الأرض وقال « ألن ترغبى فى اعطائى رقم تليفونك ؟ اننى أرغب فى الخروج للنزهة سويا » .

فقالت كاميل « لقد قلت لك الحقيقة . فانا لا أسكن فى أى مكان الآن . وبالتالى ليس لى رقم تليفون » .

وقال ارنست « افعل ما بدالك »

« لا . أنا أقول لك الصدق . أين تقيم أنت ؟ »

فقال ارنست « هوليود - بلازا »

« حسنا . انك اذا تواجدت فى الردهة حوالى الساعة السابعة بعد غد فلربما أجيىء لك فى ذلك الموعد »

وقال ارنست « هذا كلام جميل . وسوف آخذك الى مطعم (ماسو فرانك) لتتناول طعام العشاء »

فقالت « اننى لم أقل اننى سأجيىء . ولكنى قلت اننى ربما أجيىء . فلست أعرف الحالة الصحية التى ساكون عليها . فاذا لم أظهر أمامك فى الموعد المحدد فلا تلقى بساعتك على الأرض . فانا مرهقة لدرجة اننى لا أستطيع التفكير فى أى شئ » .

« هذا كلام جميل . سأظل ملاصقا ذلك المكان وسسأنتظرك حتى السابعة والنصف » .

وقالت كاميل « انت شاب لطيف »

وقال ارنست « لست سوى مصاص آخر » . واستطرد « لا تأخذى تلك الاحجار الكبيرة . فتلك ساحضرها . عليك فقط بأخذ الاحجار الصغيرة » .

فالتقطت قطعة من الصخور فى كل يد وسارت نحو الاتوبيس .

وذهب جوان الى السور القديم واقتلع الاعمدة من الارض . اقتلع ثمانية منها بالتبادل وذلك لكي لا تسقط الاسلاك الشائكة على الارض . وحمل الاعمدة الى مكان الاتوبيس ثم عاد ثانية ليحمل المزيد منها . وكان الشفق الاحمر الوردي قد أخذ يتحول الى لون احمر شاحب . واستقر فوق الوادي غسق يميل للظلمة . وثبت جوان رافعته على عامود وتحت حافة اطار العجلة ثم رفع أحد جوانب الاتوبيس وعندما ارتفعت العجلة راح يميلز يملأ الحفرة الموجودة تحت الاطارات بقطع الصخور .

وأمسك جوان مسكة قوية أخرى ورفع مرة ثانية فارتفع تدريجيا أحد جوانب الاتوبيس من الوحل وحرك جوان رافعته الى الجانب الآخر ورفع العجلة الأخرى .

وكانت كاميل ونورما تحملان قطع الصخور لملأ الحفر بها بينما راح ارنست يضرب في الارض لاستخراج المزيد من قطع الصخور . وتساءلت ميلدريد « وما الذي يمكنني أن أفعله ؟ » فقال لها جوان « امسكي بهذا العامود في ثبات الى أن أحضر عتلة أخرى » وكان يعمل في سباق وحشي مع الظلام الزاحف . وكانت جبهته تلمع بالعرق . وجمع يميلز قطع الصخور تحت العجلات وهو راكع على ركبتيه في الوحل فارتفع الجانب الآخر للاتوبيس عن الوحل .

وقال جوان « فلنرفعه لمسافة أعلى من ذلك حتى لا نضطر الى تكرار هذا العمل . ويهمني أن توضع هذه الاعمدة تحت العجلات » . وما أن انتهوا من مهمتهم حتى كاد الظلام يخيم عليهم . « وعلى كل فرد ان يقوم بدفع الاتوبيس عندما يبدأ . فلو أمكننا فقط التقدم لمسافة ثلاثة أقدام سنصبح على مايرام » .

وتساءل يميلز « وما هي حالة الطريق أمامنا ؟ » « يبدو أنه على مايرام . يا الهي . لقد أتلفت ملابسك الى حد بعيد » .

وكان وجه يميلز مريضا بخيبة الامل . وقال « المسألة لم تصل الى شيء . وما فائدة الملابس ؟ » وكانت نغمة صوته يائسة للغاية حتى ان جوان اضطر لأن يحملق فيه من خلال الظلام المهيمن نسبيا على المكان . وابتسم جوان ابتسامة مزمومة أدت الى رفع شفتيه : « سيكون عليك الاهتمام بهذا الجزء الخلفي هنا يا كيت أثناء قيامي بالقيادة . اجعلهم يلقون بثقلهم على الاتوبيس عندما !تحرك به للامام . وأنت تعرف الطريقة . عليك بالاهتمام هنا في الخلف يا كيت » .

فالتقى بيميلز بجاروفه وصاح « هيا • أقبلوا • ادفعوا الاتوبيس •
سأتولى أنا الجانب الايمن • القتيات يشتركن أيضا فى الدفع • على
كل شخص أن يشارك فى دفع الاتوبيس » ورتب أفراد شئبعه خلف
الاتوبيس • ونظر فى نهم وجوع واشتهاء للحظات الى المدام برتشارد
الجالسة داخل الاتوبيس وقال « أظن أنها ستعرقل عملية الدفع » •
وتسلى جوان صاعدا الى الاتوبيس • وقال للمسستر برتشارد
« أخرج لتساعد فى دفع الاتوبيس » •

ودار الموتور بسهولة بالقدر الكافى • وجعل جوان الموتور يدور
لبعض الوقت ثم نقله الى السرعة البطيئة ثم طرق مرتين على جانب
الاتوبيس وسمع بيميلز يرد عليه بأن طرق مرتين على حائط الاتوبيس
الخلفية • ثم زاد جوان من سرعة موتوره قليلا وعشق الدبرياش فدارت
العجلات وانزلقت وزئرت ودارت وتهادى الاتوبيس « حبيبة القلب »
فى بطنه وتثاقل فوق الصخور وتسلى صاعدا فوق الطريق • وجذب
جوان الاتوبيس خارجا به من الوحل فوق الطريق ثم استخدم فرامل
اليده لايقاف الاتوبيس • ونهض ونظر من الباب الى الخارج •

« عليك فقط بتجميع الآلات هنا على أرضية الاتوبيس • هيا بنا •
فلنبدا فى الرحيل »

وأضاء كشافاته • فانتشر الضوء فوق الطريق الملىء بالحصى والى
مسافة تصل الى قمة التل الصغير •

الفصل الثانى والعشرون

وسار جوان بالاتوبيس فى بطء شديد فوق التل وهبط به على الطريق المليء بالحصى المبلل بالماء والذي يمر الى جوار المنزل المهجور . وعندما استدار باتوبيسه سقطت أضواءه الامامية فوق المنزل الذى لا عيون له وفوق طاحونة الهواء المكسورة وعلى الاسطبل . وكان الليل حالك السواد الا أن نسمات جديدة هبت حاملة معها رائحة التلقيح المنبعثة من الاعشاب ورائحة الترمس الطيبة المعطرة . وشقت المصابيح الامامية الظلام على الطريق . وطارت بومة فى ومضة سريعة داخله الى مساحة الضوء ثم خارجة منها . والى الامام بعيدا على الطريق نظر ارنب عابر للطريق الى الاضواء حتى أن عيناه توهجتا فى احمرار ثم قفز بعيدا عن الطريق الى داخل الحفرة .

وأبقى جوان الاتوبيس على السرعة الثانية وتفادى بعجلاته جرة العجلات القديمة المقعرة المليئة بالميناء . وكان الاتوبيس من الداخل مظلماً فيما عدا الاضاءات الصغيرة الجانبية . وسمع جوان لعينه بالقاء نظرة سريعة خاطفة على العذراء . وقال فى ذهنه « سأطلب منك الآن شيئاً واحداً فقط . لقد تخليت عن المطلب الاول . ولكنه سيكون لطيفاً منك اذا استطعت أن تجعلها مخمورة عندما أعود اليها » .

ولم تعد المدام برتشارد صارمة ووقورة . كان رأسها يتمايل مع حركة الاتوبيس . وكانت تحلم . وكانت مرتدية . مرتدية ماذا ؟ ما الذى سترتديه ؟ شئ خفيف . ربما تكون ملابس بيضاء خفيفة . وكانت مصطحبة ايلين فى جولة فى بيت الاركاديا الصغير الخاص بها . وسالت ايلين « أتعجبين من السبب الذى جعلنى أحتفظ بقليل من أنواع الاركاديا القرمزية ؟ » . « حسناً . ان كل شخص له أقارب ممن يعجبون بالانواع القرمزية . وحتى أنت يا ايلين . وأنت تعرفين ذلك . ولكن أنظري الى هنا . ها هى الانواع البنية الجميلة والانواع الخضراء المحببة للنفس . لقد طلب اليوت شراء هذه الاصناف من البرازيل . وهى مستجلبة على مسافة ألف ميل فى عمق الامازون » .

وفوق أرضية الاتوبيس كان المعول يصطك بالجاروف محدثاً أصواتاً حادة متقطعة .

وانحنى بيميلز بالقرب من أذن جوان . « باستطاعتى قيادة الاتوبيس

نيابة عنك يا مستر شيكوى • فانت فى غاية الارهاق • سأقود أنا اذا كنت ترغب فى ذلك » •

« لا • شكرا لك يا كيت • فانت قد بذلت من الجهد ما فيه الكفاية » •

« ولكننى لا أشعر بالتعب »

فقال جوان « كل شىء على مايرام » •

وكان باستطاعة ميلدريد أن ترى المنظر الجانبي لوجه جوان فى مواجهة الطريق المضاء •

« ترى كم سينقضى من الوقت قبل أن أشهد مرة أخرى يوما كهذا اليوم الذى انقضى • يوم مثل سبيكة من روح النعناع • اننى سأعيش على ذكرى هذا اليوم الى أن أتمكن من أن أحيى يوما آخر جميلا على غرار » •

ومن خلال هدير وضجيج الاتوبيس استمع المستر برتشارد لانفاس فان برانت • واستطاع فقط أن يرى بصعوبة وجه فان برانت الملاسق للمقعد • واكتشف فى نفسه أنه قد كره هذا الرجل لانه كان يلفظ أنفاسه الاخيرة • وتأمل كراهيته للرجل فى دهشة • وأحس أن باستطاعته أن يخنق هذا الرجل بسهولة ويخلصه مما هو فيه • وصاح فى داخله « أى نوع من الرجال أكون ؟ وما الذى يجعل هذه الامور المريعة تعتمل فى داخلى ؟ أنا بصدد التعرض للخبل والجنون ؟ ربما يكون السبب هو أننى بذلت جهودا شاقة للغاية فى العمل • ولربما يكون هذا بمثابة تمهيد لانهيار عصبى » •

وانحنى عن كذب لكى يتأكد من أن أنفاس الرجل المريض لم تتوقف • من المحتم أن تكون هناك كدمة رديئة فى سقف فمه فى المكان الذى انحسرت عليه العصا الصغيرة • ثم سمع حركة قليلة وأدرك أنه ارنست هورتون قد عاد وجلس فى المقعد التالى •

« أتحب أن أقوم برعايته بدلا منك ؟ » •

فقال المستر برتشارد « لا • أظن أن كل شىء على ما يرام » واستطرد « ما هو المرض الذى يعانى منه فيما تظن ؟ » •

فقال ارنست « انها صدمة عصبية » واستطرد « اننى لم أهدف الى اثاره غضبك اليوم • لقد كنت فقط عصبى المزاج » •

وقال المستر برتشارد « انه مجرد يوم من تلك الايام • ان الامور

عندما تسير بشكل سيء بعض الشيء فان زوجتى تقسول (ستتحسن الامور فى وقت ما) .

وقال ارنست « حسنا . تلك طريقة مناسبة للنظر الى الامور اذا استطاع الانسان تطبيقها . » اننى ساكون فى هوليد - بلازا اذا اردت الاتصال بى او جرب تلك الشقة فى احدى الليالى فى العنـوان الذى اعطيته لك .

فقال المستر برتشارد « اننى أخشى أن أكون مرتبطا بالاعمال طوال الوقت . واذا كنت ترغب فى القاء نظرة على المصنع فى وقت ما فاننا قد نقوم ببعض الاعمال . » وقال ارنست « ربما نستطيع ذلك . » وكانت نورما جالسة آنثذ بجوار النافذة والى جوارها على المقعد كانت تجلس كاميل . وأسندت نورما مرفقها فوق قاعدة النافذة ونظرت الى الخارج نحو الظلام المرفرف المرتعد . وكان هناك شريط صغير من اللون الفاتح حول الحافة المحيطة بسحابة سوداء هائلة فوق الجبال الغربية . وما أن ارتفعت السحابة حتى سطعت نجمة المساء صافية ومفسولة وثابتة .

« ضوء النجمة . النجمة الساطعة ،

« أول نجمة أراها الليلة ،

أتمنى لو استطعت تحقيق الرغبة ،

التي تطلبت اليها الليلة ،

فأدارت كاميل رأسها بينما النوم يداعب جفونها وتساءلت : « ماذا

قلت ؟ »

وظلت نورما صامتة للحظة . ثم تساءلت فى رقة وعذوبة « أسئرى

كيف تسير الامور ؟ »

فقالت كاميل « نعم . سنرى كيف تسير الامور ،

والى الامام بعيدا ، ونحو اليسار قليلا ظهرت للعيان عنساقيد من

الاضواء - أضواء صغيرة تتغامز على المسافة ضائعة وهائلة ووحيدة فى

الليل ونائية وباردة ومتغامزة ومكبلة فى خيوط من الاغلال والسلاسل .

فنظر جوان اليهم وصاح قائلا « تلك هى سان جوان أمامنا هنالك ،

تمت

رقم الايداع : ٥٢٣٥ / ٨٩
الترقيم الدولي : ٠ - ٤٣٥ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

روايات الهلال تقدم

وجع البعاد

تأليف

يوسف القعيد

تصدر : ١٥ سبتمبر ١٩٨٩

هذه الرواية



جون شتاينبك

● ولد في ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ وتوفي في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

● حصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٢ عن روايته «عناقيد العنب» ..

● تميز في اختيار موضوعاته وبالشكل الروائي المتجدد دوماً في رواياته

● من أهم أعماله : كأس من ذهب ١٩٢٩ . ثم سهل تورتيللا "عن الرجال والفئران" و "شرق عدن" و "المهر الأحمر" .

● تحولت معظم رواياته إلى أفلام سينمائية وترجمت أكثرها إلى اللغة العربية

● يمثل آخر جيل من الكتاب العمالقة في الأدب الأمريكي في القرن العشرين

هذه هي أول ترجمة لرواية «الآوتوبيس الجامع» .. لجون شتاينبك .. ورغم أهمية الرواية إلا أن المترجمين لم ينتبهوا إليها .. فطواها النسيان .

وحول "الآوتوبيس الجامع" .. خصص الناقد المعروف بيتر ليسكا فصلاً كاملاً في كتابه الهام «عالم شتاينبك» الرحيب .. جاء فيه أن طموحات الكاتب قد تجسدت بشكل أمثل في هذه الرواية من خلال السائق جوان .. الذي يأخذ راكبيه المختلفين عبر الريف .. من طريق لآخر .. ماراً بالطرق والجسور التي اكتسحتها المياه ، عابراً الطرق الخلفية التي نساها البشر حتى يصل أخيراً إلى سان جوان التي تصبح جزءاً من الكاتب والسائق والقارئ معا .. وهناك تصميمان رئيسيان لهذه الرواية هما : تجميع الأشخاص وتفاعل كل منهم مع الآخر ، ثم الرحلة الفعلية للآوتوبيس وقد تماسك التصميم على صعيد الأشخاص ، من خلال مؤشرات إنسانية تفاعلت وانحلت في سلسلة من الحوارات التي دارت خلال ساعات قليلة مما يؤكد أن هذه الرواية أكثر اهتماماً بالحركة على صعيد الأشخاص بخلاف معظم روايات شتاينبك الأخرى ..

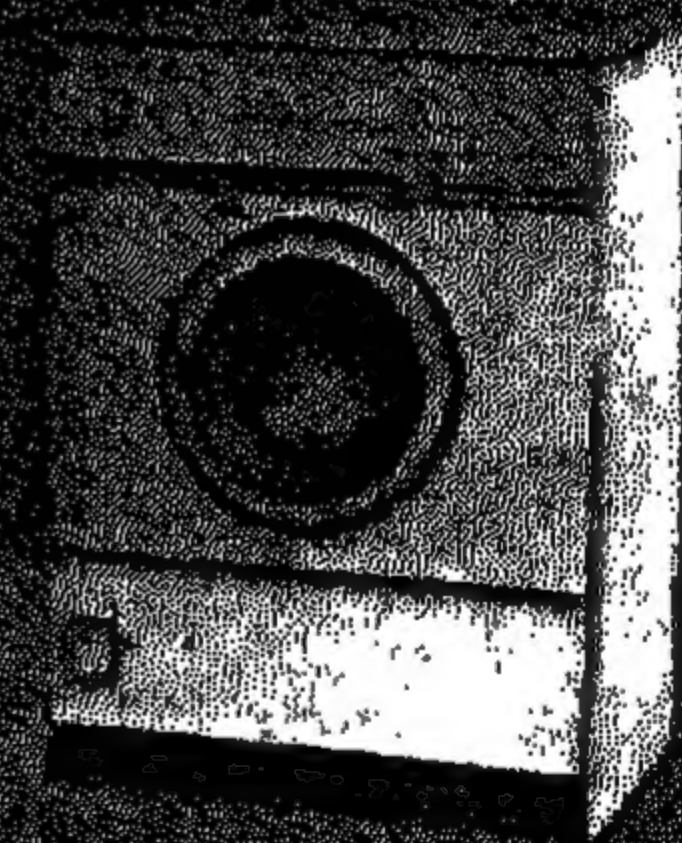
الآوتوبيس الجامع .. صرح جديد تصنعه روايات الهلال في مبناها الشامخ وهي تسعى لنقل أرقى الأدب العالمي إلى اللغة العربية ..

FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES



Lola

PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP CO.
ALEX. EGYPT



72

ألوان تالقا شيباباً



Bibliotheca Alexandrina



0393824

وتقدّم الخبرية الجمالية
لشفتيك.. لعينيك.. لظافرك.. لوجهك